أخبار النساء

تأليف

ابن قيم الجوزية

٦٩١-٧٥١هـ

عرض وتحقيق

الدكتور نزار رضا

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

أخبار النساء

تأليف

ابن قيم الجوزية

٦٩١ ـ ٧٥١ هـ

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي
الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية

شرح وتحقيق

الدكتور نزار رضا

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت ـ لبنان

١٩٨٣

أخبار النساء

كلمة الناشر

تعود قراء العربية أن يروا « دار مكتبة الحياه للنشر » سباقة في ميدان نشر الذخائر ، مجلية في مضمار إظهار التراث ، فقرأوا لها في مـــدة وجيزة : كتاب « مجمع البيـــان في تفسير القرآن » للطبرسي وكتاب « الأغـــاني » لأبي الفرج الاصبهاني وكتاب « محاضرات الأدباء » لأبي القاسم حسين محمد الراغب الاصبهاني و « مجمع الأمثال » للميداني و « شرائع الإسلام » للمحقق الحـــلي ، وكتاب « صورة الأرض » لابن حوقل و « طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة و « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد . عدا عشرات الكتب الأخرى . وأصبح معروفـــاً عن هذه المؤسسة أنها تحمل الأعباء الثقال ، وتبذل التضحيات الكبار غير عابئة بما تعانيه من المشاق ، ولا ملتفتة إلى ما تكابده من عنـــاء في سبيل تيسير أغلى النفائس العربية للقارىء العربي ومن أجل هذه الغـــاية ، وفي سبيل الهدف ، أنشئت الدار ، ووضعت أول لبنـــة فيها ، وصدر عنها ما صدر من كتب التراث العربي الخالد .

والآن ، وتمشياً مع النهضة الثقافية التي تعم بلاد العرب ، مشرقـــاً ومغرباً ، رأت الدار أن تعهد إلى لجنة من الأدباء والمحققين ، بالإشراف على إخراج طائفة من نوادر المصنفات ولطائف الرسائل والكتب والمؤلفات للمشاهير والعظماء من أئمـــة الأدب والتاريخ والشعر والبيان . وكان من هذه المؤلفات كتاب « أخبار النساء » وهو كتاب أشهر من أن يعرف بين كتب التراث العربي .

وتجدر الاشارة إلى أن بين يدي اللجنة ثبت حافل بالمصنفات التي ستعمل على إخراجها على التوالي . والله تعالى هو الموفق والهادي والنصير .

محمد ابن قيم الجوزيه

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ايوب بن سعد بن حريز الزرعي – وذلك نسبة زرع (إزرع اليوم) في حوران – والمعروف بابن قيم الجوزية لأن أباه كان قيماً على مدرسة الجوزية بدمشق من علماء القرن الرابع عشر الميلادي الثامن الهجري .

فقيه حنبلي من أشهر فقهاء الحنابلة . ولد في دمشق سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٢ م) . تتلمذ على الإمام ابن تيمية وأصبح من أحظى مريديه يقول بقوله ويردد افكاره وكلماته مع المشاركة في الرأي والعمل . قاوم الفلاسفة والنصارى واليهود . وكان شديد التزمت والكراهية لكل من خرج عن دينه ومذهبه . وقد قال بأن ثواب الجنة ابدي وعذاب النار موقت .

جارى استاذه في كل أموره يدعو له وينشر فتاويه ويناضل في سبيله حتى أنه سجن معه في قلعة دمشق سنة ٧٢٦ هـ . (١٣٢٦) واحتمل العذاب والإهانة من اجله .

ولما توفي أستاذه أفرج عنه فعكف على مؤلفاته تهذيباً وشرحاً وكان دائم المطالعة مولعاً بجمع الكتب مكباً على نسخ ما يراه قصيداً حتى اصبحت لديه مكتبة حافلة يضاف إليها مصنفاته حتى أربت على الثلاثين بين مصنف كبير وصغير في التصوف والجدل منها ما هو مطبوع ومنها لم يزل مخطوطاً فالمخطوطة هي : « كتاب الفروسية » ، و « طب القلوب » ،

و « رسالة اختيـــارات تقي الدين بن تيمية » ، و « مسائل ابن تيمية التي جمعها ابن قيم »

وأما المطبوعة فهي .

بلوغ السول في أقضية الرسول ، زاد المعـاد في هدي خير العباد ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطـّلة والجهمية ، التبيان في اقسام القرآن ، الكافيـة الشافية وتعرف بالقصيدة النونية وعلى شرح لأحمد بن عيسى النجدي اسمه شرح نونيـة ابن القـيم ، كتاب الروح في التصوف ، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، الصواعق المنزلة على الجهميـة والمعطـّلة ، مفتاح دار السعادة ومنشور لواء العلم والإرادة ، روضة المحبين ، حادي الأرواح إلى بـلاد الأفراح ، أخبار النساء وقيل أنه لابن الجوزي ونسب خطـأ لابن القيم الجوزية ، الوابل الصيّب من الكلم الطيب ، هـداية الحيارى من اليهود والنصارى ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، عـدة العابرين وذخيرة الشاكرين ، الصلاة وأحكام تاركها ، شفاء الغليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، الفوائد المشوقة إلى علم القرآن علم البيان ، كتاب الروح .

وكانت وفاة ابن القيم الجوزية سنة ١٣٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ذكرت فيه اخبار النساء فاقول ومن الله تعالى القبول

(باب في أوصاف النساء)

★ قال معـــاوية [١] لصعصعـة [٢] : أي النساء أحب إليك ؟ قال : المواتية لك فيما تهوى . قال : فأين أبغض إليك ؟ قال : أبعدهن لما ترضى . قال معاوية : هذا النقد العاجل . فقال صعصعة : بالميزان العادل .

★ وقال معاوية : ما رأيت نهماً في النساء إلا عُرف ذلك في وجهها . شكت امرأة الى زوجها قلة اتيانه [٣] إليها ، فقال لهـا : أنا وأنت على قضاء عمر [٤] . قالت : قضى عمر أن الرجـــل إذا أتى امرأته في كل طهر فقد أدّى حقها .

---

١) هو ابن أبي سفيان كان والياً على دمشق زمن الخليفتـين عمر وعثمان . مؤسس الدولة الاموية في سوريا سنة ٦٨٣ .
٢) من المشاهير في علم أنساب العرب .
٣) المضاجعة .
٤) الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين . زوج ابنتـــه حفصة من النبي . وعرف بسداد الرأي والحكمة .

★ وقع بين امرأة وزوجها شر فجعل يكثر عليها بالجماع، فقالت له: أبعدك الله! كلما وقع بيننا شر جئتني بشفيع لا أطيق رده.

★ جاء رجل إلى علي [1]، رضي الله عنه، فقال له: إن لي امرأة كلما غشيتها [2] تقول قتلتني. فقال: اقتلها وعليّ إثمها.

★ غزا ابن هبيرة الغساني الحرث بن عمر فلم يصبه [3] في منزله، فأخرج ما وجد له، واستاق امرأته فأصابها [4] في الطريق، وكانت من الجمال في نهاية، فأعجبت به، فقالت له: انج فوالله لكأني به يتبعك كأنه بعير أكَل مُراراً [5]. فبلغ الخبر الحرث فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله، وأخذ ما كان معه، وأخذ امرأته. فقال لها: هل أصابك؟ فقالت: نعم، والله ما اشتملت [6] النساء على مثله قط. فلطمها ثم أمر بها فَوُثِقت بين فَرَسين ثم أَحْضَرَهما [7] حتى تقطعت. ثم أنشد:

كلُّ أُنثى وإن بدا لك منها آية الودّ حبُّها خَيْتَعُور [8]
إنَّ مـــن غره النساء بودّ بعد هذا لجاهل مغرور

---

١) ولد في مكة سنة ٦٠٠ ابن عم النبي وصهره وبطل الاسلام وهو من أفضل الخلق بعد رسول الله.
٢) ضاجعتها. (ن. ر).
٣) أصاب: وجد.
٤) بنفس المعنى ولكن بالمعنى المجازي واطأها ونال منها ما يريد.
٥) حمض أو شجر مرّ (تسميه العامة المريرة) إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها فبدت أسنانها.
٦) التفت واحتضنت.
٧) جعلها يسرعان في العدو.
٨) كل شيء يتلون ولا يدوم على حال كالسراب الذي يظهر من الهواء في شدة الحر، أبيض الخيوط أو كنسيج العنكبوت.

★ قال بعض الحكماء : لم تُنه قط امرأة عن شيء إلا فعلته .

للغنوي :

ان النساء متى ينهين عن خلق فإنه واقـع لا بـــد مفعول

ولغيره :

لا تأمن الأُنثى حَبَتْكَ[1] بودها إنّ النساءَ ودادُهن مُقسَّم
اليوم عندكَ دِلُّها وحديثُها وغداً لغيرِكَ كفُّها والمِعْصَم

★ سُئل أعرابي عن النساء ، وكان ذا هم بهن ، فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ، التي إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئاً جوَّدت ؛ التي تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ؛ العزيزة في قومها ، الذليلة في نفسها ، الولود ، التي كل أمرها محمود .

★ طلق رجل امرأته ، فقالت له : أبَعْدَ صُحبة خمسين سنة قال ؟ ما لك عندنا ذنب غيره .

★ قال عبد الملك[2] بن مروان : من أراد ان يتّخِذ جاريةً للمتعة ، فليتخذها بربرية[3] ، ومن أرادها للولد فليتخذها فارسية[4] ؛ ومن أرادها

١) أعطتك بلا جزاء ولا مَنْ (ن . ر) .
٢) الخليفة الاموي (٦٤٦ – ٧١٥) المؤسس الثاني لدولة بني أمية جلس على العرش سنة ٦٨٥ وعرَّب الدولة وعمم استعمال اللغة العربية في جميع البلاد الاسلامية .
٣) نسبة الى البربر وهم سكان افريقيا الشمالية الأصليين من الجنس الأبيض .
٤) نسبة الى بلاد فارس وهي تدعى اليوم إيران .

للخدمة فليتخذها رومية [1] .

★ قال الاصمعي : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب . وما ضرب رؤوس الابطال كابن عجمية .

★ ذُكر أن معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق ، وكان المجلس مفتح الجوانب لدخول النسيم ، فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديـه ، إذ نظر إلى رجل يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلاً حافياً ، وكان ذلك اليوم شديد الحر ، فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه : لم يخلق الله ممن أحتاج إلى نفسه في مثل هذا اليوم . ثم قال : يا غلام سر إليه وأكشف عن حاله وقصته فوالله لئن كان فقيراً لأغنينه ، ولئن كان شاكياً لأنصفنـّه ، ولئن كان مظلوماً لأنصرنه ، ولئن كان غنياً لأفقرنه . فخرج إليه الرسول متلقياً [2] ، فسلم عليه فرد عليه السلام . ثم قال له : ممن الرجل ؟ قـــال : سيدي أنا رجل إعرابي من بني عذرة [3] ؛ أقبلت إلى امير المؤمنين مشتكياً إليه بظلامة [4] نزلت بي من بعض عماله . فقال له الرسول : أصبحت يا أعرابي ثم سار به حتى وقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثم انشأ يقول :

معاوي ، ياذا العلم والحلم والفضل ، ويا ذا الندى والجود والنايل الجزل
أتيتك لَمّا ضاق في الأرض مَذهبي ، فيا غيثُ لا تقطع رجائي من العدل
وجُد لي بانصاف من الجائر الذي شواني شيّـــاً كان أيسَرُه قَتْلي

١) في الأصـل رومية وهــذا خطأ نسبة الى الروم وهو اسم أطلقــه العرب على البيزنطيين .
٢) مستقبلاً .
٣) قبيلة يمانية مشهورة بالعشق والعفة . ٤) ما يؤخذ منك من الحق .

سَبَانِيَ سُعدى وانبرَى لخُصُومتي ، وجار ولم يعدل ، وأغصبني أهلي

قصـدت ، لأرجو نفعـــه فأثابني [1]

بسجن ، وأنواع العذاب مع الكَبْل [2]

وهَمَّ بقتلي ، غـــير أن مَنِيَّتي تأبّت ، ولم أستكمل الرزقَ من أجلي

أغثني ، جزاك الله عني جنـــة ، فقد طار من وجد بسُعدى لها عقلي

فلما فرغ من شعره قـــال له معاوية : يا إعرابي إني أراك تشتكي عاملاً من عمالنا ولم تسمه لنـــا ! قال : أصلح الله امير المؤمنين ، هو والله ابن عمك مروان بن الحكم عامل المدينة . قال معاوية : ومـــا قصتك معه يا أعرابي . قـــال : اصلح الله الأمير ، كانت لي بنت عم خطبتها إلى ابيها فزوجني منها . وكنت كلفاً [3] بهـا لِمَـا كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة . فبقيت معها يا أمير المؤمنين ، في أصلح حال وأنعم بال ، مسروراً زماناً ، قرير العين . وكانت لي صرمـة [4] من إبل وشويهات ، فكنت أعولها ونفسي بهـا . فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدهر ، فوقع فيها داء فذهبت بقدرة الله . فبقيت لا أملك شيئاً ، وصرت مَهيناً مُفَكّراً ، قـد ذهب عقلي ، وساءت حـــالي ، وصرت ثقلاً [5] على وجه الارض . فلما بلغ ذلك أباها حال بيني وبينها ،

---

١) جازاني .

٢) القيد أو أعظم ما يكون منه .

٣) وَلِعاً .

٤) القطعة من الابل والشاة وقد اختلف في تقديرها وهي لا تقـــل عن العشر ولا تتجاوز الخمسين (ن . ر) .

٥) أي حملا ثقيلا .

وأنكرني ، وجحدني ، وطردني ، ودفعها عني . فلم أقدر لنفسي بحيلة ولا نُصْرة . فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكياً بعمي ، فبعث إليه ، فلما وقف بين يديه ، قال له مروان : يا ايها الرجل لِمَ حلت بين ابن أخيك وزوجته ؟ قال : أصلح الله الأمير ، ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط . قلت أنا : أصلح الله الأمير ، أنا راض بالجارية ، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول ؟ فبعث إليها فأتت الجارية مسرعة ، فلما وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان ، فصار لي ، يا أمير المؤمنين خصماً وانتهرني ، وأمر بي إلى السجن . فبقيت كأني خررت من السماء في مكان سحيق ، ثم قال لأبيها بعدي : هل لك أن تزوجها مني ، وأنقدك الف دينار [١] ، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم [٢] تنتفع بها ، وأنا أضمن طلاقها ؟ قال له ابوها : ان أنت فعلت ذلك زوجتها منك . فلما كان من الغد بعث إليّ ، فلما أدخلت عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان ، فقال لي : يا أعرابي طلّق سعدى . قلت : لا أفعل . فأمر بضربي ثم ردني إلى السجن ، فلما كان في اليوم الثاني قال : علي بالاعرابي . فلما وقفت بين يديه ، قال : طلق سعدى . فقلت : لا أفعل . فسلط عليّ يا امير المؤمنين خدامه فضربوني ضرباً لا يقدر أحد على وصفه ، ثم امر بي إلى السجن ؛ فلما كان في اليوم الثالث قال : عليّ بالاعرابي ، فلما وقفت بين يديه قال : علَيَّ بالسيف والنّطع [٣] وأحضر السياف ، ثم قال : يا اعرابي ، وجلالة ربي ، وكرامة والدي ، لئن لم تطلق سعدى لافرقن بين جسدك وموضع لسانك . فخشيت على نفسي القتل فطلقتها طلقة واحدة على طلاق السنة [٤] ، ثم امر بي إلى السجن فحبسني

---

١) عملة ذهبية قديمة وزنه مثقال أو ٣،٤٣٦ غ .
٢) عملة فضية قديمة وزنه سبعة أعشار المثقال أي ٢،٤٠٥٥ غ .
٣) بساط من الأديم .
٤) وهي الطلقة التي يحق للمطلق الرجوع عنها قبل مضي العدة على المرأة .

فيه حتى تمت عدتها (١) ثم تزوجها ، فبنى (٢) بها ، ثم أطلقني . فأتيتك مستغيثاً قد رجوت عدلك وانصافك ، فارحمني يا أمير المؤمنين . فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدني الأرق ، وأذابني القلق ، وبقيت في حبها بلا عقل ، ثم انتحب حتى كادت نفسه تفيض . ثم أنشأ يقول :

في القلب منيَ نارٌ — والنارُ فيه الدمار
والجسم مني سقيمٌ — فيه الطبيب يَحَار
والعين تَهْطِل دمعاً — فدمعها مِدْرار (٣)
حَمَلْت منه عظيماً — فما عليه اصطبار
فليس ليليَ ليلٌ — ولا نَهاري نهارُ
فارحم كئيباً حزيناً — فؤادُه مستطار (٤)
ارْدُدْ عليَّ سُعادي — يثيبك الجبار

ثم خر مغشياً عليه بين يدي أمير المؤمنين كانه قد صعق به قال : وكان في ذلك الوقت معاوية متكئاً ، فلما نظر إليه قد خر بين يديه قام ثم جلس ، وقال : انا لله وانا اليه راجعون . اعتدى والله مروان ابن الحكم ضراراً (٥) في حدود الدين ، وإحساراً (٦) في حرم المسلمين : ثم قال : والله يا أعرابي لقد أتيتني بحديث ما سمعت بمثله . ثم قال : يا غلام عليّ

١) أي طهرها بعد ثلاث حيضات .
٢) زفّها اليه .
٣) هطّال ساكب .
٤) مذعور .
٥) الجزاء على الضرر بضرر مثله « ن . ر » . ٦) انكشافاً .

بدواة وقرطاس. فكتب الى مروان: «أما بعد، فانه بلغني عنك أنك اعتديت على رعيتك في بعض حدود الدين، وانتهكت حرمة لرجل من المسلمين. وإنما ينبغي لمن كان والياً على كورة أو اقليم أن يغض بصره وشهواته، ويزجر نفسه عن لذاته. وإنما الوالي كالراعي لغنمه، فإذا رفق بها بقيت معه، وإذا كان لها ذئباً فمن يحوطها بعده. ثم كتب بهذه الابيات:

وُلِّيت، ويحك أمراً لست تُحكِمه فاستغفر الله مِن فِعْلِ امرىء زاني
قد كُنتَ عنديَ ذا عقلٍ وذا أدبٍ مع القَرَاطِيسِ[1] تمثالاً وفرقانِ[2]
حتى أتانا الفتى العُذرِيُّ مُنْتَحِباً يشكو إلينا ببث ثم أحزان
أُعطي الالهَ يميناً لا أُكفِّرُها حقاً، وأبرأ من ديني ودياني[3]
إن أنت خالفتني فيما كتبت به، لأجعلنك لحماً بين عقبان
طلق سعاد، وعجلها مجهزة مع الكميت، ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت، كما بلغت في بشر، ولا كفعلك حقاً، فعل إنسان
فاختر لنفسك إما أن تَجُود بها أو أن تلاقي المنايا بين أكفان

ثم ختم الكتاب. وقال: عليَّ بنصر بن ذبيان والكميت صاحبي البريد[4]. فلما وقفا بين يديه قال: اخرجا بهذا الكتاب الى مروان

---

١) واحدها قرطاس وهي الجارية البيضاء المديدة القامة.
٢) الذي يفرق بين الحق والباطل.
٣) الخالق.
٤) أي الذين ينقلون رسائل الملك أو الخليفة إلى جميع الولاة والامصار.

ابن الحكم ولا تضعاه إلا بيده . قال فخرجا بالكتاب حتى وردا به عليه ، فسلما ثم ناولاه الكتاب . فجعل مروان يقرأه ويردده ، ثم قام ودخل على سُعدى وهو باكٍ ، فلما نظرت اليه قالت له : سيدي ما الذي يبكيك ؟ قال كتاب امير المؤمنين ، ورد عليَّ في أمرك يأمرني فيه أن أطلقك وأجهزك وأبعث بك إليه . وكنت أود أن يتركني معك حولين ثم يقتلني ، فكان ذلك أحب إليَّ . فطلقها وجهزها ثم كتب الى معاوية بهذه الابيات .

لا تَعْجَلَنَّ أميرَ المؤمنين فقد ... أوفي بنذرك في رفق واحسان

وما ركبت حراماً حين أعجبني ... فكيف أُدعى باسم الخائن الزاني

أعْذِر ، فإنك لو أبصرتها لجرت ... منك الأماقي على أمثال إنسان

فسوف يأتيك شمس لايعادلها ... عند الخليفة إنس لا ولا جان

لولا الخليفة ، ما طلقتها أبدا ... حتى أضمن في لحد وأكفان

على سُعادٍ سلامٌ من فتىً قَلِقٍ ... حتى خلَّفته بأوصاب وأحزان[١]

ثم دفعه إليهما ، ودفع الجارية على الصّفة التي حدث له[٢] . فلما وردا على معاوية فك كتابه وقرأ أبياته ثم قال : والله لقد أحسن في هذه الابيات ، ولقد أساء إلى نفسه . ثم أمر بالجارية فادخلت إليه ، فإذا بجارية رعبوبة لا تبقى لناظرها عقلاً من حسنها وكمالها . فعجب معاوية من حسنها ثم تحول إلى جلسائه وقال : والله إن هذه الجارية

١) المرض والوجع الدائم ونحول الجسم .
٢) هكذا في الأصل والأصح حُدّث « بالتاء » .

لكاملة الخَلْق فلئن كَمُلت لها النعمة مع حسن الصفة ، لقد كَمُلت النعمة لمالكها . فاستنطقها ، فإذا هي افصح نساء العرب . ثم قـال : عليّ بالاعرابي . فلما وقف بين يديه ، قال له معاوية : هل لك عنها من سلو ، وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار [١] مع كل جارية منهن ألف درهم ، على كل واحدة منهن عشر خلع من الخز [٢] والديباج [٣] والحرير والكتان ، وأجري عليك وعليهن ما يجري على المسلمين ، وأجعل لك ولهن حظاً من الصلات والنفقات ؟ فلما أتم معاوية كلامه غشي [٤] على الاعرابي وشهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات منها . فلما أفاق قال له معاوية : ما بالك يا أعرابي ؟ قال : شر بال ، وأسوأ حال ، أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان . ثم أنشأ يقول :

لا تجعلني هَـدَاك الله من ملكٍ كالمستجيرِ من الرمضاء [٥] بالنار
أُردد سعادَ عَلَى حَرّانَ [٦] مكتئبٍ
يُمسي ويُصبح في هَمّ وتَذكار
قد شَفه [٧] قلق ما مِثلُـه قلقٌ وأسْعَرَ [٨] القلبَ منه أي اسعار

---

١) جمع بكر وهي العذراء .
٢) الحرير .
٣) نسيج من الابريسم – الحرير او الخام منه – ملون إلوان . « فارسي معرب ديباي أو ديوبان – اي نساجة الجن . »
٤) أغمي عليه .
٥) شدّة وقع حرّ الشمس على الارض –
٦) من فعل حَرَّ كبده : عطش ويقال حَرَّ صدر الشيخ حتى صلى اي التهبت الحرارة في صدره حتى سمع لها صليل فهو حَرّان .
٧) لذع قلبه او أذهب عقله .
٨) هاج واشتعل .

والله ، والله ، لا أنسى محبتها حتى أُغَيَّبَ في قبري وأحجاري
كيف السلوُّ وقد هام الفؤاد بها ؟ فإن فعلت فإني غير كَفَّـــار[1]
فأَجمل بفضلك وافعلْ فعلَ ذي كرم
لا فعلَ غيرِك ، فعلَ اللؤم والعـار

ثم قال : والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كل مااحتوته الخلافة مـا رضيت به دون سعدى . ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول :

أبى القلب إلاَّ حبَّ ليلى وبُغِّضَت إليَّ نساءٌ مـــا لهن ذنوب
وما هي إلاّ أن أراهـا فَجَاءَةً فأُبْهَتُ[2] حتى لا أكاد أُجيب

فلما فرغ من شعره ، قال له معاوية : يا أعرابي ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : إنك مُقِرٌ عندنا أنك قد طلقتها ، وقد بانت[3] منك ومن مروان ، ولكن نخيرها بيننا . قال : ذاك إليك ، يا أمير المؤمنين . فتحول معاوية نحوها ثم قال لها : يا سعدى أيُّنا أحبُّ إليكِ : أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره ، أو مروان في غصبه واعتدائه ، أو هذا الاعرابي في جوعه وأطماره[4] ؟ فاشارت الجارية نحو ابن عمهـا الاعرابي ، ثم أنشأت تقول :

---

١) مبالغة كافر .
٢) أدهش وأتحيَّر (ن . ر)
٣) انفصلت عنك بطلاق بائن الطلاق الذي لا يملك معه المطلق إرجاع المطلقة .
٤) واحدها طمرُ وهو الثوب الخلِقِ البالي او من غير الصوف .

هذا وإن كان في جوع وأطمار ... أعزُّ عندي من اهلي ومن جاري
وصاحبِ التاج أو مروانَ عامله ... وكلِّ ذي دِرْهمٍ منهم ودينار

ثم قالت : لست ، والله ، يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته ، ولقد كانت لي معه صحبة جميلة ، وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القِسْم [1] الذي كتب الله لي معه . فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها في صدقات بيت المسلمين .

قال أبو الخطاب : كان عندنا رجل أحدب فسقط في بئر فذهبت حدبته وصار آدراً [2] فدخل عليه جيرانه يهنئونه فقال : الذي جاء شر من الذي مرّ .

ذكر أعرابي رجلا جميلا فقال : والله لو أبصرته العيدان لتحركت أوتارها ، ولو رأته عاتق [3] الخدر [4] لطار خمارها [5] .

وقال بعض الاعراب .

ماذا تظنُّ سُلَيْمَي إن ألمَّ بنا ... مُرَجَّلُ [6] الرأس ذو بُرْدَيْنِ مَزَّاحُ

---

١) الحظ والنصيب .
٢) المصاب بالأدرة وهي انتفاخ الخصيين والانفتاق في إحدى الخصيين .
٣) الجارية الشابة اول ما أدركت أو البكر التي لم تتزوج او التي بين الادراك والتعنيس .
٤) الستر يضرب للجارية في ناحية البيت .
٥) النصيف ، أي ما تغطي به المرأة رأسها .
٦) الممشوط الشعر .

خَزٌّ عمـامَتُه ، حلوٌ فُكاهَتُه ، في كفه من رُقى ابليس مفتاحُ

★ ويُرَوى ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خطب امرأة من كلب [1] فبعث عائشة [2] رضي الله عنها تنظر إليها ، فقال لها : كيف رأيتها ؟ قالت : مـا رأيت طائلاً [3] . قال : لقد رأيت طائلاً ، ولقد رأيت حالاً تجدينها حتى اقشعرت كل شعرة فيك . فقالت : ما دونك ستر يا رسول الله .

★ ويروى عن حيان بن عمير أنه قال دخلت على قتادة بن ملحان فمر رجل في أقصى الدار فرأيت صورته في وجـه قتادة ، وذلك أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مسح وجهه .

★ وعن عون بن عبد الله ، انـه قال : من كان في صورة حسنة ، ونسب [4] ، وحسب [5] ، ووسع عليه في الرزق ، كان من خلصاء [6] الله .

★ ويروى عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنها قالت : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل ، فإن كانوا في القراءة سواء ، فأصبحهم [8]

---

١) من كبريات القبائل العربية .
٢) ام المؤمنين زوجة الرسول وابنة أبي بكر الصديق .
٣) فضـلا .
٤) شرف الأصل في الإباء .
٥) شرف الأصل في الأمهات .
٦) أصفيـاء .
٧) تقدمهم وكان لهم إماماً .
٨) أشرقهم وأجلهم .

وجهاً . وعن ابن عباس أنه قال : قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : النظر إلى الوجه الجميل البصر ؛ والنظر إلى الوجه القبيح يورث الفلج .

★ قال حُليّلان المغنّي : دخلت دار هارون الرشيد [١] فإذا أنا بجارية خماسية [٢] ، أحسن الناس وجها ، على يدها سطران مكتوبان بالغالية [٣] ، فقرأتها فإذا هما مما عمل في طران الله [٤] ، فتنة لعباد الله وقال بعضهم : سمعت يحي بن سفيان يقول : رأيت بمصر جارية بيعت بألف دينار ، فما رأيت وجهاً قط أحسن من وجهها صلى الله عليها . قال : فقلت له : يا أبا زكريا ، مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك ؟ فقال : وما تنكر عليّ من ذلك ؟ صلى الله عليها وعلى كل مليح : يا ابن أخي الصلاة رحمة .

★ قال : خرج شامة بن لُؤَي بن غالب من مكة حتى نزل بعُمَان على رجل من الأزد .

وكان شامة بن لؤي من أجمل خلق الله ، فقراه [٥] وبات عنده . فلما أصبح قعد يستن [٦] فنظرت إليه زوجة الازدي فأعجبها ، فلما رمى ، مضت إلى سواكه فأخذتها فمصتها ، فنظر اليها زوجها ، فحلب ناقة وجعل في اللبن سماً وقدمه إلى شامة ، فغمزته المرأة ، فأراق اللبن وخرج يسير . فبينما هو في موضع يقال له خرق الجميلة أهوت ناقته في

---

١) أعظم الخلفاء العباسيين غمر الرعية بإحسانه مع ما عرف عنه من عدل .
٢) طولها خمسة أشبار .
٣) طيب معروف ، أخلاط من مسك وعنبر تغلى على النار .
٤) غضب .
٥) أضافه .
٦) ينظف أسنانه .

عرفجة ؟ فانتشلها وفيها أفعى فنهشت مشفريها فحكتها على ساق شامة فمات . فقالت الازد :

إذا ناقتي حلَّت بليلٍ ففارَقت جميلة لَما أنبتَّ منها قرينُها
فقلت لها حِثّي قليلاً فإنني وإياك نخفي عبرة سَتَزِيْنُها
غدرتِ بنا بعد الصَّفاء وخِنْتِنا وشَرُّ مُصافي خلةٍ مَن يخونُها

★ قال سليمان بن أبي سمخ تزوج رجل من تهامة امرأة من نجد فلما نقلها اليه ، قالت له : ما فعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا مارأيتها ههنا ؟ فقال : يحجزها عنا هذان الجبلان . فأنشأت تقول .

أيا جَبَلَيْ نُعمانَ بالله خَلِّيا نسيمَ الصَّبا يُخْلِص اليَّ نسيمُها
فإن الصَّبا ريحٌ إذا ما تنفَّست على قلبِ محزون تجلَّت همومها
أجد بَرْدَها أو يُشْفِ مني حرارةً على كَبدٍ لم يَبْقَ إلا صَمِيمُها

★ قال الزبير حدثني ابي ، قال : كان عندنا بالمدينة رجل من قريش كانت له امرأة تعجبه ويعجبها ، وكانت تحول بينه وبين طلب الرزق ، وكل ذلك يحتمله لشدة محبته اياها فلما ساءت حاله وكثر دَينه قال :

اذا المرء لم يَطْلُب معاشاً لنفسِه شَكَى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكْثَرا
وصار على الأَدنين كَلّاً[1] وأوشكت
قلوبُ ذوي القُرْبَى له أن تَنَكَّرا

---

١) الثقيل لا خير فيه .

فسر في بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنَى   تَعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فَتُعْذَرا

ولا ترضَ من عيشٍ بِدُونٍ ، ولا تَنَمْ ،
وكيف ينامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسرا ؟[١]

وما طالبُ الحاجاتِ من حيث يبتغي
من الناس إلاّ مَن أجَـــدّ وشَمَّرا

فلما اصبح قال لامرأته : أنا ، والله ، أحبك ، ولا صبر لي على مـا نحن فيه من ضيق العيش ، فجهزيني . فجهزته ، فخرج حتى قـــدم على معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) فقام بين الصفين ، فاخبره بحاله ، وأنشده الشعر . فرق له ، وأمر له بالف دينار وقال له : لقـــد دلني حالك على محبتك لاهلك وكراهيتك لفراقهم فخـــذ وانصرف اليهم . فأخذها وانصرف راجعاً .

وانشد الزبير بن بكار : لجميل بن معمر[٢] .

إنْ* كان في حبِّ الحبيبِ حبيبَه   حدودٌ[٣] لقد حَلَّت علي حُـدود

ألا أيها الغيرانُ بي أن أُحِبَّهـــا   بِسَخْطِك ينمو حبُّها ويزيـد

---

*) هكذا في الأصل والأصح لئن .

١) صاحب العُقر وهو قلة ذات اليد .

٢) شاعر عربي من بني عذرة ويكنى بجميل بثينة نسبة الى معشوقته ، توفى في مصر سنة ٧٠١ .

٣) جمع حد وهو يوقع على المذنب المتجاوز لحدود الله أي العقوبـــة .

فلو متُّ كان الموت يخلف الهوى لها في فؤادي وجد وهو جديد *
وتحسب نسوانٌ إذا جئتُ زائراً بثينـــةَ أني بَعْضَهُنّ أُريـد
فتُخْبِرُكم عنّا جَنوب (١) مُضِلَّة وتُخـــبرنا هَتْفَ العَشيّ بُرُود
إذا بَلَغَتْكُم حاجةٌ رَجعَت لنا إليـكم بأُخرى مثلهـا فيعود

وأنشد أيضاً لجميل بن معمر العذري .

تمتعت منـكم يا بثين بنظرة على عجل والناعجات (٢) وقوف
فيا حبـذا أم الوليـد ومربع لنا ولها بالمنحنى (٣) ومصيف
بَثَنْتَانِ (٤) يسترن الوشاح عليها وبطن كطي السابري لطيف

وأنشداه في مثل ذلك أيضاً :

بثينة قالت يا جميـل وسودت مجال القذى (٥) منها بثينة بالكحل

---

* هكذا في الاصل وربما كان على هذه الصورة .
فلو مت كان الموت يخلف الهوى لها في فؤادي الوجد وهو جديد
١) الجنوب ريح عن يمين القبلة ويقال لها النّعامى جهتها بين مطلع سهيل الى مغربه (ن . ر) .
٢) جمع ناعجة وهي من النوق أو النساء البيضاء .
٣) موضع قرب مكة .
٤) البثنة المرأة الحسناء البضة .
٥) ما يقع في العين من ذباب او تبن او وسخ وهنا يريد بمجال القذى العـين بأجفانهـا .

اتصرم حبلي يا جميـل وقادني إليك الهوى قيد الجنيبة[١] بالحبل

وقالت لقينا ما لقيت من الهوى فما مس رأسي من دهان ولا غسل

★ قـــال علي بن المغيرة كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن ابي عقيل اخت الحجاج بن يوسف لابيه وامها الفارعة بنت همـام بن عروة ابن مسعود الثقفي عنـد المغيرة[٢] بن شعبة فرآها يومـاً تتخلل بكرة فقال لها انت طالق والله لئن كان هذا من غذاء لقد جشعت ونهمت ، وان كان من عشاء لقد انتنت وقذرت ، فقالت قبح الله الذواق المطلاق ولا يبعد الله ، والله ما هو الذي ظننت ، ولكنه استمسك بين اسناني شظية من السواك . وكان سبب قول النميري فيها : ان اباها يوسف بن الحكم مرض ، وكان يزيد[٣] معاوية قد ولاه صدقات الطائف[٤] وارض الشراة[٥] ، فنذرت إن الله عافاه أن تمشي الى الكعبة معتمرة من الطائف ، وبين الطائف ومكة يومان وليلتان ، فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوماً ، وكانت جميلة وسيمة فلقيها النميري ، وهو محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي ، ببطن نعمان[٦] فقال :

تَضَوَّعُ مِسْكاً بطنُ نُعمان إذ مَشَتْ

بـــه زينبٌ في نِسْوةٍ عَطِرات

---

١) المنقادة الطائعة .

٢) صحابي نجفي كوفي ولاه عمر البصرة ثم عزله وحمل مع معاوية .

٣) الخليفة الثاني الاموي اشتهر بتهتكه ومجونه .

٤) منطقة وبلد بالحجاز جنوبي شرقي مكة فيها العنب العذب واشتهرت بزبيبها .

٥) موضع بين دمشق والمدينة . (ن . ر)

٦) لعله نعمان الاراك وهو واد وراء عرفة .

تهادين ما بين المحصب[١] من مِنىٍ[٢]
وأقبلن لا شعثاً[٣] ولا غبرات[٤]

مررن بفج رائحاتٍ عشيةً يُلَبِّين للرحمن مؤتجرات
لها أَرَج بالعنبر الورد فاغم[٥] تَطَلَّعُ رياه من الفترات
يُخَبِّينَ أطرافَ البَنَان من التُّقى ويَمْشِينَ شطرَ الليلِ مُعْتَمِرات

وليست كأُخرى أوسَعَت جنبَ دِرْعِها
وأَبْدَت بَنَانَ الكفّ للجمرات

ومالت تَراءى من بعيدٍ فأفْتَنَت برؤيتها من راح من عرفات[٦]
تقسَّمن لُبِّي يومَ نعمان إنني بُليتُ بِطَرْفٍ فاتِكِ اللَّحَظات
يظاهرن أستاراً ودوراً كثيرة ويقطعن دور اللهو بالحجرات
ولما رأت ركب النميري أعرضت وكن من أن تلقينه حذرات
دعت نسوةً شُمَّ العرانين[٧] كالدُّما أوانس[٨] ملءَ العين كالظبيات

١) موضع رمي الجمار بمنى في الحج .
٢) قرية بمكة بينها ثلاثة أميال ، بها تنحر الاضاحي .
٣) مغبرات الشعر متلبداته .
٤) عليهن الغبار .
٥) فغم الورد : انفتح . و ــ المرأة : قبلها .
٦) موقف الحاج يوم عَرَفة .
٧) واحدها عرنين وهو الانف كله أو ما صلب من عظمه ويكنى بشم العرانين عن الانفة .
٨) واحدها آنسة وهي الجارية الطيبة النفس تحب قربك وحديثك .

فأبدَيْن لمـّا قمن يحجبن زينبـا بطوناً لطافَ الطي مضطمرات
فقلت : يعافيرُ [1] الظباءِ تَناولت يَنَاعَ غُصُونِ الورد مهتصرات
فلم ترَ عيني مثل ركبٍ رأيتُه خرجن من التعمير [2] معتمرات
وكُدْت اشتياقاً نحوها وصَبَابة تقطَّعُ نفسي إِثرهـا حسرات
وغادرت من وَجْدِي بزينبَ غمرةً من الحُبّ إن الحُبَّ ذو غَمَرات
وظل صِحَـابي يُظْهرون ملامتي على لوعـةِ الأشواق والزَّفرات
فراجعت نفسي والحَفِيظة إنمـا بللت رداء الغصب بالعـبرات
وقد كان في عصيانيَ النفس زاجرٌ لذي عَـبْرةٍ لو كُنَّ مُعْتَبِرات

★ قـال مسلم بن جنـدب الهلالي كنت مع عبد الله بن الزبـير [3] بنعمان وغلام ينشد خلفه ، وهو يشتمه أقبح الشتم . فقلت له : مـا هذا ؟ فقال : دعـه فاني تشببت باخت هذا الحجاج بن يوسف . فلما قتـل الحجاجُ عبد الله بن الزبير دعا الناس إلى البيعة ، فتأخر محمد [4] حتى قام في آخر الناس ولم يجد من الحضور بداً . فلما دنا منه قال : أمحمد ؟ قال نعم . قال : أنشدني ما قلت . فانشدته قصيدتي هذه فقال : لولا أن يقول قائلٌ لضربت عنقك ، أنج لا نجوت ولا تعد فقال : لا

١) واحدها يعفور وهـو الظبي بلون التراب اسم عام في الظباء .
٢) الاحرام بالعمرة وهي من مناسك الحـج وهي زيارة البيت الحرام بالشروط المحفوظة المعروفة (ن . ر)
٣) هو ابن أسماء بنت أبي بكر . لما مات يزيد بويع له بالخلافـة ثم حاصره الحجاج بمكة وقتله سنة ٦٩٣ .
٤) محمد بن عبدالله بن نمير الثقفي الشاعر (ن . ر)

تعرضت لاسم زينب ما بقيت . قال : ولما خاف النميري من الحجاج عاذ بأبيه يوسف بن الحكم . فلما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير ، قام اليه يوسف بن الحكم وقال له : يا أمير المؤمنين إن فتى منا ذكر زينب بما يذكر به العربي ابنة عمه ، وقد علمت أن هذا لم يزل يتقلب عليه . قال عبد الملك : أليس النميري ؟ قال : بلى ، قد سمعت شعره فما سمعت مكروهاً ! ثم أقبل على الحجاج وقال : لا تعرض له . ويقال أن عبد الملك لما بلغه شعر النميري كتب إلى الحجاج : قد بلغني ما كان من قول النميري ، فلا تدنه فتقطعه ، ولا تقصه فتغره . ولكن أهمله واله عنه . فلم يهجه الحجاج ومن قوله فيها :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف
أكرم بتلك مواقفا وبزينب من واقف

ومن شعره فيها أيضاً :

وما أنسَ من شيءٍ ، فلا أنسَ شادِيا بمكةَ مكحولاً أسيلا مدامعُه
تشرَّبه لونُ الزارفي في بياضِه أو الزعفرانُ خالطَ المسكَ أدْرُعُه

★ قال الزبير[1] بن بكار .

حكى الحسن بن علي مولى بني أمية قال : خرجت الى الشام فلما كنت بالسماهة ودنا الليل رفع لي قصر فاهويت اليه ، فاذا أنا بامرأة لم أر قط مثلها حسناً وجمالاً . فسلمت ، فردت عليّ السلام ، قالت : ممن

---

١) هو ابو عبد الله الزبير بن بكار أحد علماء المدينة (٧٨٦ — ٨٧٠) تولى القضاء في مكة . (ن . ر)

أنت ؟ قلت : من بني أمية . قالت : مرحباً بك ، انزل ، فأنا امرأة من أهلك . فأنزلتني أحسن منزل وبت أحسن مبيت . فلما أصبحت قالت : إن لي اليك حاجة . قلت : ماهي ؟ فأشارت الى دير ، وقالت : إن في ذلك الدير ابن عمي ، وهو زوجي ، وقد غلبت عليه نصرانية في ذلك الدير ، فتمضي اليه وتعظه . فخرجت حتى انتهيت إلى الدير ، فإذا برجل في فنائه من أحسن الرجال وأجملهم . فسلمت عليه ، فرد وسأل . فأخبرته من أنا ، وأين بت ، وما قالت المرأة . فقال : صَدقت ، أنا رجل من أهلك من أهل الحرث بن الحكم . ثم صاح : ياقسطا . فخرجت اليه نصرانية عليها ثياب حبرات وزنانير ما رأيت قبلها ولا بعدها احسن منها . فقال : هذه قسطا ، وتلك أروى ، وأنا الذي أقول :

وبدَّلت قُسْطا بعد أروى وحُبِّها كَذَاكَ لعمري يَذْهَبُ الحبُّ بالحبِّ
وما هي ، أما ذكرُها بنبطيـة كبدرِ الدُّجى أوفى على غُصُنٍ رَطْبِ

★ قال الزبير بن بكار .

حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال كانت بنت أبي عبيدة بن المنذر ابن الزبير عند أبي بكر بن عبد الرحمن من محرمه وكان يخدمها وكانت ذات مال ، ولا مال له . وكانت تضن عنه ، فخرج يريد الشام بطلب الرزق ، فلما كان ببعض الطريق رجع فمر بجلسائه بالمصلى فقالوا : زاد خير . ثم دخل عليها فقالت له : أبخير رجعت ؟ فقال لها :

بينما نحنُ من بَلَاكِثَ (١) فالقا ع(٢) سِراعا ، والعيسُ تهوي هويّا ،

١) موقع في بلاد العرب .
٢) موضع قرب زبالة — وهي موقع أيضاً .

خطَرت خَطْرةَ على القلبِ من ذكراك وَهْناً ، فما استطاع مُضِيّا .
قلتُ : لبيكِ ، إذ دعاني لكِ الشو   قُ وللحَــادِيَيْنِ حبُّ المَطِيّا

قالت له : لا جَرَم [1] والله لاشاطرنّك مالي فشاطرته اياه ولم تدعه للسفر بعد .

★ روى ابراهيم بن حسن بن يزيد ، عن شيخ من ساكني العقيق [2] قال : اني لواقف بالعقيق ، وقد جاء الحاج ، اذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة ، فنظرنا اليها ، فاعجبتنا حالها . فلما كانت حــذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، عدلت الينا ، ونحن ننظر . فنزلت قصراً من تلك القصور فأقامت فيه ساعة ثم خرجت ، فركبت ومضت ، وان عينيها لتنقطان دموعاً . فقلت : لأنظر ما صنعت هذه المرأة ؟ فدخلت القصر ، فــإذا كتاب يواجهني في الجدار ، فقرأتــه فــاذا هو :

أليس كفى حزناً لذي الشوق أن يرى ،
منازلَ مَنْ يهوى معطلةً قفرا ؟
بلى ، إن ذا الشوقِ الموكَّل بالهوى ،
يزيدُ اشتياقاً كلمَّا حاولَ الصَبرا .

وتحته مكتوب : وكتبته آمنــة بنت عمر بن عبد العزيز . وكان

١) أي لامحالة ولا بد او حقاً وهي هنا بمعنى القسم .
٢) واد قرب مكة كان منتزهاً في الشتاء والربيع لما فيه من العشب واكثر ذكره الشعراء . (ن . ر)

سفيان ابن عاصم زوجها فتوفي عنها .

★ ذكروا عن عائشة [١] ، رضي الله عنها ، انها لما قدمت البصرة خطبت وبحضرتها الاحنف [٢] بن قيس وموسى بن طلحة ورجال من وجوه العرب . فقالت بعقب ذلك : « إني أتيت اطلب بدم الامام المذكور برمّته الحرمات الاربع . فمن ردنا عنه بحق قبلناه ، ومن ردنا عنه بباطل قاتلناه . فربما نصر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين » . قال لها موسى بن طلحة : « قد فهمنا كلامك ، فما الاربع حرمات ؟ « فقالت : « حرمة الشهر ، وحرمة البلد ، وحرمة الامامة ، وحرمة الختونة [٣] ، لا يصلح امرؤ بعده ابداً » . فقال لها الاحنف رحمه الله : « إني سائلك ومغلظ لك في المسألة فلا تَجدِين [٤] عليّ . اعندك عهد من رسول الله في خروجك هذا ؟ « قالت : » لا . « قال لها : « أفعندك عهد من رسول الله انك معصومة من الخطأ ؟ « قالت : « لا » . قال لها : صدقت ، أن الله رضي لك المدينة فأبيت الا البصرة ، وأمرك بلزوم بيت نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت بيت الحرسة الضبي [٥] . الا تخبريني يا أم المؤمنين أللحرب قدمت أم للصلح ؟ « قالت : بل للصلح . « فقال لها : والله لو قدمت وما بينهم إلا الخفقَ بالنعال والقذف بالحصبا . ما اصطلحوا على يديك ، فكيف والسيوف على عواتقهم ؟ » قالت : « لقد استغرق حكم الأحنف هجاه أياي ، إلى الله أشكو عقوق أبنائي . »

---

١) من أمهات المؤمنين زوج النبي محمد وابنة ابي بكر الصديق اشتهرت يوم الجمل في محاربة الامام علي بن ابي طالب . وقبرها في البقيع في المدينة .

٢) احد أنصار علي في وقعة صفين .

٣) المصاهرة .

٤) تغضبين من وَجَد يجد ويجُد وجداً عليه اذا غضب .

٥) احد شيوخ بني ضبَّة بن أدمى قبائل العرب قتل منهم سبعون رجلاً في الدفاع عن عائشة يوم الجمل (ن . ر)

★ ذكروا ، انه لما قتل الحجاج عبد الرحمن [1] بن الاشعث ، وأسر من معه ، أمر بضرب رقابهم . فقال رجل منهم : « ايها الامير إني أتيت إليك بشيء». قال : وما هو ؟ قال: « إني كنت جالساً يوماً عند عبدالرحمن فأخذ في عرضك ، فناضلته عنك . « قال : « ومن يشهد لك بذلك ؟ » فقام رجل من الجماعة يشهد له بما قال فقال : « اتركوه . » ثم قال للرجل : « أفلا كنت مثله ؟ » قال له : بغضي فيك لم يدعني اتكلم فيك بمثل ذلك . » فقال : « واتركوا هذا لصدقه » ثم قام رجل اخر فقال : « ايها الامير لئن كنا أسأنا في الخطأ لما أحسنت في العفو . » فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ، أما والله لو كان فيكم من يتكلم والله ما قتل منكم احد . »

---

١) قائد عربي من كندة سيره الحجاج بالجيش الى سجستان واغلظ له القول فانقلب عليه بالثورة لكنه انكسر في وقعة دير الجماجم ورمى نفسه من مشارف حصن فمات .

باب يذكر فيه من صيره العشق إلى الاخلاط والجنون

★ قال بعضهم : مررت بفورك المجنون وقد أتاه أهله بطبيب ، يقال له عبد العزيز ، ليعالجه . فسلمت وقلت : ما خبرك يا أبا محمد ؟ فقال: خبري والله مع هؤلاء المجانين ظريف . أنا عاشق وهم يظنون بي جنّة [1] وقد أتوني بهذا الطبيب ليعالجني . ثم انشأ يقول :

أتوني بالطبيبِ فعالَجُوني على أن قيل مجنونٌ غريبُ
طبيب الأجرِ فيه عساه يوماً من الأيام يَعْقِلُ أو يَتُوب
وما صدقوا الفتى محوي قلبي أجلُّ من أن يعالجه الطبيبُ
وما بي جِنَّةٌ لكنَّ قلبي به داءٌ تموت به القلوبُ
وما عبدُ العزيز طبيب قلبي ولكنَّ الطَبيبَ هو الحبيبُ

★ وقال آخر : مررت بمجنون بيده قصبة وفيها عذبة [2] ، وهو يقول :

إذا ما راية رُفعت بنجد تلقّاها عرابةُ باليمـــين

---

١) الجنون .
٢) خرقة تشد على أعلى الرمح .

قال فأخذت بيد الغلام الذي كان يتعشقه فوقفت بين يديه ، فقال له : كيف أصبحت يا ابا عبد الله ؟ فقال في ساعة بديهة :

أصبحت منكَ على شفا جُرُفٍ متعرِّضاً لموارِدِ التَّلَف
وأراكَ نحوي غير مـــا ثقة متحرِّفاً من غير منحرف
يا من أطال بصدِّه اسفي كَلَفي عليك اشد من اسفي

★ وقال بعضهم : اجتزت بفورك المجنونِ وهو في جماعة من الصبيان راكبٌ قصبةً ، وهو يقول : مَنْ كان عاشقاً منكم فَلْيقف في الميمنة ، ومن كان معشوقاً فليقف في الميسرة . ووقف هو في القلب ، ففكر وقال :

إلى من اشتكيكَ إلى مَنْ الى كم تُرى في قِصَّتي غيرُ مُحْسنِ
إلى كم يدومُ الهجرُ والعتبُ بيننا سألتُكَ بالرحمن ألاّ رَحَمْتَني
فيا لائمي في أحمد لو رأيتَه لما لِمْتني في حبِّه ، وَعذَرتني
أتعجبُ أن قالوا بِفَوْرَكَ جِنَّة بنفسي ومالي من هواه أجنني

ثم قال : احملوا على بركة الله . فحملت الميمنة على الميسرة ، وأخذ كل عاشق معشوقه .

قال ولقيته في يوم خميس في جماعة من الصبيان ، منصرفاً من تشييع غلام كان يحبه ، وهو يحدثهم ويلطم خده ويقول : ما أحرّ الفراق ! ؟ فقلت : يا ابا محمد ، من أين اقبلت ؟ قال : من تشييع الحجـــاج . وبكى ، وقال :

هم رحلوا يوم الخميس عشية فودعتهم لما استقلوا[1] وودعوا
فلما تولوا ولّتِ النفسُ معْهُم ،

فقلت : إرجعي قالت: إلى أين أرجع؟

إلى جسد ما فيه لحم ولا دمُ ولا فيه إلا أعظم تتقعقع[2]
وكذّبت فيك الطرف ، والطرفُ صادقٌ
وأسمعت أُذني فيك ما ليس أسمع

★ قال الحسن بن رفاعة : رأيت علوية المجنون يوماً وفي عنقه حبل والصبيان يجرونه ، فلما رآني قال : يا ابا علي بماذا يعذب الله اهل الجرائم يوم القيامة ؟ قلت : بأشد العذاب . قال : فانا ، والله ، في أشد من عذابه . لو عذب الله اهل جهنم بالحب والهجر والرقباء لكان أشد عليهم ، ثم قال :

انظر الى ما صنع الحُبُّ لم يبق لي جسم ولا قلبُ
انحل جسمي حبُّ مَنْ لم يَزَل من شأنه الهجرانُ والعتبُ
ما كان أغناني عن حبِّ مَنْ مِن دُونه الأستارُ والحُجْبُ

قال : وحضرته وقد اتوه بطبيب يعالجه ، والطبيب يعاتبه ويقول له : لو تركتني لعالجتك ورجوت أن تبرأ ، فقال في ذلك :

---

١) ارتحلوا .
٢) تصوت .

أنا منك أعلم أيها المتكلم ... ما بي أجلُّ من الجنون وأعظم
أنا عاشق ، فان استطعت لعاشق ... برأ مَنَنْتَ به وأنت مُحَكَّم
هيهات ، أنت لغير ما بي عالم ... وسواك ، بالداء الذي بي أعلَمُ
دائي دسيس[1] ، قد تضمنه الهـــوى ، تحت الجوانح ناره تَتَضَرَّمُ

قال : ومررت ببعض المجانين وهو جالس وحده متفكراً ، فقلت : ما خبرك ؟

أقول بأعلى الصوت ما بي جِنَّة ... وما بي إلا حبُّ من ليس يُنْصِف
وما بي جنونٌ غير أنَّ بليتي ... اذا انكشفت منه أرق وألطف
بنفسي وأهلي ، من أرى الموت جهرة ،
إذا ما بدا منه البنان المطرَّف[2]

قال : وكان فورك يتعشق غلاماً يسمى غلَباً فأتاه بعضُ إخوانه فقال : إني خارج نحو غلب ، فهل من حاجة ؟ فقال :

نعم أوصيك إن أبصرت غُلْبا ... فقبِّل وَجْنتيه وإن تأبَّى
وقُلْ هذي وصية مستهام ... إليك قَتَلْتَه شُغفاً وحُبّا

★ ودخل مهدي على بعض ولاة اليمامة ، فسأله الوالي عن مجلسه مع

---

١) الذي لا يؤثر فيه دواء .
٢) المخضب بالحناء .

ظبية، واستنشده ما قال فيها من الشعر . وكان ابن ظبية حاضراً ، فأنشده مهديّ بيتين يصفها فيها بالعفاف . فقام ابنها فنزع عن نفسه جبة خز ووشاحاً ألقاهما على مهدي لما وصف أمه بالعفاف .

★ قال احمد بن يحي : كان القيطنون متملكا على اهل المدينة ، وكان قد سامهم خسفاً ، وشرط عليهم انه لا تدخل امرأة على زوجها حتى يبدأ بها . فَزوّج مالك بن عجلان الخزرجي أخته . فلما جهزها واراد اهداءها الى زوجها ، وهو قاعد في مجلس الخزرج ، إذ خرجت أخته على الحي سافرة . فغضب مالك ، ووثب اليها ليتناولها بالسيف ، وقال لها : فضحتني ، ونكست رأسي ، وأغضضت بصري . فقالت له : الذي تريد بي انت شر من هذا وأقبح وافضح . ان كنت تهديني إلى غير بعلي فيصيبني ، فهذا شر من خروجي سافرة حاسرة ! فقال مالك : صدقت ، وأبيك . وسكت عنها ، فلما رجعت الى خدرها دخل اليها ، فقال لها : هل فيك من خير ؟ فقالت : أي خير عند امرأة إلا أن تناك ؟! فقال لها : اكتمي ما أريده . قالت : نعم . فشرح لها ما عزم عليه . فلما أمست أتتها رسل القيطنون ليأتوه بها ، فلبست وتعطرت وتحلت ، ولبس معها وتعطر واشتمل على السيف ومضى معها في جملة نسائها إلى قصر القيطنون . فلما خلا بها في مشربة [1] له ، ودنا منها تنحى نساؤها عنها إلا مالك وحده ، فقالت للقيطنون : بحق التوراة ألا امهلتني ساعة حتى ترجع نفسي فيها الي ، وتركت أختي هذه تؤانسني عندك ، فإني الفتها من بين أهلي ؟ فقال : نعم . فلما هدأت ساعة ، قال : تقدمي إلى فراشك حتى الحقك . فقام القيطنون إلى باب مشربته فأغلقه ، وأتى فراشه . وكشف مالك عن السيف ثم ضربه به حتى برد . فاجتمع الحيان من

١) الغرفة التي يشربون فيها .

★ قيل لاعرابي : مـا كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى ؟ قال : كنت أمتع عيني في وجهها ، وقلبي من حديثها ، وأستر منها ما لا يحبه الله ولا يرضى بكشفه إلا عند حله . قيل : فان خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك ؟ قـال : أكِلُ قلبي الى حبها ، ولا أصير بقبيح ذلك الفعل الى نقض عهدها .

★ ويروى عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنـه قال : سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه متعلق بالمسجد حتى يعود اليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقه فلم تعلم شماله مـا تُسِرُّ يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .

★ وعن عبد الملك بن قريب الاصمعي (١) قـال : بصرت الزباء بعمر ابن أبي ربيعة (٢) ، وهو يطوف بالبيت ، فتنكرت له وفي كفها خلوق (٣) ، فمسحته بثوبه ، فقال :

أدخل الله رب موسى وعيسى   جنة الخلد من مـلاني خلوقا
مسحت كفها بجيب (٤) قميصي   حين طفنا بالبيت مسحاً رقيقا

---

١) أحد أئمة اللغـة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتهـا . عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين له عدة مؤلفات ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .

٢) من شعراء الغزل العربي لطيف الاسلوب كان يتعرض لحسناوات العرب وتاب في أواخر أيامه . وشعر أكثر من النوع القصصي يدع الحبيبة تتغزل به .

٣) ضرب من الطيب يتخذ من زعفران وغيره أو هو الزعفران . (ن . ر)

٤) الجيب من القميص : طوقه .

لو تجازى القلوب بالودِّ أمسى قلبها مائـــلاً إلينـا شفيقا

فنظر اليه عبد الله[1] بن عمر في تلك الحالة ينشد الابيات ، فقال : ما هذا زي المحرم وما يحل للمحرم أن يقول مثل هذا القول في هذا الموضع ! فقال : يا أبا عبد الرحمن قـد سمعت مني ما سمعت ، فورب هذه البنية ، ما حللت إزاري على حرام قط .

★ قال الهيثم بن عدي دخلت ليلى بنت عبـد الله الاخيلية[2] على الحجاج[3] وعنده وجوه الناس وأشرافهم . فاستأذنته في الانشاد ، فأذن لها ، فأنشدته قصيدة مدحته بها . فلما فرغت من انشادها ، قال الحجاج لجلسائه : أتدرون من هذه الجارية ؟ قالوا : لا نعلم ، اصلح الله الامير ، ولكنا لم نر امرأة أكمل منها كمالا ، ولا أجمل منها جمالاً ، ولا أطلق لساناً ، ولا أبين بياناً ، فمن هي ؟ قال : هذه هي ليلى الاخيلية صاحبة توبة[4] بن الحمير الذي يقول فيها :

---

١) من عيون الصحابة والفرسان ، حارب تحت امرة سعيد بن العاص في طبرستان حكم في أمر الخلافة بين علي ومعـاوية فلم يبت الحكم قبل أن يأخذ رأي الجماعـة . ولكن هواه لم يكن مع علي .

٢) شاعرة عربية مشهورة لها عدة مراثي ومن أقوالها :

لعمرك ما بالموت عـار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المعـــابر
وما أحد حيٌّ وإن عاش سالماً بأخـــلد ممن غيبته المقـــابر

٣) الحجاج بن يوسف أحد ولاة الأمويين على الحجاز وعنـــد ثورة مصعب بن الزبير رمى الحجاج مكة بالمنجنيق . ثم تولى على العراق فأخمد الفتن بقسوة . ويعد من أكبر طغاة الولاة . وله خطب مشهورة .

٤) شاعر من عشاق العرب المشهورين أحب ليلى الاخيلية . خطبها من أبيها فلم يزوجه بها لأنه شبب بها واشتهر حبه لها . وهذا ما يأنف منه العرب .

نأتكَ بليلى دارُها لا تزورهـا   وشَطّ[1] نواها واستمر مريرها[2]

ثم قال لها : يا ليلى ما الذي رَابه[3] من سفورك حيث يقول :

وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقت   فقد رابني منها الغداة سفورها

قالت : أصلح الله الامير ، لم يرني قط الا متبرقعة وكان أرسل إلي رسولاً أنه يلم بنا ، ففطن الحي لرسوله ، فاعدوا له وكمنوا ، وفظنت لذلك ، فلم يلبث ان جاء ، فألقيت ، برقعي وسفرت له ، فلما رأى ذلك أنكره وعرف الشر ، فلم يزد أن سلم عليّ وسأل عن حالي وانصرف راجعاً . فقال الحجاج لها : لله درك فهل كانت بينكما ريبة ؟ قالت : لا ، والذي أسأله أن يصلحك ! الى أن قال مرة قولاً ظننت أنه خضع لبعض الامر ، فقلت له مسرعة هذا الشعر . وأنشأت وهي تقول

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها   فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه   وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا ، والذي أسأله صلاحك ، ما كلمني بشيء بعدها استربته حتى فرّق الدهر بيني وبينه .

★ قال أبو عثمان : قد ترى الاعرابي ، وظاهره ظاهر الجفاء ، فما

---

١) بعدت .
٢) استحكم عزمها .
٣) أرقعه في الشك والريبة . (ن . ر)

هو إلا أن يعشق حتى تجده أرق من الماء ، وألطف من الهواء . ومع ذلك يلقى أحدهم عشيقته فيترشفها [١] ويعانقها من دون الثياب ويمنعه التكرم ويحجزه الوَرَع [٢] عن وَطْئِها [٣] وان أمكنته . قال ابن هرمة [٤] .

ولرب لذة ليلة قد نلتها وحرامها لحلالها مدفوع

ويقتصرون على الحديث والقبل واللمس .

★ قال العتبي [٥] : قيل لبعض الاعراب ، ما الذي ينال أحدكم من عشيقته اذا خلا بها ؟ قال : اللمس والقبل والحديث . قال : فهل يطؤها ؟ قال : بأبي أنت وأمي ليس هذا عاشقاً هذا طالب ولد .

قال : وكان الشرط بين العاشق ومعشوقه اذا خلوا أن يكون له نصفها الاعلى من سرتها الى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء ، ولبعلها من سرتها الى أخمصها . وأنشد ابن الاعرابي [٦] في مثل ذلك :

فَلِلْخِلِّ [٧] شطرٌ مطلقٌ من عِقَالِه وِلِلْبَعْلِ [٨] شطرٌ ما يرامُ منيعُ

وأنشد ابو عمرو بن العلاء [٩] في نحوه :

---

١) ترشف : مَصّ . ٢) التقوى . ٣) مجامعتها .
٤) شاعر نشأ في المدينة في العصر العباسي الأول .
٥) لعله أبو نصر محمد العتبي المؤرخ الحجة (٩٦١ – ١٠٣٦) .
٦) لعله ابن الاعرابي الكوفي أحد أئمة اللغة ومن مؤلفاته « النوادر » و « الأنوار » .
٧) الصديق الودود .
٨) الزوج .
٩) من أئمة النحو البصريين .

لها نصفان من حـــل وبل ونصف كالبَحِيرَة[١] ما يهاج

يقول نصفها الاعلى لعشيقها طلق ، ونصفهـا الآخر عليه كالبحيرة – فانها كانت في الجاهلية حرامـاً لا تهاج ولا تركب ولا تمنع من كلأ ولا ماء – وأنشد الاصمعي لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته :

فهل لك في البـــدال أبا زنيم وأقنع بالاكارع[٢] والعجوب[٣]

قال ابراهيم بن بشارة النظام : قـــد يمكن الرجل ان يحتجر عن ذلك ما دام ليس له هنالك الا الحديث والقبلة ، فاما اذا ترشفها وعانقها من دون ثيابها فلا بد ان ينعظ[٤] وينشط ، واذا انعظ وهو في الازار معها انتقض العزم ، كما قال عبد الرحمن بن ام الحكم :

وكأس ترى بين الاناء وبينهـــا قذى العين قـد نازعت أم ابان
ترى شاربيهـــا حين يعتورانهـا يميلان أحياناً ويعتـدلان
فما ظن ذا الواشي بأبيض ماجد وبيضاء خود حـــين يلتقيان
دعتني أخا أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتني أخاها بعد ما كان بيننا من الأمر ما لا يفعل الاخوان

١) الناقة أو الشاة تنتج عشرة أبطن فيتركونها بلا راع .
٢) واحدها كراع وهو ما دون الركبة من مقدم الساق .
٣) واحدها عجب وهو أصل الذنب عنـــد رأس المصعص وكنى بالاثنين عن نصف المرأة السفلي .
٤) انتشر ذَكَره . (ن . ر)

★ وقد ذكرنا : أن اهل طبرستان [١] لا تتزوج الجارية منهم حتى يستظهر [٢] بها حولا كاملاً محرماً ثم يقدم بهـا فيخطبها الى أهلها ثم يتزوج بها ، ويزعمون مع ذلك انهم يجدونها بكرا ، وقد عانقها في ازار واحد سنة تامة وهو لا يستظهر بها ، ويحتمل وحشة الاغتراب ، وانقطاع الاسباب إلا من عشق غالب . ولا يجوز أن تؤاتيه الجارية الا وبهـا شبه الذي به . وان من أعجب العجب ان يمكثا متعانقين في لحـاف واحد ثم يحتجران عن الزنا تكرماً وتحرجاً ! وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب .

★ ومن قول سهيل بن [٣] هرون : ثلاثـة من المجانين وان كانوا عقلاء : الغضبان ، والعزبان ، والسكران . فقال له ابو عبدالله الخليع : والمنعظ يا ابـا عمرو ؟ فقال : والمنعظ . وضحك وأنشد :

وما شر الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذي لا تصحبينا

★ قال الاصمعي : كان فتى من ثقيف [٤] شديد الحياء ، كريماً اديباً . فبينا هو جالس ، اذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتمالك أن قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هي ، وأين تريد . وقد كلف بهـا واشتد عشقه لها ، فاتبعها حتى دخلت منزل اخيه فاذا هي امرأته ، فضاق به الامر ولم يدر ما يصنع ، وكتم شأنه ، وجعل ما به يزداد كل يوم حتى

---

١) بلاد واقعة جنوبي بحر قزوين وشمالي جبال ألبرز .

٢) احتاط واستوثق .

٣) شاعر وناثر عربي والى البرامكة وحفظ التقاليـد المأخوذة عن الفرس وهو من اهل الشعوبية .

٤) لقب قبيلة اسمها قسي . كانت في الطائف واشتركت في الفتوحات الاسلاميـة وانحازت الى بني امية فتمزق شملها . (ن . ر)

نحل جسمه ، فانكر شأنه اخوه واهله وسألوه عما به . فلم يخبرهم بشيء من امره . فدعا اخوه الاطباء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيئاً ، فلما اعياهم ما به ، وزاد سقمه ، سلمه اخوه الى الحرث بن كلدة [1] وكان من اطباء العرب فنظر اليه الحرث فلم ير به داء ينكر ، غير انه ظن انه عاشق . فخلا به الحرث فسأله ، فأبى ان يقرّ له بشيء . فلما أعيا الحرث جعل يسأل عن اسمائهم واسماء نسائهم ، والفتى ملقى بين يديه ، كلما سميت امرأة منهم نظر الحرث وجه المريض حتى جاء اسم امرأة اخيه فارتاح وتنفس ، واغرورقت عيناه بالدموع . فعلم الحرث امره ، وقال لاخيه : إذهب فجئني بجميع اهليكم ، ولا يتخلف عني احـــد منهم امرأة ولا رجلاً ، فإني قد وقعت على دائه . فخرج اخوه حتى اتى اهله ، فجمعهم في منزل ونقل الحرث المريض اليهم ، وقال : لا يغيبن عنه امرأة ولا رجل . فلما نظر الرجل الى امرأة اخيه خفّ عنه بعض ما كان يجده . فعرف الحرث ذلك منه ، فأمر بشاة فذبحت ، واخرج كبدها فوضعها على النار ، ثم اطعمه منها فأكل ثم مزج له شربة خفيفة فسقاه ، وفعل ذلك به اياماً يزيده في كل يوم شيئاً قليلاً في مطعمه ومشربه . فحسنت حاله ، ورجع اليه بعض جسمه . فلما رأى الحرث انه قوي بعض القوة صنع له طعاماً وهيأ له شراباً ثم احضر الفتى وأخـاه فطعما وشربا ، وأمر الحرث اخاه ان ينصرف وقـــام هو ووكّل هو بالفتى من يسقيه ويغنيه ، وقال : احفظ حديثه ، وكل ما يتكلم به ، وحدثه كل حديث تعرفه في العشق واخبار العشاق ، واشعارهم . فلما اخـــذ الشراب في الفتى تغنى :

أهلَ ودي ، ألا اسلموا وقفوا كي تكلموا :

---

١) عاش في الجاهلية أصله من الطائف . طبيب من أطباء العرب وكان يضرب العود .

أخـــذ الحي حظهم مـــن فؤادي وأنعم ،
فهمـــومي كثيرة ، وفـــؤادي متـــيم ،
وأخو الحـــب جسمه أبـــد الدهر يسقم .

فلما أصبح الحرث ، دعا الموكل بالفتى فسأله ، فعرّفه بكل شيء ، فحدثه وأنشد الأبيات التي تغنى بها . فدعا أخاه فعرفه إنه عاشق لامرأته . فقال له : يا أخي أنا أنزل لك عنها ، وتتزوجها . فلما سمعه الفتى استحيا وخرج هارباً على وجهه ، فلم يقفوا له على خبر الى اليوم فسمي فقيد ثقيف .

★ وروى نافع مولى ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينـــا ثلاثة نفـــر يمشون اذ اخذهم المطر فـأووا الى غار [1] في جبل . فانحط عليهم من الجبل صخرة فانطبقت عليهم ، وقال بعضهم : انظروا اعمالاً عملتموها لله صالحة ، فادعوا الله بها . فدعوا الله ، تبارك وتعالى ، فقال احدهم :

« اللهم انك تعلم انه كان لي ابوان شيخان كبيران ، وامرأة وصبيان ، فكنت أرعى عليهم فاذا رحت اليهم حلبت ، وبدأت بوالديّ اسقيهما قبل بني . واني لم آت يوماً حتى أمسيت ، فوجدتهما قد ناما ، فحلبت كما كنت احلب ، فقمت عنـــد رؤوسهما اكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن ابدأ بالصبية قبلهما ، فجعلوا يتضاغون [2] تحت قدمي ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى طلع الفجر . فإن كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغـــاء وجهك ، فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء » . ففرج الله له فرجة .

---

١) الكهف .

٢) من ضغا ، ضُغُواً : استخذى أو استغاث أو صوّت .

وقال الاخر : « اللهم انك تعلم انه كانت لي ابنة عم فاحببتها كاشد ما يحب الرجال النساء ، فطلبتُ اليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بهـا ، فلما قعدتُ بين رجليها ، قالت : « يا عبد الله ، اتق الله ولا تفضّن الخـاتم[1] الا بحقه . فقمت عنها فإن كنت تعلم اني فعلت ذلك إبتغاء وجهك ، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء » . ففرج الله جل ثناؤه فرجة .

وقال الآخر : « اللهم انك تعلم أني استأجرت أجيراً فلمـــا قضى عمله ، قال : أعطني حقي . فأعرضت عنه وتركته ، ثم اشتريت بحقه بقراً وراعياً لها فجاءني بعد حين ، فقال لي : « اتق الله ولا تظلمني ، واعطني حقي . فقلت له : إذهب إلى تلك البقر وراعيها . فأخذهـــا وذهب ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغـاء وجهك ، فافرج لنا ما بقي . » ففرجها الله عنهم .

★ قال الأصمعي : قلت لإعرابية من بني عذرة : أنتم أكثر الناس عشقاً فما تعدون العشق فيكم ؟ قالت : الغمزة والقبلة والضمة . ثم قالت :

ما الحب إلا قبـلة ، وغمز كف ، وعضد .
ما الحب إلا هكذا ، إن نكح الحب فسد .

ثم قالت : وأنتم يا حضر ، كيف تعدون العشق فيـــكم ؟ قلت : يقعد بين رجليها ويجهد نفسه . فقالت : يا ابن أخي ، ما هذا عاشقاً هذا طالب ولد .

---

١) كناية عن البكارة .

★ وروي عن عبد الرحمن بن عوف [١] ، عن النبي ﷺ أنه قال : إذا صلت المرأة خمسها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، دخلت الجنـــة .

★ عرض الحجاج سجنه يوماً ، فأتي برجل فقال له : مـــا كان جرمك ؟ قال : أصلح الله الامير ، أخذني العَسَس [٢] وأنا مخـــبرك بخبري ، فإن يكن الكذب ينجي فالصدق أولى بالنجاة . فقال : مـــا قصتك ؟ قال : كنت أخاً لرجل فضرب الامـــير عليه البعث [٣] الى خراسان [٤] ، فكانت إمرأته تجد بي وأنا لا أشعر ، فبعثت إلي يومـــاً رسولاً قد جاء كتاب صاحبك فهلم فلتقرأه . فمضيت اليها ، فجعلت تشغلني بالحديث حتى صلينا العشاء ، ثم أظهرت لي مـــا في نفسها ، ودعتني الى السوء ، فأبيت ذلك . فقالت : والله لئن لم تفعل لأصيحن ولأقولن أنك لص . فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هارباً . وكان القتل أهون علي من خيانة أخي . فلقيني عسس الامير فأخذوني . وأنا أقول متمثلاً :

رُبَّ بيضاءَ ذاتِ دِلّ وحُسْن قـــد دعتني لوَصْلِها فأبَيْتُ
لم يكن شأني العَفَافُ ولكن كنت نَدْمان [٥] زوجها فاستحيت

فعرف صدق حديثه وأمر بإطلاقه .

---

١) أحد العشرة الذين بشرهم النبي بالجنة . كان في الهجرتين في الحجاز والحبشة . وقاد القتال في دومة الجندل فتزوج ابنة أميرها .
٢) الذين يطوفون في الليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة .
٣) الجيش أو كل قوم بعثوا .
٤) بلاد قديمة في آسيا تتقاسمها اليوم ايران وافغانستان ومقاطعة تركانيا السوفياتية . فيها حشد أبو مسلم جيوشه ضد الامويين .
٥) المنادم على الشراب أي جليس المرء في شرابه . (ن . ر)

★ قيل لبعض الاعراب ، وقد طال عشقه لجارية : مـا أنت صانع لو ظفرت بها ولا يرا كا غير الله ؟ قال : إذاً ، والله لا أجعله أهون الناظرين ، لكني أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها ، حديث يطول ، ولحظ كليل [1] وترك ما يكرهه الرب ، وينقطع به الحب .

★ قال محمد بن عبيد الزاهد [2] : كانت عندي جارية فبعتها ، فتبعتها نفسي ، فسرت إلى مولاها مع جماعة إخوانه ، فسألوه أن يقيلني ويربح عليّ ما شاء ، فأبى ، فانصرفت من عنده مهموماً مغموماً ، فبت ساهراً لا أدري ما أصنع ، فلما رأيت ما بي من الجهد ، كتبت اسمها في راحتي ، واستقبلت القبلة . فكلما طرقني طارق من ذكرها رفعت يدي الى السماء وقلت : يا سيدي هذه قصتي . حتى إذا كان في السحر من اليوم الثاني ، إذا أنا برجل يدق الباب ، فقلت : من هذا : أنا مولى الجارية . ففتحت ، وإذا بها . فقال : خذها بارك الله لك فيها ! فقلت : خـذ مالك والربح . فقال : ما كنت لآخذ ديناراً ولا درهما . قلت : فلم ذلك ؟ قال : أتاني الليلة في منامي آت فقال : رد الجارية على ابن عبيد الله ، ولك الجنة .

★ وكان عبد الرحمن بن ابي عمار فقيه اهل الحجـاز قـد مَرَّ بنخّاس [3] معه فتيات ، فنظر اليهن ، فتعلق بواحـدة منهن ، فاشتد وجده بها ، واشتهر بذكرها ، حتى اتى اليه عطاء [4] ومجاهد [5] يعذلونه .

---

١) ضعيف .

٢) لعله ابو عمر محمد الزاهد أحد نحويي الكوفة اشتهر بمحافظته وتعصبه للأمويين.

٣) تاجر العبيد .

٤) لعله عطاء بن أبي رباح وهو فقيه محدث نشأ في مكة وتولى فيهـا الافتاء .

٥) هو علي بن مجاهد الكابلي حدث عن موسى بن عبيدة وعتبة ، وحدث عنه احمد بن حنبل .

فلم يكن جوابه الا ان قال :

يلومني فيك أقوام أجالسهم   فما أبالي أطال اللوم أم قصرا

فانتهى خبره إلى عبدالله بن جعفر [١] فخرج حاجاً بسببه ، وبعث إلى مولى الجارية واشتراها منه باربعين الفاً ، وامرَ قيِّمةَ [٢] جواريه فحلّتها وزينتها . وبلغ الناس قُدومه ، فدخلوا اليه للسلام عليه وفيهم عبد الرحمن بن أبي عمار . فلما أراد الشخوص استجلسه ، فقال له : ما فعل حب فلانة ؟ قال : مشوب باللحم والدم والمخ والعظم والعصب . وأمر بالجارية فأخرجت اليه ، وقال : هي هذه ؟ قال : نعم ، أصلحك الله . قال : إنما اشتريتها لك ، فوالله ما دنوت منها ، فشأنك بها ، فهي لك مباركة . وأمر له بمائة الف درهم ، وقال له : خذ هذا المال لئلا تهتم بها وتهتم بك . قال ، فبكى عبد الرحمن فرحاً وقال : يا اهل البيت قد خصكم الله بأشرف ما خص به احداً من صلب آدم ، فلتهنئكم هذه النعمة ، وبارك لكم فيها . فكان هذا الفعل بعض ما اشتهر به عبدالله بن جعفر من الجود .

★ وقيل لأعرابي : أتعرف الزنا : قال : وكيف لا . قيل : فما هو ؟ قال : مص الريقة [٣] ، ولثم العشيقة ، والأخذ من الحديث بنصيب . قيل : ما هكذا نعده فينا ! قال : فما تعدونه ؟ قيل : النق الشديد أن تجمع بين الركبة والوريد ، وصوت يوقظ النوام ، وفعل يوجب كثيراً من الآثام . قال : لله ما يفعل هذا العدو البعيد ، فكيف الصديق الودود .

---

١) هو ابن اخي علي ولد في الحبشة وجاء مع أبيه الى المدينة . لقب ببحر الجود لكرمه . (ن . ر)

٢) متولية .   ٣) لعاب الفم .

★ وقيل لآخر : ما كنت صانعاً لو ظفرت بمن تهوى ؟ قال : كنت أطيع الحب في لثامها ، وأعصى الشيطان في آثامها ، ولا أفسد بضع عشرة سنين فيما يبقى ذميما عاره ، وينشر قبيحه أخباره في ساعة تفقد لذتها . إني إذاً لئيم ، ولم يلدني كريم .

★ وقيل لآخر : ما انت صانع ان ظفرت بمن تحب ؟ قال : أحلل ما يشتمل عليه الخمار [1] واحرم ما كتمه الازار [2] ، وأزجر الحب عما يغضب الرب .

★ وقيل لليلى [3] هذا قيس [4] مات لما به من عشقك . قالت : ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه . قيل لها : فما عندك حيلة تخفف ما به ؟ قالت : صبري ، وصبره ، أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

★ وقيل لعفراء [5] ، وقد بلغها ما نزل بعروة [6] ، فكادت تبوح بسرها فقيل لها : أما عندك له حيلة تخفف ما به ؟ فقالت : والله ، لأنا أسَرُّ بذلك وأشوق اليه منه ، ولكن لا سبيل إلى احتمال العار ، ودخول النار .

---

١) ما تستر به المرأة رأسها وكنى بذلك عن القسم الاعلى من الجسد .

٢) ما يؤتزر به أي اللباس وكني به عن القسم الأسفل ما دون الصدر من الجسد .

٣) ليلى العامرية حبيبة قيس .

٤) هو قيس بن الملوح الشاعر الذي جن بحب ليلى وتاه في الصحراء يتغنى بحبه لها إلى أن مات . ولعل أخباره من الاساطير .

٥) هي حبيبة عروة .

٦) شاعر من شعراء الحب والجمال وقيل أن لا وجود له .

★ وقيل لمية [١] ، بعد موت قابوس [٢] : ما كان يضرك لو أمتعته بوجهك قبل موته ؟ قالت : منعني من ذلك خوف العار ، وشماتة الجار . ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه ، غير أني وجدت ستره أبقى لنا لما في الصدر من المودة ، وأحمد للعافية .

★ وقيل لابنة ملك من ملوك الفرس ، وقد أجهدها عشق رجل من أساورة أبيها : لو رَوَّحْت [٣] عن قلبك بالاجتماع معه ، كف ذلك من وجدك . قالت : إن الامر على ما تصفون ، ولكن ما عذري إذا هتكت ستري ، وأظهرت أمري ، عند من لا يلزمه عاري ، ويرغمه اشتهاري ، والله لا كان هذا أبدا .

★ وحكى السري بن المطلب قال : كان الحرث بن الشريد يعشق عفراء بنت أحمر . فلما عيل صبره كتب اليها :

صَبَرْتُ على كِتْمانِ حُبِّك برهـة
وبي مِنْكِ في الأحشاء أَصْدَقُ شاهد
هو الموت إن لم يأتني منك رقعةٌ تقوم لقلبي في مقام العوائـد

فلما وصلت الرقعة كتبت إليه :

كُفِيْتَ الذي تخشى وصرت إلى المُنى ونلت الذي تهوى برغم الحواسد

١) لعلها مية بنت عاصم احدى نساء العرب خطبها ذو الرمة الشاعر فأبت التزوج به وكثيراً ما يتشبب الشعراء باسمها .
٢) لعله غيلان بن عقبة الملقب بذي الرمة .
٣) وسعت او أرحت او انتعشت . (ن . ر)

فوالله لولا أن يقالَ تظننا بي السوء ، ما جانبت فعل العوائد

فلما وصلت الرقعة اليه وضعها على وجهه ، فلما شم رائحة يدها شهق شهقة فقضى نحبه . فقيل لعفراء :ما كان يضرك لو روحت عن قلبه وأجبته بزورة ؟ قالت :منعني من ذاك قولكن عفراء قد صَبَت إلى الحرث ! فوالله لاقتلن نفسي إثره من حيث لا يعلم بي احد إلا الله . فلحقت به سريعاً .

★ قال العتبي : عشق كامل بن الرضين اسماء بنت عبدالله بن مسافر الثقفية ، وهي ابنة عمه ، فلم يزل به العشق حتى صار كالشن[1] البالي . فلما اشتد ما بـه ، شكا ابوه إلى أبيها فزوجها له ، فحمل إلى دارها وفيه رمق ، فلما دخل الدار ، قال : أو أنا بموضع تسمع اسماء كلامي ؟ قيل : نعم . فشهق شهقة قضى مكانه . فقيل لها : يا اسماء ، قد مات بغصة . قالت : والله لأموتن بمثلها ، ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني قبح ذكر الريبة ، وسماجة الغيبة . وسقطت في المرض ، فلما اشتد بها ، قالت لاخص نسائها : صوري لي صورته ، فإني أحب ان ازوره قبل موتي . ففعلت . فلما رأت الصورة اعتنقتها وشهقت شهقة قضت نحبها . فدفنت مع الفتى في قبر واحد . وكتب على قبرهما :

بنفسي هُما ما مُتّعا بهواهما على الدهر حتى غُيّبا في المقابر
أقاما على غيرِ التزاورِ برهةً فلما أُصيبا قُرّبا بالتزاور
فيا حُسْنَ قبرٍ زار قبراً يُحبه ويا زورةً جاءت بريب المقادر

---

١) القربة الخلق ، البالية .

★ قال العتبي : قال أعرابي : إن لم يكن العشق ضرباً من السحر انه لِسَعْةٌ من الجنون .

★ وسئلت إعرابية عن الهوى ، فقالت : هو الهوان غلط باسمه ، وإنما يَعرف ما نقول من ابكته المعارف والطلول .

★ وسئلت إعرابية عن صفة الهوى ، فقالت :

الحب أوله مَيْل تهيم بــه   نفسُ المحبِ فيلقى الموت كاللّعِب
يكون مبدؤه من نظرة عَرَضت   أو مزحةٍ أشعلت في القلب كاللَّهَب
كالنار مبدؤها من قدحةٍ ، فإذا   تضرمت أحرقت مستجمع الحطب

وانشد لابي جعفر الطربخي .

ليس خطب الهوى بخطب يسير   لا يُنَبِّئك عنــه مثلُ خبير
ليس أمرُ الهوى يــدبّر بالرأ   ي ولا بالقياس والتفكير
إنما الحب والهوى خطراتِ   محدثات الأُمورِ بعد الأُمور

★ وقال إعرابي : إن الصبر على الهوى اشد من الصبر على البلاء ، كما أن الصبر على المحبوب اشد من الصبر على المكروه .

★ وليمَ بعضُ الحكماء على الهوى ، فقال : لو كان لذي هوى اختيار لاختار أن لا هوى . وانشد لمجنون ليلى :

أُصَلّي فلا أدري إذا ما ذكرتُها   أثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ الضُحَى أمْ ثَمانيا

أراني إذا صلَّيتُ أَقبَلْتُ نحوَها بوجهي وإن كان المُصَلّى ورائيا
ومــا بي إشراكُ ولكنَّ حبَّها وعُظْمَ الجَوَى أعيا الطبيبَ المداويا

وانشد لابي العتاهية :

لا باركَ اللهُ فِيمَن كان يُخبرني أن المحبِّين في لهــوٍ ولَذّات
لَمَوْتَةٌ تأخذُ الانسان واحـدةٌ خير له من لِقَاء الموت مرات

وانشد لأعرابي :

وللحب أغصان تراهـا نَضِيرةً وفي طَعْمِها للعاشقين ذُعاف[1]
رأيتُ المنايـا في عيونِ أوانسٍ تُقَتِّلْنَ أرواحـاً وهُنّ ضِعاف

وأنشد :

رأيت الحب نيرانــاً تَلَظَّى قـلوبُ العـاشقين لهــا وَقود
فلو كانت ، إذا فنيت تقضت ، ولـكن مثل مــا كانت تعود
كاهل النار إذ فنيت جــلودٌ أُعيد من الشّقاء لهم جــلود

★ وركبت سكينة[2] بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله

١) السم الذي يقتل من ساعته .

٢) كانت من أجمل النساء وأحسنهن وأجبرهن على الألم وكانت ذواقة للأدب والشعر .

عنهم مع جواريها ، فمرت بعروة بن أذينة الليثي ، وهو في فناء قصر ابن عتبة ، فقالت لجواريها : من الشيخ ؟ فقلن لها : عروة . فـعَدلت اليه فقالت له : يا أبا عامر ، تزعم أنك لم تعشق قط وأنت تقول ؟ :

قالت :وأبثثتها وجدي فبحت به ، قد كنت عندي تحت الستر فاستتر
ألست تبصر مَنْ حولي ؟ فقلت لهـــا :
غطي هواك وما ألقى عـــلى بصري .

كلُّ ما تَـرَىْ حوالي من جواري أحرار إن كان خرج هذا الكلام من قلب سليم .

★ وأما أهل الدعاوي الباطلة ، التي ليست أجسامهم بناحلة ، ولا ألوانهم بحائلة ، ولا عقولهم بذاهبة ، فهم عند ذوي الفراسة يكذبون ، وعند ذوي الظرف محرومون . فمن ذلك ما روى العباس بن الأحنف [1] ، قال : بينما أنا أطوف ، إذ بثلاث جوار أتراب [2] ، فلما أبصرنني ، قلن : هذا العباس . ودنت إلي إحداهن ، فقالت : يا عباس أنت القائل ؟ :

ماذا لقيت من الهوى وعذابه طَلَعَت عـــلي بلية من بابه

قلت : نعم . قالت : كذبت يا ابن الفاعلة ، لو كنت كذلك كنت كأنا . ثم كشفت عن أشاجع [3] معراة من اللحم ، فأنشأت تقول :

---

١) هو ابو الفضل العباس بن الأحنف شاعر هارون الرشيد اكثر قصائد ديوانه في الغزل .

٢) صديقات في عمر واحد .

٣) واحدها أشجع وهي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف وكني بها عن يديها . (ن . ر)

ولما شكوت الحب ، قالت : كذبتني ،

فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا !

فلا حُبَّ حتى يلزق الجلدُ بالحشا وتَخْرَسَ حتى لا تجيب المناديا .

★ ومن ذلك ، ما رُوي عن ابراهيم بن المهدي [1] قال : دخل علي المأمون [2] فقال : بالله يا عم ، هل عشقت قط ؟ فقلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، وأنا الساعة عاشق . قال : وانت على هذه الجثة والجسم الكبير عاشق ؟ فأنشأ يقول :

لانه اصفر منحول وجه الذي يعشق معروف

الى أن قال :

ليس كمن تلقاه ذا جثة كأنه للذبح معلوف

فأجابه ابراهيم :

وقائل لستَ بالمُحِبِّ ولَو كنتَ مُحِبّاً لذبتَ مذ زمن

أَحبَّ قلبي ، وما درى بدني ، ولو درى ، ما أقام في السِّمن

وهذان قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهد النظر ولم يجز إدعاؤهما على ذوي المعرفة والنظر . وقول ابراهيم « أحب قلبي وما درى بدني » من

١) عم المأمون واخو هارون الرشيد تعاطى الغناء والقرب والملاهي وحسن المنادمة .
٢) الخليفة العباسي ابن هارون وأمه جارية فارسية ازدهرت في عصره العلوم ونقلت مؤلفات اليونان الى العربية .

كثرة المحال أن يتعلق القلب لسبب فيسلم الجسم منه على حال؟ ولكنه لاستحيائه من ادعائه اعتذر، فقبح في اعتذاره. وانشدني بعض المشايخ:

وقائلة: ما بال جسمك لا يرى ... سقيماً وأجسام المحبـين تسقم ؟
فقلت لها : قلبي بحبك لم يَبُح ... لجسمي، فجسمي بالهوى ليس يعلم!

والعرب تمدح أهل النحول، وتذم أهل السمن والجسوم، وتنفيهم عن الأدب، وتنسب أهل النحول إلى المعرفـة وحسن البيان، وأهل السمن إلى الغباوة وبعد الأذهان.

★ زعموا أن من غلب عليه البلغم [1] غلظ جسمه، وكبر شحمه، وزاد لحمه، وقل فـَهمه، وطال نسيانه، وتعقـّد لسانه، لغلبة البلغم على قلبه والرطوبة على لبه. ومن كان أغلب مزاجه المرة [2] جفّ جسمه، وقل لحمه، وصح ذهنه، ودق فهمه. وانه يستدل بها على حسن أدب ذوي الألباب، وصحة اذهان ذوي الآداب. لا تكاد تخطي به الفراسة، ولا تكذب فيه الدلالة لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على صاحبه واستقراره في مركبه. وربما انجب السمن، وخاب الهزال. ولا يكون ذلك إلا في الفرد النادر من الرجال ومن أمثلة العرب في ذلك: البطنة تذهب الفطنة.

★ قال علي [3] بن الجهم: لما أفضت الخلافة الى جعفر [4] المتوكل على

---

١) خلط من اخلاط البدن في عرف الأقدمين. وهو أحد الطبائع الاربعة.
٢) مزاج من أمزجة البدن.
٣) شاعر هجا الشيعة وهجا المتوكل فحبسه.
٤) الخليفة العباسي العاشر كان متقلباً يتبع هواه أراد نقل العاصمة من بغداد الى دمشق ولكنه لم يحتمل بردها فرجع الى بغداد.

الله ، أهدى اليه ابن طاهر [١] من خراسان هدية جليلة فيهـــا جوار ، منهن جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف ، وكان لها مولى قد عني بها ، فبرعت في فنون الأدب ، وأجادت الشعر . وكانت راوية ظريفة ، مجيدة للغناء . فقربت من قلب المتوكل . وغلبت عليه . قال : فخرج عليَّ يوماً ، وقال لي : يا علي ، دخلت الساعة على قَـيْنة وقــد كتبت بالمسك على خدها جعفرا ، فما رأيت أحسن منه ، فافعل فيه الساعة شعراً . فأخذت الدواة والقرطاس ، فانقفل عليّ ، حتى كأني ما عملت بيتاً قط فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو أذنت لمحبوبة أن تقول شيئاً عسى أن ينفتح لي . فأمرها ، فقامت مسرعة ، وأخذت العود فجسته ، وصاغت لحناً ، واندفعت وغنت :

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا ، بنفسي خط المسك ، من حيث اثرا .
لئن أودعت سطراً من المسك خدها ، لقد أودعت قلبي من الشوق اسطرا .
فاعجب لمملـــوك يظل مليكه مطيعـــاً له فيما اسر واجهرا

قال علي : وغضب عليها مرة ، وكان لا يصبر عنها ، فأمر جواري القصر أن لا تكلمها واحدة منهن . فكانت في حجرتها أياماً ، وقد تنغص عيشه لفراقها ، فبكرت عليه يوماً ، فقال : يا علي . قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة فصالحتها وصالحتني . فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين ، أقر الله عينك وسرك . إنما هي عبيدتـــك ، والسخط والرضا بيدك ، فوالله ، إنا لفي حديثنا إذ جاءت وصيفة ، فقالت : يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة

---

١) أحد أمراء بني طاهر السلالة الـــتي أسسها طاهر بن الحسين قائد المأمون وكان شاعراً وأديباً . (ن . ر)

محبوبة . قال : فقم بنا يا علي ننظر مـــا تصنع ، فنهضنا حتى أتينا حجرتها ، فإذا هي تضرب العود وتغني .

أدور في القصر ، لا أرى احـداً أشكو إليـــه ، ولا يُكلِّمني
كأنني قـد أتيت معصيــــةً ، ليست لهـــا توبـةٌ تخلصني .
فهل شفيعٍ لنـا ، الى ملك ، قد زارني في الكرى فصالحني ،
حتى إذا ما الصباحُ لاحَ لنـــا ، عـــاد الى هَجْره فصادمني .

قال : فصاح أمير المؤمنين ، وصحت معه . فتلقته وأكبَّت على رجـله تقبلها ، فقال : ما هذا ؟ فقالت : يا مولاي رأيت في ليلتي هذه كأنك صالحتني ، فتعللت بما سمعت . قال : فأنا والله قـــد رأيت مثل ذلك . وقال : يا علي أرأيت أعجب من هذا وكيف اتفق ورجعنا الى الموضع الذي كنا فيه . واصطلح . ومـازالت تغنيه هذه الأبيات يومنا ذلك . وازدادت حظوتها عنده حتى كان من أمره ما كان . فتفرقت جواريه ، فصارت محبوبة الى الوصيف الكبير ، فما زالت باكية حزينة ، فدعـاها يوماً مع من صار اليه من جواري المتوكل فأمرهن فغنين . ثم أمرهـــا فاستعفته فأبى ، فقلن لها : لو كان في حزننا فرح لطال حزننا معك . وجيء بعود فغنت به ؟

أيُّ عيشٍ يَلَذُّ لي لا أرى فيه جَعْفرا
كل مَن كان ذا ضَناً وسقـامٍ فقـد بَرَا
غيرَ محبوبـــة التي لو ترى الموت يُشترى

★ ومن ذلك ما حكى جميل بن معمر العذري : أنـه دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا جميل حدثني ببعض أحـاديث بني عذرة . فانه بلغني انهم أصحاب أدب وغـزَل . قال : نعم يا أمـير المؤمنين ، اعلمك أن آل بثينة انتجعوا عن حيهم ، فوجدوا النجعة بموضع نازح فظعنوا ، فخرجت أريدهم ، فبينما أنا أسير إذ غلطت الطريق وأجنني[1] الليل فلاحت لي نار ، فقصدتها حتى وردت على راع في أصل جبل قد انحنى عنه الى كهف فيه ، فسلمت ، فرد علي السلام ، وقال : أظنك قد غلطت الطريق ؟ فقلت : أجل . فقال : انزل وبت الليلة ، فاذا أصبحت وقفت على القصد . فنزلت فرحّب بي ، وأكرمني ، وذبح شاة ، وأجج ناره ، وجعل يشوي ويلقي بين يدي . ويحدثني في خلال ذلك . ثم قام بإزار كان معه فوضع به جانب الخبا ومهد لي محلاً خالياً فنمت . فلما كان في الليل سمعته يبكي إلى شخص كان معه ، فأرقت له ليلتي . فلما اصبحت طلبت الاذن فأبى ، وقال : الضيافة ثلاث . فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله ، فانتسب فإذا هو من بني عذرة ، من أشرفهم . فقلت : وما الذي جـاء بك إلى هذا ؟ فأخبرني انه كان يهوى ابنة عم له ، وأنه خطبها من أبيها فأبى أن يزوجه إياها لقلة ذات يده ، وانه تزوجها رجل من بني كلاب وخرج بها عن الحي ، وأسكنها في موضعه . وأنه رضي أن يكون لزوجها راعياً حتى تأتيه ابنة عمه فيراها . وأقبل يشكو قديم عشقه لها ، وصبابته بها حتى أتى المساء ، وحان وقت مجيئها . فجعل يتقلقل[2] ويقوم ويقعد ، ثم وثب قائماً على قدميه ، وأنشأ يقول :

ما بال مَيَّـــةَ لا تأتي كعادتهـا أَعَاجَها[3] طَرَبٌ أو صَدَّها شُغل

---

١) سترني وأخفاني .
٢) يتحرك .
٣) أوقفها .

لكنّ قلبيَ عنكم ليس يُشغِلُه   حتى المات وما لي غيركم أملُ
لو تعلمــين الذي بي من فراقكم   لما اعتذرتِ، ولا طابت لك العِلَلُ
نفسي فداؤك ، قد أحلَلْت بي سقما   تكاد من حَرّه الاعضاء تنفصل
لو أن ما بيَ مِن سقم على جبل   لزال وانهدّ من أركانه الجبــل

ثم قال لي : اجلس ، يا اخا بني عذرة ، حتى اكشف خبر ابنة عمي . ثم مضى فغاب عن بصري ، فلم ألبث أن اقبل وعلى يديه محمول ، وقد علا شهيقه ونحيبه ، فقال : يا اخي هذه ابنة عمي ارادت – زيارتي فاعترضها الاسد فأكلها ثم وضعها بين يدي ، وقال : على رِسلِك [1] ، حتى اعود اليك . فغاب عن نظري فابطأ ، حتى آيست من رجوعه ، فلم ألبث أن اقبل ورأس الاسد على يديه فوضعه ثم ، قال : يا اخي انك ستراني ميتاً فاعمد إلي وإلى ابنة عمي فادرجنا [2] في كفن واحد ، وادفنا في قبر واحد ، واكتب على قبرنا هذين البيتين :

كنا على ظهرها والعيش في مَهَلٍ   والشملُ يجمعنا والدارُ والوطنُ
ففرّق الدهرُ بالتَّصْريف [3] إلفتنا   فصار يجمعنا في بطنها الكفن

ورُدَّ الغنَم إلى صاحبها ، واعلمه بقصتها .

ثم عمــد إلى خناق وطرحه في عنقه ، فناشدته الله لا تفعل ، فأبى

١) على مهلك وتأنَّ .
٢) دَرَجه : طواه ولفه .
٣) التقلب أو هي من تصاريف الدهر أي نوائبه ونوازله .

وخنق نفسه حتى مات . فلما اصبحت كفنتها ودفنتها ، وكتبت الشعر كما امر ، ورددت الغنم إلى صاحبها وأعلمته بقصتها ، فحزن حزناً خفت عليه الهلاك اسفاً على ما فرط من عدم اجتماعها .

★ وقد رُوي عن محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : كنا عند عروة [1] ابن الزبير وعنده رجل من بني عذرة . فقال له : يا عُذري بلغني أن فيكم رقةً وغزَلاً فاخبرني ببعض ذلك ؟ فقال : لقد خلف في الحي ثلاثين مريضاً ما بهم داء إلا الحب قد خامر قلوبهم وان فيه من المرارة والنكد والكد ما هو مستعذب عند اربابه ، مستحسن عند اصحابه ، حلو لا تعدله حلاوة ، ومر لا تعدله مرارة . قال الكميت بن زيد في ذلك :

الحب فيه حـــلاوة ومرارة   سائل بذلك من تَطعَّم أو ذُقِ
ما ذاق بؤسَ معيشةٍ ونعيمَها   فيما مضى أَحـدٌ إذا لم يَعْشَقِ

وقال آخر :

يا أيها الرجلُ المعذَّب بالهوى   إني بأحوال الهوى لَعَلِيم
الحبُّ صاحبُه يبيتُ مسَّهداً   فيطير منـــه فؤادُه ويَهيم
والحبُّ داءٌ قد تضمَّنه الحشا   بين الجوانح والضلوع مقيم
والحب لا يخفى وإن أخفيته   إن البكاءَ على الحبيب يدوم
والحب فيـه حلاوة ومرارة   والحب فيـه شقاوة ونعيم
والحب أهون ما يكون مبرَّحٌ   والحب أصغرُ ما يكون عظيم

---

٤) تابعي وأحد فقهاء المدينة السبعة وهو حجة في رواية الحديث (ن . ر)

وأنشدني احمد بن يحيى :

سَلْني عن الحبِّ يا مَن ليس يعلَمُهُ ما أطيبَ الحبَّ لولا أنّه نَكَد
طعمان حلوٌ ومرٌّ ليس يَعْدِلُه في حَلْقِ ذائقــه مرٌّ ولا شَهَدُ

وأنشد ابو الطيب [1] :

سلني عن الحبِّ يا مَن ليسَ يعلَمُـه عندي مِن الحبِّ إن ساءلتني خَبَرُ
اني امرؤٌ بالهوى مـا زلت مشتهراً لاقيت فيـه الذي لم يلقــه بشر
الحب أوله عذب مذاقتـه لكن آخره التنغيص والكدر

★ وذكر ابن عتيق ، قال : بينما انا اسير في ارض بني عـذرة ، إذ أنا ببيت جديد ، فدنوت منه ، فإذا بعجوزٍ تعلل شاباً قـد نهكته العلة ، وبانت عليه الذلة . فسألتها عن خبره ، فقالت : هذا عروة بن حزام . فدنوت منه ، فسمعته يقول :

من كان من اخواني باكياً لغد فاليوم ، أني أراني اليوم مقبوضا

فقلت : انت عروة بن حزام ؟ قال : نعم ، الذي اقول ؟

جعلت لعراف اليمامــة حكمه وعراف نجد إن هُمَا شفيـاني

---

١) ولد في محلة كندة من الكوفة (٩١٥ – ٩٦٥) وقتل أثنــاء عودته من فارس امتدح سيف الدولة ثم كافور . وكان متكبراً شجاعاً طموحاً وهو امير الشعر العربي .

فقالا : نعم ، تشفى من الداء كله. وقامــــا مــع العواد يبتدراني
فما تركا من سلوة يعلمانهـــا ، ولا شُربـةٍ إلاَّ وقد سقيـاني .
فقال : شفاكَ الله ، والله مالنـا ، بمـا حملت منك الضلوع ، يدان .
فويلي على عفراء وَيْـلاً كأنَّه على النحرِ والاحشاء حـد سِنان ،
فعفراءُ أصفى الناس عندي مودةً ، وعفراء عندي المعرض المتواني .

ثم شهق شهقة توهمت انها غشية فتنحيت عنــــه ، ودنت العجوز فوجدته قد قضي نحبه . فما برحنا حتى دفناه .

★ وبلغ العشق ايضاً بجنون عامر إلى ما ذكرناه في موضعه . قال بعضهم : سمعت اعرابية تطوف وهي تقول اللهم مالكَ يوم القضــــا ، وخالقَ الارضَ والسماء ، ارحم اهـل الهوى ، وأنقذهم من عظيم البلا ، فانك تسمع النجوى ، قريب لمن دعا . ثم انشأت تقول :

يا رب إنك ذو مَنٍّ وذو سِعَةٍ دَارِكْ بعـافيةٍ مِنْكَ المحبينـــا
الذاكرين الهوى من بعدما رقدوا حتى نراهم على الأيـدي مكبينا

فقلت لها : يا هذه أيُقال هذا في الطواف ؟ فقالت : إليك عني ، لا يرهقك الحب . فقلت : وما الحب ؟ فقالت : جَل أن يَخْفى ، ودَقَّ على أن يُرَى : له كُمُونٌ كَـكُـمُون النار في الحجر ، إن قدحته اورى [1] ، وان تركته توارى . قال : فتبعتها حتى عرفت منزلها ، فلما

---

(١) أخرج ناره .

كان من غدٍ جاء مطر شديد فمررت ببابها وهي قاعدة مع اتراب ٍ لها ، وهن يقلن لها : أضرَّ بنا المطر ، ولولا ذاك لخرجنا إلى الطواف . فانشأت تقول :

قالوا أضرَّ بنا السحابُ بَقَطْرِه[1] لما رأوها بعبرتي تحكي ،
لا تعجبوا مما ترون ، فانما تلك السماء لرحمتي تبكي .

وقد زعم قوم انه لا ذنب على اهل الهوى ، ولا وزر على ذوي الضنا . إن خطاياهم تنمحي عنهم لطول بلائهم ، وكثرة شقائهم ، ولما يَلْقَوْن من القلق ، ويعانون من الارق .

★ ابو الحسن المدايني عن الاصمعي قال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أدركت عفراء وعروة ، لجمعت بينهما .

★ قال الزبير بن بكار : كان العرجي وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان[2] بن عفان ، رضي الله عنه ، يعشق ام الاوقص المخزومي القاضي ، وهي امرأة من بني تيم[3] ، فكان يتعرض لها ، فاذا رأته رمت بنفسها وتسترت منه . فمر بها يوماً وهي في بعض نسوة وهن يتحدثن ، فعرفها فأحب أن يراها من قرب ، فعدل عنها ولقي اعرابياً راكباً معه لبن رطب ، فدفع دابته وثيابه واخذ قَعُوده[4] ولبنه ، ولبس ثيابه ، ثم

---

١) المطر .

٢) ثالث الخلفاء الراشدين تزوج بابنتي النبي فسمي ذا النورين . قتل في ثورة المسلمين عليه بسبب استسلامه لأنسبائه آل مروان .

٣) قبيلة عربية أنجبت فحول شعراء الجاهلية ولغتها حجة بين لغات القبائل (ن . ر)

٤) البكر من الابل إلى أن يُثني ، أو ما يقتعد الراعي في كل حاجة .

اقبل على النسوة . فصحن يا اعرابي : عندك لبن ؟ قال : نعم ومـال اليهن ، وجلس يتأمل التميمية وينظر احيانـاً إلى الارض كانه يطلب شيئاً . وهن يشربن من اللبن ، فقالت له امرأة منهن : اي شيءٍ تطلب يا اعرابي اضاع منك في الارض ؟ قال : نعم قلبي : فلما سمعت التميمية كلامه نظرت اليه ، وكان أزرق ، فعرفته ، وقالت : ابن عمر ، ورب الكعبة . ووثبت فسترها نساؤها ، وقلن له انصرف عنا ، لا حاجة لنا إلى لبنك . فمضى منصرفاً .

★ قال العتبي : سمعت اعرابية تقول : مسكين العاشق ، كل شيء عدوه : هبوب الريح تقلقه ، ولمعان البرق يؤرقه ، ورسوم [١] الديار تُحرقه ، والعذل يؤلمه ، والتذكير يسقمه . إذا دنا الليل منه هرب النوم عنه ، ولقد تداويت بالقرب والبعد فما انجح فيه دواء . ولقد احسن الذي يقول :

بِكُلٍ تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خيرٌ من البُعد

★ وقال أعرابي : إن لي عيناً دموعاً ، وقلباً مروعاً ، فماذا يصنع كل واحد منها بصاحبه مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمها شفاؤهما .

★ وذكر أعرابي وَجْدَه بامرأةٍ فقال : ما ازدادت مني بعداً إلا ازددت بها قرباً .

★ وذكر أعرابي امرأةً كان يواصلها في شبابه ، فقال : ما كانت ايامي معها الا كاباهيم [٢] القطا [٣] قِصَرا ، ثم طالت بعدها شوقاً اليها ،

---

١) واحدها رَسْم وهو ما كان لاصقاً بالارض من آثار الدار .

٢) جمع إبهام وهو اكبر أصابع اليد أو الرجل .

٣) جمع قطاة وهي طائر مشهور يشبه الحمام أو هو ضرب منه .

وأسفاً عليها ، فاليوم بعدها دهر ، والساعة شهر .

★ قال ابو بكر [1] بن دريد : كانت امرأة من لخم [2] يقال لها سعدى تهوى ابن عم لها ، يقال له عيسى . فلما خشي اهلها الفضيحة قالوا لها : إن نطقت فيه بشعر قطعنا لسانك . فعندها قالت :

خليلي إن أصعدتما أو هبطتما بلاداً هوى نفسي بها فاذكرانيا
ولا تدعا إن لامَني ثَمَّ لائمٌ على سَخَط الواشين أن تعذرانيا
فقد شف جسمي بعد طول تجلدي
احاديثُ عن عيسى تشيب النواصيا [3]
سأرعى لعيسى الود ما هبت الصبا وإن قطعوا في ذاك عمداً لسانيا .

★ طلق أعرابي امرأته : فقالت : لما طلقتني ؟ فقال ؟ لأنك واسعة الثقبة [4] ، حديدة الركبة خفيفة الوثبة . فقالت له : وأنت سريع الاراقة ، بطيء الافاقة ، ثقيل بين اليدين [5] ، خفيف خفيف بين الرجلين [6] .

★ وطلق قيس بن الذريح [7] امرأته لبنى فندم على ذلك ، وقال :

---

١) لعله اللغوي والنحوي والشاعر المعروف بابو دريد . وكانوا يقولون أنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء . .
٢) من قبائل العرب أصلهم من اليمن شادوا مملكة لخم في الحيرة . وكانوا أخصاماً لبني غسان .
٣) شعر مقدم الرأس .
٤) واسعة الفرج .
٥) أي ثقيل الصدر . ٦) أي يُمني سريعاً .
٧) أحد شعراء العرب الغزليين وانكروا وجوده .

فَوَا كَبدي على تَشْرِيح لُبنى | فكان فراق لبنى كالخداع
تكنفني[1] الوشاة فأزعجوني | فياللناس للواشي المطاع
فأصبحت الغداة ألومُ نفسي | على أمرٍ وليس بمستطاع
كمغبونٍ يعضّ على يديه | تبين غبنه بعد البياع

★ وتزوج الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر ، فلما دخلت عليه نظر اليها وعبرتها تجود على خدها ، فقال لها : بابي وأمي ، مِمَّ تبكين ؟ فقالت : من شرف اتضع ، ومن ضعة شَرُفت . فلما كتب اليها عبد الملك بن مروان بطلاقها ، قال لها : إن امير المؤمنين امرني بطلاقك . قالت : هو والله أبَرُّ بي ممن زوجك اياي . فلما مات ابوها لم تبك عليه ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : والله إن الحزن ليبعثني ، وان الغيظ ليصمتني .

★ وكانت زينب بنت مرة عند ابن عم لها يقال له المغيرة فجرى بينهما عتاب فطلقها ثلاثا فقالت :

يا أيها الراكب الغادي مطيته | عرج أُبثُّك عن بعض الذي أجِدُ
ما عالجَ الناسُ مِنْ وَجْدٍ ومن كَمَد | إلا وَجَدْتُ به فوق الذي وَجَدوا
حسبي رضاه ، واني في مسرته | ووده آخر الأيام اجتهد .

★ كانت عند رجل امرأة يقال لها ام مالك وكان بها معجباً . فاقسمت عليه امه أن يطلقها ، فذهب عقله ، ونحل جسمه . فحضره

---

١) أحاطني (ن . ر)

الموت ، فدخلت عليه ام مالك تعوده ، فلما ولت قال لامه : يا عجوز ليهنك فَقْدُ ابنك في الدنيا ، والاثم لك في الاخرة . ثم انشأ يقول :

لنا حاجة في آل مروان دونها ... من النفر الغُرّ الوجوه قَبِيلُ
فَمُتْ كَمداً إن كان يومك قد أتى ... أو اصبر على ما خَيَّلت فقليـــل

فلما خرجت عنه ، فاضت نفسه . وما وصلت إلى منزلها حتى سقطت ميتة .

★ قال ابراهيم بن عقبة : طلق اعرابي امرأته وحمله على ذلك عقله فندم . وانشأ يقول :

اذا ذكرت ليلى ترقرق دمعـــه ... كأن لم تكن عين بها قبل قُرَّت
وإن ثلاثاً منك لو تعلمينـــه ... دنت دون حلو العيش حتى أَمَرَّتِ

حكى ابو العيناء [1] ، عن ابي حمزة الغساني قال : نزل اعرابي من بني اسد [2] ببيت اعرابية من بني تميم ضيفاً ، فأتته بِقِرىً [3] حاضر ، ومــاء بارد . فجعل ينظر اليها من وراء الستر ، ثم راودها عن نفسها ، فقالت له : يا هذا أمَــا يقرّعك [4] الاسلام والكرم ؟ كُلْ ، وإن أردت غير ذلك فارتحل . فقال لهــا : زوجيني إذاً نفسَك . فقالت : الاوليــاء يزوجونك . فخاف أن لا يزوجوه للعداوة بين الحيــين ، فانتسب إلى

١) محمد بن القاسم الهاشمي ولد في الاهواز وتوفي في البصرة . (٨٠٥ – ٨٩٦) وهو أديب وشاعر رويت عنه الأخبار في الأغاني .
٢) قبيلة من مضر .
٣) ما يقدم للضيف .
٤) عنّف .

بني عذرة فزوجوه فأقام عندهم زمانـاً . ثم علموا انه أسدي فقالوا له : والله انك لكفء كريم ، ولكن نكره ان تنكح فينـا وأنت حرب لنا ، فحل عن صاحبتنا . وكان يحبها حباً شديداً فطلقها ، وقال :

احبك ياعم حُبَّ الحياة ونيلَ المنى وبلوغَ الظَّفر
ويُعجبني منك عند اللقاء ، حياء الكلام ، وموت النظر
ونائي الجبين ، شديد البياض ، كثيف الجوانب ، مثل القمر .
له وهج كَضِرام الحريق ، يكاد يمزِّق جلد الذكر

قال ابو ذكوان : لم تقل العرب فيما يريده الرجال من النساء احسن من هذا .

★ قال : خرج محمد بن المشيري الخارجي إلى البصرة في طلب ميراث له ، وبها نفر من قومه . فأقام بها حولا ينشدهم ويحدثهم . وكانت امرأة منهم ذات جمال ومال لا يطمع فيها احد . فقالوا له : يا ابا سلمان هل لك في امرأة منا ، سيدة في قومها جمالاً وعقلاً ، وعفافاً ، ورأيا ؛ قد سمعت بمقدمك ، فَذَُكِرْت لها ، فزعمت أنـك طلقت زوجتك التي خلفتها في بلدك فرغبت فيك ، فـإن احببت اقمت عندنا فيما ترى من طيب بلادنا وربعنا ، وعلينا صداقك ، وما تحتاج اليه ؟ فاقبلوا بـه وأدبروا واجتهدوا فأبى عليهم ، وقال في ذلك :

أسائل بالعراق فراق سُعدى ولا تبدي ولا يَرَها الفراق
لئن ربح الفراقُ لهجر سعدى علي أشد ما رَبِحَ الفراق

إذا عدلوا اقول لهم : لسعدى خلائق لا يحل لهـا الطلاق
حرام ان يقول نساء قوم تركتك أو تحدث بي الرفـاق

★ سمعت اعرابية تقول لزوجها : يا مفلس ، يا قرنان . فقال لها : ان كان ما ذكرت حقاً فواحدة من الله ، وأخرى منك ، يا زانية ، وانت طالق ثلاثاً .

★ خاصمت امرأة زوجهـا ، فطلقها فقالت له : يا هذا ، لم طلقتني وقد كنت لك ناصحة ، وعليك شفيقة ، وما فيّ عيب إلا ضيق بجبهتي ؟ فقال لها زوجها : لو كان الضيق في حَرِك [1] ما طلقتك ابداً !

★ كانت لرجل في الاهواز [2] ضيعة بالبصرة ، وكان يتعاهدها في حين الانتفاع بالثمار . فتزوج بهـا امرأةً ، وانتهى الخبر إلى امرأته الاهوازية فاستخرقت [3] كتاباً على لسان بعض اخوانه بالبصرة يعزيه في البصرية ويقول : إلحق المال الذي خلّفت ولا تتأخر . وأعطت الكتاب لبعض الملاحين وجعلت له جُعْلاً [4] . فلمـا وصل الكتاب إلى زوجها وَجَد لموتها وجداً عظيماً ، وقال للاهوازية : اصلحي لي سفرتي ، فاني راكب إلى البصرة . ففعلت ، فلما اصبح الغـد ركب فرسه ، واعطته السفرة ، ثم قبضت على عنان فرسه وقالت له : ما تكثر اختلافك إلى البصرة الا ولك بها امرأة تزوجتها ؟ فقال لها : والله مالي بالبصرة امرأة .

---

١) الفَرْج .
٢) من أقاليم الدولة العباسية يسمى اليوم خوزستان وهو في إيران وفيه مدينة عبادان مركز النفط العظيم .
٣) اختلقت كذباً .
٤) ما جعلته للعامل على عمل خاص أي الاجرة .

للذي وقف عليه من الكتاب . فقالت له : لست أدري ما تقول ؛ وإنما تحلف وتقول كل امرأة لي غيرك طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين ؟ فللذي وقف عليه الرجل من موت البصرية قال في نفسه : تلك ماتت ، فلم أُغِير صَدْر هذه : فقال لها : كل امرأة لي غيرك في جميع الاقاليم فهي طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين . فقالت له : لا تتعبن فقد طلقت الحبيبة . فندم الرجل ، وأسقط ما في يديه .

★ ولما تزوجت ليلى صاحبة قيس بن الملوح ، هام على وجهه مع الوحش ، وكان يقول :

لها في سواد القلب[1] تسعة أسْهم ... وللناس في ذاك المكان عشير[2]
ولست بِمُحْصٍ حب ليلى لسائلٍ ... مِنَ الناس إلا أن يقول كثير .
وتُنْشَر نفسي بعد موتي لذكرها ، ... فموت نفسي مرة ونشور .
أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت، ... فكادت بي الأرض البراح[3] تمور[4]
فقلت ، وقد أيقنت ان ليس بيننا ... تلاق ، وعيني بالدموع تفور :
لئن كان تبدي بُرد ايمانها العلى ... لأفقر مني انني لفقير .
فما أسرع الأخبار أن قد تزوجت، ... فهل يأتيَنِّي بالطلاق بَشِيرُ ؟

١) حبّته أو دَمُه .
٢) هو عُشر العُشر أي جزء من مائة ويصح إطلاقه على السنتي ١/١٠٠ إطلاقاً . (ن . ر)
٣) المتسع من الأرض لا نبات فيه ولا شجر .
٤) تتحرك وتضطرب .

★ حكى ابراهيم بن محمد بن عرفة قال : كانت ام عبد الملك بن سعيد ابن خالد بن عمرو ، عند الوليد [1] بن يزيد بن عبد الملك . فمرض سعيد ، وهو بالبادية ، فعاده ، فدخل عليه وعنده اختهـا سلمى ، فستروها ، فرأى منها لمحة ثم قامت ، فرأى طولها فطلق اختها وخطبها ، فلم يزوجه اياها وكانت اختها ام عثمان عند هشام [2] بن عبد الملك ، فبعث إلى ابيها : اياك أن تزوج الوليد ، تريد أن تتخذه فحـلا لبناتك يطلق واحدة ويتزوج اخرى ؟ فأبى ان يزوجه . فقال الوليد : العجب من سعيد ، خطبت اليه فردني ، ولو قد مات هشام واستخلفت لزوجنيها ، فان زُوِّجْتها فهي طالق ، وان كنت اهواها . وقد ذكرنا حديثه مستقصى في موضعه من هذا الكتاب .

★ خاصمت امرأة زوجها إلى المطلب بن حبط المخزومي قاضي المدينة ، وكانت قالت له : اسأت الي وأوجعتني ، ووالله ما استطيع ، فإن بنتك تمسي من الجوع والجهد وما اقمن الا على الوطن [3] . فقال : انت طالق ان كان لا يقمن إلا على الوطن ! فاخبرت القاضي بما قالت ، وبما قال . فقال القاضي : بطلب المقادير ، ورب الكعبة ، إن الأيِّل [4] ليكون بالمكان الجدب الخسيس المرعى فتقيم فيه بحب الوطن . فقال الزوج : كأن المسألة ، اصلح الله القاضي ، اشكلت عليك هي طالق الف مرة .

★ وطلق علي بن منظور امرأته فندم عليها ندماً شديداً ، فقال :

---

١) الخليفة الأموي الحادي عشر انهمك في اللهو وكان شاعراً قتل سنة ٧٤٤ .

٢) خليفة اموي حارب البيزنطيين ووصلت جنوده الى بحر قزوين . على أيامه غزا عرب افريقيا فرنسا توفي في الرصافة (٧٢٤ - ٧٤٣) .

٣) مربض الغنم والبقر التي تأوي إليه . (ن . ر)

٤) الوعل أو ذكر الاوعال وهو جنس من ذوات الظلف لذكورها قرون متشعبة لا تجويف فيها وهي تنسلخ عنها كل سنة .

ما للطلاق فقـــدته وفقدت عاقبة الطلاق
طلقت خـــير خليلة تحت السموات الطباق

★ وأحبت امرأة الأعرابي أن تفارقه فقال :

تَمَنَّيْنَ الطلاقَ وأنتِ منّي بعيش مثل مشرقة الجمال

★ قال خالد بن صفوان [1] : ما بت ليلة احب الي من ليلة طلقت فيها نسائي ، فارجع والستور قد هتكت ومتاع البيت قد نقل . فبعثت الي بنتي سُلَيْلةً فيها طعام ، وبعثت الاخرى الي بفراش انام عليه .

وقيل لامرأة كانت تُطَلـّق كثيراً : مالك تطلقين ابــدا ؟ قالت يريدون الضيق ، ضيق الله عليهم قبورهم .

★ وقال اعرابي لامرأته :

أَنَوَّهتُ باسميَ في العالمين وأفنيتُ عمريَ عاماً فعاما
فأنت الطلاق وأنت الطلا ق وأنت الطلاق ثلاثا تواما

حكى عروة بن الزبير ، عن عائشة ، رضي الله عنها : ان امرأة رفاعة اتت إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله إن رفاعة طلقني ، فبت طلاقي ، واني تزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير ومــا معه الا مثل هدبــة الثوب ، فتبسم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

---

١) نديم أبي العباس السفاح ومستشاره اتخذه لأنه استحسن ادبه .

وقال : أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ! لا ، حتى تذوقي عسيلة [١] الزوج الثاني ويذوق عسيلتك .

★ دخل مدني البصرة ، فزُوِّج فيها امرأة : ثم حصل بينهما شر ، فقال لها : انت طالق عدد شعر استك . فقالت : قاتلكم الله يا اهل المدينة تسرعون الطلاق وتؤثرون الخلاق .

★ قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت [٢] لعطاء بن صيفي الثقفي : لو اصبت ركوة مملوءة خمراً بالبقيع ما كنت صانعاً بها ؟ قال : افرقها في بني النجار فانها لا تعدوهم . ولكن اخبرني ، أيها اكبر جدك ثابت ام جدتك فريعة ؟ قال لا ادري . قال عطاء : الفريعة كانت اكبر ، وقد تزوجها قبله أربعة ازواج كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها . فقيل لها : يا فريعة ، لم تطلقين وأنت بمثل هذا الجمال ؟ قالت : يلتمسون الضيق ، ضيق الله عليهم .

★ وطلق اعرابي زوجته ، فقيل له : ألا تتزوج بعدها ؟ فقال : مكابدة العفة ، ايسر من الاحتيال بمصلحة العيال .

★ تزوج الفضل بن قطن الحارثي ابنة المهلب بن ابي صفرة [٣] . فجلس يوماً معها يشرب ، فاراد الافتخار عليها فقال :

---

١) حلاوة الجماع . هنا مجال للتأويل فاذا كانت الحاء مفتوحة كانت الكلمة بمعنى الحظ والنصيب الوافر من الخير . واذا كانت مكسورة كان المعنى : ضرب من الطيب يتخذ من زعفران وغيره أو هو الزعفران .

٣) حسان بن ثابت من الشعراء المخضرمين لقب بشاعر النبي ويعد شعره من مصادر تاريخ تلك الحقبة في حياة الاسلام .

٤) من كبار قواد بني امية حمل بالحرب الى بلاد أفغانستان والهند ثم الى سمرقند ناصر عبد الله ابن الزبير ثم بايع عبد الملك وظفر بالخوارج الازارقة .

إن كنتِ ساقيةً يوماً على كرم كأسَ المُدَامِ[1] فأسقيها بني قَطَنِ[2]

ثم انه تحرك فضرط . فقالت : وأسقي هذه بني قطن ايضاً ؟ فخجل وقال : اذهبي فأنت طالق .

★ وطلق عطية بن أشجع محجوبة بنت عبد الله ، امرأتهُ فزوجت رجلاً دميماً فقال في ذلك :

لعمري أبي سلمى ، ولست بشامت بسلمى ، فقد أمست بها النعل زلت .
وليس لمغفورٌ لسلمى ذنوبَهـــا وإن هي صامت كل يوم وصلت ،
ولو ركبت ما حرم الله لم يكن بأعظم عنـد الله ممـــا استحلت ؟

★ كانت لبعض الصالحين امرأة تبغضه ، فكان إذا نهاهـا عن امر دعت الله ان يريحها منه ، وان يعجل طلاقها ، فاضجرته يوماً فطلقها ، فسجدت لله شكراً ، فقال الرجل : اللهم إنها وضعت اليك فماً كاذباً ، ووجها وقاحاً ، ورفعت استاً مجاهرة بالفحشاء فاجرة . فوثب سنور في البيت فافزعهـــا ، فضرطت ، فقال : الحمـــد الله الذي سهل فرقتك وعجل فضيحتك .

---

١) المُدام : الخمر .
٢) حي من نُمير .

باب ما جاء في الغيرة

★ يروى عن عروة بن الزبير ، عن اسمـــاء [١] بنت ابي بكر ، قالت سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول وهو على المنبر : لا شيء أغيَرُ من الله . وعن عبد الله بن مسعود [٢] انه قال : أن الله ليغار للمسلم فليغر وعنه ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انــه قال : ليس شيء أغير مِن الله ، من اجل ذلك حرم الفواحش . وعن كعب بن مالك [٣] أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : الغيرة غيرتان : فغيرة يحبها الله ، وغيرة يكرهها الله . قلنــا : يا رسول الله ، ما الغيرة التي يحبها الله ؟ قال : ان يغار أن يأتي معاصي الله ، وينتهك محارمه . قلنا وما الغيرة التى يكرهها : قال ان يغـــار احدكم في غير كنهه . وعن عبد الملك بن عمير بن عبدالله بن بكار انـــه قال : الغيرة غيرتان : غيرة يصلح بها الرجل اهله ، وغيرة تدخله النار .

---

١) الاخت الكبرى لعائشة ومن السابقات في الاسلام زوجهـــا الزبير بن العوام وابنها عبـــد الله . لقبت بذات النطاقين لأنها شقت رداءها لتحمل قربة الماء وكيس الخبز الى النبي وأبيها عند الهجرة .

٢) صحابي هو سادس من أسلم وكان في خدمة النبي وحجة في القرآن والحديث . أخذ الناس عنه تفسيره المتسامح في تحريم الخمر . (ن . ر)

٣) صحابي داوى النبي لما جُرِح في احدى المعارك . وهو من سكان المدينة .

ويُروى : ان سارة[1] كانت تحب ابراهيم[2] خليل الرحمن . فمكثت معه دهراً لا ترزق ولدا ، فلما رأت ذلك وهبت له هاجر[3] ، وكانت أمة لها قبطية[4] ، فولدت لابراهيم اسمعيل ، صلى الله عليهما ، فغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها ، وعتبت على هاجر . فحلفت لتقطعن عضواً من اعضائها فقال لها ابراهيم ، صلى الله على نبينا وعليه : هل لك ان تبري يمينك ؟ قالت : كيف اصنع ؟ قال : اثقبي اذنيها وخَصّفيها . والخصف هو الخياطة . ففعلت ذلك بها ، فوضعت في اذني هاجر قرطين فازدادت حسنا . فقالت سارة : اني إنما زدتها جمالاً : فلم تتركه على كونها معه . ووجد بها ابراهيم وجداً شديدا ، فنقلها إلى مكة وكان يزورها في كل وقت من الشام لشغفه بها ، وقلة صبره عنها .

★ وعن ابن أبي مليكة : ان ابن عمر سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار ، بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر ، قال : فجمع لها جرائد[5] ثم اتى فضربها بها .

★ وعن علقمة : أن معاذ بن جبل[6] كان يأكل تفاحة ومعه

---

١) امرأة ابراهيم الخليل ووالدة اسحق جد الإسرائيليين (حوالي ٢٠٠٠ ق . م)

٢) هو خليل الرحمن وابو المؤمنين تلقى الوحي في أور ونزح منها الى بلاد كنعان وهو ابو اسحق واسماعيل جد العرب .

٣) جارية سارة زوجتها من زوجها ابراهيم فولدت له اسماعيل واختلف مع سارة بعد مولد اسحق . وعندما هاجرت أرسل الله الملاك جبرائيل ففتح لها بئراً لتشرب منه مع ولدها اسماعيل وتسمى هذه البئر ببئر زمزم . وقد طمست آثارها فاكتشفها عبد المطلب جد النبي .

٤) من الأقباط وهم سكان مصر الاصليون احتفظوا بلغتهم الاصلية في مختلف لهجاتها وهم اليوم طائفة من المسيحية .

٥) قضبان النخل ما دام عليها الخوص وإلا فهي سعفة (ن ، ر)

٦) صحابي أنصاري . أرسله النبي الى اليمن ليدعو أهلها الى الاسلام . حارب في أجنادين واليرموك . وهو فقيه مات بالطاعون في عمواس .

امرأته فدخل عليه غـــلام ، فناولته امرأته تفاحة قـــد اكلت منها فاوجعها ضرباً .

★ وقال بعضهم : لذة المرأة على قدر شهوتها ، وغيرتها على قدر لذتها . واستدل بافراط غيرتها على افراط حرصها . وهذا القول خطأ قد علمنا ان الرجل اشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل . وربما كان الذي يبدو من المرأة عند تسري زوجها بالسراري وتزويجه المهيرات [1] ، وحين تراه مع بعضهن توهما للفعل أن ذلك من الطربة والكراهة المشاركة فيه . وبعض ذلك يكون من طريق الالفة والنفاسة به ، وليس شكل مـــا تلقى المرأة اذا رأت على فراشها ، من شكل ما يلقى الرجل اذا رأى على فراش امرأته رجلاً . لان المرأة قـــد عاينت أن الرجل له اربع نسوة وألف جارية يطؤهن بملك اليمين ، لما احله الله في الشريعة . وكذلك غيرة فحول الحيوان على اناثها ، لان فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل يعرض لها حتى تصير إلى الغالب . قال الراجز .

يغـــار والغيرة في خلق الذكر والامم تختلف في الغيرة . فمن الصقالبة[2] ناس لا يتزوجون من قرب منهم في النسب ولا الدار . واذا مات البعل خنقت المرأة نفسها اسفاً عليه .

والمرأة في الهند إذا مات زوجها وارادوا حرقه ، جاءت ليحرقوها معه.

والديلمي [3] يخرج من الديلم إلى حدود ما بين دار الاسلام والديلم ، ومعه امرأته واخوانه وعماته فيبيعهن صفقة واحدة ، ويسلمهن الى المبتاع ،

---

١) واحدها مَهِيرة وهي الحُرَّة لأخذها المهر أو الغالية المهر .

٢) جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون الخزر وبعض جبال الروم .

٣) نسبة الى الديلم وهم جيل من الترك قيل أن أصلهم عربي . (ن . ر)

لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله .

وأهل طبرستان لا يتزوج الرجل الجارية منهن حتى يستبطن [1] بها حولا محرماً ثم يقدم بها فيخطبها إلى اهلها ويتزوجها ، ثم يزعمون مع ذلك انه يجدها بكراً ، وقد عانقها في ازار واحد سنة كاملة وهو لا يستبطن بها ، ويحتمل وحشة الاغتراب ، وانقطاع الاسباب . وإن من اعجب العجب ان يمكثا متعانقين في لحاف واحد يحتجران [2] عن الذ الامور تكرماً . وهذا التكرم عند علوج [3] طبرستان من العجائب .

★ قال معاوية ، رضي الله عنه : ثلاث خصال من السؤدد ، الصلع ، واندماج البطن ، وترك الافراط في الغيرة .

★ ولما نزل قيس بن زهير [4] ببعض العرب قال لهم : أني غيور ، وأنا فخور ، وانا أنف ؛ ولكن لا أغار حتى ارى ، ولا افخر حتى افعل ، ولا آنف حتى اضام . فعابوه بقوله « لا اغار حتى ارى » ويظن به انما عني رؤية السبب لا رؤية المرافقة .

وعابوا معاوية ايضاً بقوله هذا ونسبوه إلى قلة الغيرة « وما ارى في قوله وترك الافراط عيبا لان الافراط المجاوز للحق ولمقدار المصلحة وظلم الخليلة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق »

وعاب الناس قول هدبة بن خشرم حيث يقول :

---

١) استبطن الفحل الشوْلَ : ضربها فلقحت كلها . وهنا بمعنى يعاشرها كالمرأة .
٢) يتحاضنان .
٣) جمع علج وهو الرجل من كفار العجم ، أو الضخم القوي .
٤) من شعراء نجد سمي قيس الرأي لصحة رأيه ، وهو صاحب داحس .

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا   اغم[1] القفا والوجه ليس بأنزعا[2]

فهذا يأمرها بتزويج الانزع القليل شعر القفا والوجه .

ولا ارى فيه عيباً ايضاً لأنه انما قال ذلك ليذكرها جمال نفسه ليزهدها في غيره .

وأما قول نصيب[3] .

أهيمُ بدعد ما حييت وإن أمت   فياليت شعري من يهيم بها بعدي

فإني لم اجد له تأويلاً . وعاب ذلك عليه عبد الملك بن مروان ، وقال لجلسائه : او لو كنتم قائلين هذا البيت ما كنتم تقولون ؟ قالوا : لا ندري ، فكيف كان امير المؤمنين قائلاً ؟ قال : كان يقول :

اهيم بدعد ما حييت فان أمت   فلا صَلُحت دعد لذي خلة بعدي

وكان الرجل من العرب إذا خرج مسافراً بدأ بالشجرة يعقد خيطاً على ساقها أو على غصن من اغصانها ، فإذا رجع إلى اهله بدا إلى الشجرة فنظر إلى الخيط ، فإن كان منحلاً حكم أن امرأته خانته ، وان كان على حاله حكم انها حفظته .

---

١) يبعث منظره على الحزن والكدر .

٢) الانزع : الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته . (ن . ر)

٣) من الشعراء العذريين .

وانشد ابو زيد[1] النحوي .

هل ينفعك اليوم إن همت بهم ... كثرة ما توصي وتعفي والرتم

والرتم اسم للخيط الذي يعقد في الخنصر لتذكر الحاجة .

وكان معاوية بن ابي سفيان يتمثل بقول الشاعر :

ومراكب رجع السلام بكفه ... ومودع لم يستطع تسليما

وقال آخر :

واضحى الغيور، ارغم الله انفه ، ... على ملتقانا قائماً يتمطّق[2]
وقد مد شدقيه من الغيظ والأذى ... كما مد شدقيه الحمار المخنّق

وقال الراعي[3] :

وظل الغيور آرضاً[4] ببنانه ... كما عضّ برذون على الفاس جامح
لقد رابني أن الغيور يودني ... وان نداماي الكهولُ الجحاجح[5]

١) ابو زيد الأنصاري البصري سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد نحوي تتلمذ على المفضل الضبي . وكان ثقة من أهل البصرة . وكان من الأئمة في الأدب وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب ومن مؤلفاته كتاب « النوادر » .
٢) يتذوق أو يصوت باللسان وغار الفم الاعلى استحسانا . (ن . ر)
٣) هو ابو جندل الهوازني من شعراء العصر الاموي . غلب عليه لقب الراعي لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها .
٤) آكلا وقاضما .
٥) واحدها الجحجاح وهو السيد الكريم .

وصَدَّ ذوات الظعن عني وقد رأت كلامي لمراء السنـــا الطوامح ؟

وقال عبد الله بن الدمينة [1] :

ولمـــا لحقنا بالحمول ، ودوننـــا
خميص الحشا[2] تؤذي القميص عواتقه ،
عرضنا ، فسلمنا ، فسلم كارهـــا علينا ، وتبريح من الغيظ خانقه .
فرافقتـه مقدار ميـــل وليتني ، على زعمه ، ما دمت حياً أرافقـه

وقال مسكين الدارمي [3] .

وإني امروءٌ لا أُلقىَ إلا قاعـــداً الى جنب عِرسي[4] لا أفارقها شبرا
ولا مقسم لا تبرح الدهر بيتهـــا ليجعلها قبل الممات لهـــا قبرا .
اذا هي لم تُحصن[5] أمام قناعهـا ، فليس بمنجيهـا بناي له قصرا ،
ولا حاملي ظني ، ولا قول قائل على غيرها ، حتى أحيط بها خبرا .

---

١) شاعر من بني عامر بن تيم الله الخثعمي . ولعله هو الذي كان حاكم مكة زمن هارون الرشيد .
٢) خميص الحشا . ضامر البطن .
٣) شاعر قيسي تميمي توفي سنة ٧٠٨ .
٤) زوجتي .
٥) تعفّ (ن . ر)

فهبني امرأً راعيت ما دمت شاهدا
فكيف إذا ما سرت عن بيتها شهرا ؟

وقال مسكين ايضاً :

أَلَا أيُّها الغائرُ المستشيط ، على ما تغار إذا لم تغر ؟
تغار على الناس أن ينظروا ! وهل يغبن للحاصنات النظر ؟
فما خير عرس إذا خفتها وبت عليها شديد الحذر ؟!
تكاد تصفق اضلاعه إذا ما رأى زائراً أو زفر .
فمن ذا يراعي له عرسه إذا ضمه ، والمطي ، السفر ؟

★ وثلاثة من شعراء اولاد العجم ممن كان مشتهراً بالغزل مذكوراً ، بالشعر بالبادية ، كلهم قتلوا منهم : وضاح اليمن [1] ، ويسار ، الكواعب ، وسحيم عبد بني الحسحاس . وانما قتلوا كفا عن اولئك النساء ، وحفظاً لهن ، حين رأوا التعرض ، وشنعة تلك الاشعار لا يشغلهم عنها إلا قتلهم مخافة أن يكون ذلك القتل يحقق المقالة القبيحة . الا ترى ان الحجاج ابن يوسف في عتوه لم يتعرض لابن نمير في تشببه بزينب اخته مخافة ان يكون ذلك سبباً للخوض في ذكرها . فيزيد زائد ، ويكثر مكثر . وكذلك معاوية بن أبي سفيان لم يعترض لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وكان يتشبب بابنته ، حتى قال :

---

١) شاعر من مشاهير الغزليين . شبب بأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك فأمر بدفنه حياً .

ثم حاضرتها الى القبة الخضراء   نمشي في مرمر مسنون

ومن أحق بالقتل من سحيم عبد بني الحسحاس ؟ حيث يقول :

وبتنا وسادانا الى عَلَجَانة[1]   وحِقْف[2] تهاداه الرياح تهاديا
تُوَسِّدُني كفاً و تُثني بمعصم   علي ، ونحوي رجلها من ورائيا
وهبت شَمَالُ[3] آخر الليل قرة   ولا ثوبَ إلا درعها وردائيا
فما زال ثوبي طيبا من نسيمها   الى الحول حتى انهج الثوب باليا

ومروا به ليقتلوه على الذي اتهم بها ، فضحكت ، فقال :

فان تضحكي مني فيا رب ليلة ،   تركتك فيها كالقباء المفرج

★ وحكى العتبي ، قال : سمع عقيل بن علقمة المري بنتاً له ضحكت ، فشهقت في اخر ضحكها . فأخذ السيف وحمل عليها وهو يقول :

فَرِقت ، أني رجل فَرُوق ،   من ضحكة آخرها شهيق

قال : فنادت يا اخوتاه ! فبادروا فحالوا بينه وبينها .

---

١) تراب تجمعه الريح في أصل شجرة .
٢) الكثب من الرمل إذا تقوس .
٣) الريح التي تهب من ناحية القطب . (ن . ر)

★ وحكى ابو حاتم السجستاني [١] ، عن الاصمعي ، قال : كان عقيل ابن علقمة غيوراً ، وكان الخلفاء يصاهرونه ، وكانت له ابنة يقال لها الجرباء . فكان إذا خرج الى الشام خرج بها لفرط غيرته . فخرج بها مرة وبابن له يقال له عميس ، فلما كانوا بدير سعد [٢] قال عقيل :

قضت وطرا من دير سعيد وربما غلا غرض ناطحته بالجماجم

ثم قال لابنه أجِزْ يا عميس . فقال :

فأصبحن بالموماة[٣] يحملن فتية ، نشاوى من الادلاج[٤] ، ميل العمائم

ثم قال لابنته : اجيزي ، يا جرباء . فقالت :

كأن الكرى أسقاهم صرخدية[٥] عقار تمشت في المطا والقوائم .

فقال لها : وما يدريك انت ما نعت الخمر ؟ هذه صفة من قد شربها . وأخذ السوط فاهوى نحوها ، وجاء عميس فحال بينه وبينها ، فضربه فأوجعه فرماه عميس بسهم ، فشك فخذيه فبرك ، فمضوا وتركوه حتى إذا بلغوا اداني المياه منهم ، قالوا : اللهم أسقطنا جزوراً لنا . فأدركوه وخذوا معكم الماء . ففعلوا ، فاذا عقيل بارك وهو يقول :

---

١) لغوي عاش في البصرة وتعاطى بيع الكتب . تعلم على الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد . له كتاب « النخل » وكتاب « الليل والنهار » .
٢) موضع في البادية .
٣) اسم يقع على جميع الفلوات أو هو المفازة .
٤) سير الليل مطلقاً .
٥) الخمر المنسوبة الى صرخد – بلد بالشام في جبل حوران – (ن . ر) .

ان ابني زملاني بالدم　　　من يلق أبطال الرجال يَكْلَمِ
ومن يكن درء به يقوم　　　شنشنة اعرفها من أخزم

ثم زوجها يزيد بن عبد الملك. وقد ذكرنا خبره في ما مضى.

★ قال: ومما يَحْدُثُ الهوى في قلوب النساء لغير ازواجهن، ويدعوهن إلى الحرص على الرجال، والطلب لهن امور منها: ان يُظهر لها زوجها شدة الحذر عليها، والاحتفاظ بها، والغيرة في غير موضعها. او يكون الرجل منهمكا في الفساد، مظاهراً لها بالزنا. فان ذلك مما يغريها من طلب الرجال، والحرص عليهم. كما قال الشاعر:

ما أحسن الغيرة في حينها،　　　وأقبح الغيرة في كل حين.
من لم يزل مُتَّهِما عِرسَهُ　　　متَّبعاً فيها لرجم[1] الظنون،
أوشك أن يُغْرِيَها بالذي　　　يخاف، أو ينصبها للعيون.
حسبك من تحصينها ضمها　　　منك الى عرض نقي ودين.
لا تطلع منك على ريبة　　　فيتبع المقرون حبل القرين

★ ذكر الشعبي[2]: إن عبد الله بن رواحة[3] اصاب جارية له،

---

١) التكلم بالظن.

٢) ابو عامر بن شراحيل تابعي ومحدث كان مستشار الخلفاء. وهو علامة الكوفة روى عن علي وأبي هريرة وعائشة. ومن تلاميذه ابو حنيفة.

٣) من الصحابة وكاتب أسرار النبي كان من الأشخاص القلائل الذين يعرفون الكتابة في ذلك الوقت (ن. ر)

فسمعت به امرأته ، فأخذت شفرة فأتته حين قام وقالت له : أفعلتها يا ابن رواحة ؟ فقال : ما فعلت شيئاً . فقالت : لتقرأن قرآنا ، وإلا بعجتك بها . قال : ففكرت في قراءة القرآن وانا جُنُب فَهِبتُ ذلك ، وهي امرأة غيراء في يدها شفرة لا آمن ان تأتي بما قالت . فقلت :

وفينا رسول الله يتلو كتـــابه إذا انشقَّ معروف من الصبح ساطع

أرانا الهدى ، بعد العَمَى ، فقلوبنا به موقنات ، انـ ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ، إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قال : فالقت السكين من يدهـا ، وقالت : آمنت بالله ، وكذبت البصر . قـــال : فاتيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فاخبرته بذلك ، فضحك واعجبه ماصنعت .

★ وكان بعض العلماء لشدة شهوة الباه [١] في قلوب النساء ، وتمكنه فيهن ، وشدة غيرتـه ، يقول : ليس المصيبة في معاتبة الرجل المرأة ، انمـا المصيبة في معاتبتها اياه . فانها إن نظرت اليه ووقع بقلبها موقع شهوة لم يلبث أن تصير في يده ، وتبعث الرسائل والاشعار والتحف .

★ قال اسحق : رأيت رجـــلا بطريق مكة ، تعادله في المحمل جارية قد شد عينيها والغطا مكشوف ، ووجهها باد ، فقلت له في ذلك . فقال : إنما أخاف عليها من عينيها ، لا من عيون الناس .

١) النكاح وقيل الحظ من النكاح .

★ قال سعيد بن سُليمان لإنْ يرى حرمتي الفُ رجل على حـــال يكشف منها ، ولا تراهم ، احب الي من أن ترى حرمتي رجلاً واحداً غير منكشف .

★ واستأذن ابن ام مكتوم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعنده امرأتان من نسائه ، فقال لهما : قوما وادخلا البيت . فقالتا : يا رسول الله ، هو اعمى ! فقال : أفعمياوان أنتما ؟ .

(باب من هذا الشكل)

وبالرجال اعظم حاجة إلى أن يعرفوه ويقفوا عليه ، وهو الاحتراس من ان يلقى الخبر السابق إلى السمع لأنــــه إذا القي دخل ذلك الخبر السابق إلى مقره دخولاً سهلاً وصادف موضعا وطيئاً ، وطبيعة قابلة . ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخاً لا حيلة في إزالته . ومتى القي إلى الفتيات شيء من أمور الفتيان في وقت الغرارة [١] وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة ، وعند قلة الشواغل ؛ قوي استحكامه ، وصعبت إزالته . وكذلك متى القي إلى الفتيان شيء من أمورهن وهناك سكر الشباب ، فكذلك يكون حالهم ، وان الشياطين ليخلو احدهم بالغلام الغرير فيقول له لا يكن الغلام فتى ابداً حتى يصادف فتى . فما المـاء البارد العذب باسرع في طباع العطشان من كلمته إذا كان الغلام ادنى هوى في الفتوة . وكذلك إذا خلت العجوز بالجارية الحديثة .

وقيل لابنة الحسن : لم زنيت بعبدك ولم تزن بحر ، وما اغراك به ؟ قالت : طول السواد ، وقرب الوساد . ولو أن اقبح الناس وجهـــاً ، واخبثهم نفراً ، واسقطهم همة ، قال لامرأة قد تمكن كلامها وأعطته سمعها : والله يا سيدتي ويا مولاتي ، لقد اتعبت قلبي ، وأرقت عيني ، وشغلتني عن مهم أمري ، فما اعقل أهلا ولا مـــالا ولا ولداً . لنقض

---

١) حداثة السن وهو ما يطلق عليه اليوم المراهقة .

طباعها ، وفتح عقدها ولو كانت ابرع الخلق جمالاً ،وأكملهم كمالاً . وإنما قال عمر رضي الله عنه : اضربوهن بالعري لان الثياب هي الداعية إلى الخروج من الاعراس ، والقيام في المناجاة ، والظهور في الاعياد . فمتى كثر خروجها لم يعدمها أن ترى من هو من شكل طبعها ، ولو كان بعلها تم حسناً والذي رأت انقص حسناً ، لكانت بما لا تملكه أطرف مما تملكه . وكانت بمما لم تملّه وتستكثر منه اشد الوجد وهي به اشد استقبالاً . كما قال :

وللعين ملهى في البلاد ولم يقد هوى النفس شيئاً كاقتياد الطرائف

وقيل لعقيل بن علقمة : أما تخاف على بناتك وقد عنسن [1] ولم تزوجهن ؟ قال : كلا ، اجوّعهنّ فلا يأشرن [2] ، وأعرّيهنّ فلا ينظرن . فوافقت احدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم ، ووافقت الاخرى قول عمر رضي الله عنه . فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الصوم وجاء . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اضربوهن بالعري . قال : وكان هرون بن عبد الله البردعي يقول لأهله : محرم عليك أن نظرت إلى سائل يقف ببابك ، وسمعت حلاوة نغمته . وكان ينهي الباعة إذا دخلوا سكنه عن النداء على بضائعهم . ورأيته مرة يضرب عطاراً سمعه يترنم بوصف العطر وكان ينفق بضاعته حسنُ صوته ، فيقول : العود المطري [3] ،

١) عَنِسَتْ الجارية : طال مكثها في بيت أهلها ولم تتزوّج .
٢) أَشِرَ : مَرِحَ وبَطِرَ .
٣) شجر له حب يجعل في الطيب .

والمحلب[١] واللبان[٢] والمسك والعنبر ويردد ذلك بصوته فيرجعه[٣]. فكان النساء يستمعن اليه ويشرفن من المطالع[٤] ويتبعن الابواب حتى تصل عيونهن إلى النظر اليه. ولو اردن الجماع لكفتهن الآذان. وربما اشترين منه ما لا يحتجن اليه. قال: فقلت له: يا أبا وائلٍ، فانك قد انعم الله بشيء كنت تمنعه! قال: جعلت فداك، إنما امنع منعي لنفسي لئلا يسمعه من في منزلي. فإن النساء أسرع شيء ذهاب قلوب إلى النغمة الحسنة، فإن كان معه حسن وجه برئت المرأة من الله إن لم تحتل في صرف قلبه اليها، ويصير الزوج قواداً. قلت: لا، ولا كل هذا! قال: فاسألك الا سألته أن يستعمل هذا الكلام مرة أو مرتين او ثلاثاً في غير هذه السكة. فذهبنا به إلى غيرها وجعل العطار ينادي فما أتم الثالثة حتى تحركت اكتافي له طرباً وجعلت لا أمر ولا أجيء لما سكرت من حسن صوته. فقال: كيف تراه؟ قلت: اراه يستولي على قلوب الرجال. قال: فكم قلب الرجل على ترك التهتك من قلب المرأة؟ هذا إذا كانت بلغت من السن مبلغاً، ونقصت شهوتها فاما إذا كانت شابة ولها فضل جمال، ومعها شدة شهوة، وكثرة لذة، وهي ذات حاجة، وخالية الذرع من الفكرة في المعاش، وخالية القلب، وقد أمنت ضرب الزوج وتطليقه، وغيرة الأخ، وقلة صيانة الأب، وأصابت من يشجعها على فعلها، ويفتح لها ابواب نظرتها، ويسعى لها في طلب الصديق، ويحرضها على التهتك؛ وقد قرب منها الصوت، وخلت من الرقيب، ولم يكن لها في الارض اشراف، ولا اهل عفاف؛

---

١) شجر له حب يجعل في الطيب.

٢) ضرب من الصمغ يقال له الكندر أو شجيرة شوكة لا تسمو أكثر من ذراعين، ورقها وثمرها كورق الآس وثمره أو هي شجرة الصنوبر.

٣) ردد وطرّب. (ن. ر)

٤) السلالم.

فما يمرق السهم من الرمية كمروق هذه إلى الباطل .

وكانت هند بنت المهلب من عقلاء النساء وكانت تقول : شيئان لا تُؤمن عليهما المرأة : الرجال ، والطيب .

وأنشد اسحق بن ابراهيم .

وإني بها في كل حال لواثق ولكن سوء الظن من شدة الحب

وأنشد آخر .

لا تأمنن على النساء ولو اخا ، ما في الرجال على النساء أمين
كل الرجال وان تعفف جهده لا بد أن بنظرةٍ سيخون

★ وقال كان عبد السلام بن رغبان المشهور بديك الجن[1] شاعراً اديباً ، ذاهمة حسنة . وكان له غلام كالقمر ، وجارية كالشمس . وكان يهواهما جميعاً . فدخل ذات يوم فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله ، فشد عليهما فقتلهما جميعاً . ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلاً وقال :

يا طلعةً طلع الحِمام عليها فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها ومدامعي تجري على خديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روّى الهوى شفتيّ من شفتيها

١) شاعر دافع عن العرب المستعربة وكان شيعياً متعصباً ألف المراثي في مقتل الحسين وولد في حمص (٧٧٨ – ٨٤٩) .

فوحق نعليها ، وما وطىء الحصى ،

شيء أعز علـــــي من عينيهـــــا

ماكان قَتْلِيها لأني لم أكن ... أبكي إذا سقط الغبار عليها

لكن بخلت على الأنام بحسنها ... وأنفت من نظر العيون إليها

ثم جلس عند رأس الغلام يبكي :

أشفقت ان يرد الزمـان بغدره ... او أبتلي بعـد الزمان بهجره

قمر أنا استخرجته من دجنـــة ... لمودتي وجلوتـه في خـــدره

فقتلتـــه وبه علي كرامـة ... فلي الحشا وله الفـــؤاد بأسره

عهدي به ميتاً كأحسن نائم ... والطرف يسفح دمعتي في نحره

لو كان يدري الميت ماذا بعده ... بالحي منـــه بكى له في قبره

غُصَصٌ تكاد تفيض منها نفسه ... ويكاد يخرج قلبـــه من صدره

وأنشد الرازي :

أما واهتزازك لو أستطيع ... لما لحظ الناس بدر التمام

ومن أين للبدر وجه يميت ... ويحيي إذا شاء بالابتسام

فهبه حَكَاكَ بحسن الضيـا ... فمن أين للبدر حسن القوام؟

اغـار على حسنه إذ حكا ... كَ وكان بذلك عند الأنام

وأنشد لأبي تمـام [1] :

بنفسي من أغـار عليه مني وأحسد مقـلة نظرت إليه
ولو أني قدرت طمست عنه عيون الناس من حذري عليه

وأنشد الآخر :

أغار عليك من قلبي ولو أعطيتني أمـــلي
وأشفق ان أرى خديـ ـك نصب مواقع القبل

★ ويروي أن جميل بن معمر قال لبثينة : مـــا رأيت مصعب بن الزبير يخطر بالبلاد إلا اخذتني عليك الغيرة .

وعن علي بن عبدالله الجعفري ، وكان شاعراً اديباً ، قال : كنت أجلس بالمدينة وأنشد اشعاري ، فحج ابو نواس [2] فلمـــا صار إلى المدينة وأنا ذات يوم أنشد ، والناس مجتمعون عليّ ، إذ دخل ابو نواس . فرأيته من بين الناس ثم قـــال : يا هذا ألا تنشد بيتيك اللذين تكشحت فيهما ؟ فقلت : وما هما . قال : اللذان تقول فيهما :

ولما بدا لي أنهـــا لا تحبني وان هواها ليس عني بمنجلي
تمنيت ان تبلى بغيري لعلها تذوق حرارات الهوى فترق لي

---

١) حبيب بن أوس الطائي ولد في جاسم ونشأ في جبـــل عامل . شاعر عباسي كان قوي الحلفظة حاضر البديهة .

٢) من أكبر شعراء العصر العباسي . ولد في الأهواز . لقب بشاعر الخمرة . كان مقرباً من الرشيد والأمين والمأمون واتصل بالبرامكة . وتاب في أخريات أيامه وتزهد .

قلت : افلا أنشدك بيتي اللذين أتغاير فيهما ؟ قال : بلى . فانشدته :

ربما سرني صـــدودك عني وطلابيك وامتناعك مني
حذراً أن يكون مفتاح غيري فاذا ما خلوت كنت التمني

قال : فسألت عنه . فقيل لي ابو نواس .

★ قال الأشعث بن قيس [١] نزلت ببعض أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقام إلى امرأته فضربها ، فحجزت بينهما . قـال : فرجع إلى فراشه ، وقال : يا أشعث ، احفظ شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسألن رجلاً فيم يضرب امرأته . »

★ قال ابن عائشة [٢] : كان ابو الاصبع العدواني غيوراً ، وكان له أربع بنات ، فأبى أن يزوجهن ، فقالت واحدة منهن : لتقل كل واحدة منا ما في نفسها . فقالت كبراهن :

ألا ليت زوجي من أُناس ذوي غنى حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق بأكبـاد النساء كأنـــه خليفة جـــار لا يقيم على الهجر

قلن لها أنت تريدين شاباً غنياً .

---

١) من أمراء كندة وفد على النبي محمد مع جماعة من قومه ليعلنوا اسلامهم . شهد القادسية والمدائن وفيها ولد واليرموك ووقعة صفين بين علي ومعاوية . ولقد خان علياً فلقب (عرف النار) .

٢) لعله ابن عائشة القرشي وكان أطيب الناس صوتاً في زمانه يحسن الغناء والضرب وكان لا يغني إلا للخليفة توفي سنة ٧٤٣ .

وقالت الثانية :

عظيم رمـــاد القدر رحب فنـــاؤه
له جفنة يشقى بها النيب[1] والجزر[2]

له خلقان : الشيب من غير كبرة
تشين ، ولا وانـ ولا صرع غمر

فقلن لها أنت تريدين سيداً .

وقالت الثالثة :

ألا هل تراها مرة وخليلهـــا
يضم كبعل المشرفي المهنـــد

عليـــه رواء لليسار ورهطه
إذاما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته .

وقلن للصغرى : مــا تقولين أنت ؟ فقالت : لا أقول شيئاً . فقلن لها : لن ندعك لأنـك اطلعت على أسرارنا وكتمت سرك . فقالت : لا ادري ما اقول ، إلا انه زوج من عود ، خير من قعود . قال : فخُطِبن ، فزوجهن جميعاً .

وروي عن سليمان[3] بن داود[4] عليهما السلام انــه قال لابنه :

---

١) الإبل الهرمة .
٢) ما يعد للذبح .
٣) ابن داود وخلفه على ملك يهوذا قام ببناء الهيكل واتصف برجاحة العقل .
٤) من سبط يهوذا من مدينة بيت لحم . وهو مؤسس مملكة يهوذا ووطد أركانها وكان ورعاً مطيعاً لشريعة الله إلا أنه غاظ العلي إذ قتل اوريا أحد أركان جيشه بعد أن زنى بامرأته ثم ندم على خطأه ندامة عميقة . (ن . ر)

يا بني ، لا تكثر الغيرة على اهلك من غير ريبة ، فترمى بالسوء من أجلك وان كانت بريئة .

وقال بعض الظرفاء : كنت شديد الغيرة ، فاخبرت بمجيء قبيحة سوداء فذهبت مع أخوان لي عندها ليلة فطفىء السراج ، فضربت بيدي إلى صدرها فإذا دون يدي أربع أيد ، فما أعلم أني خطر ببالي امرأة بعد ذلك .

قال : كان سليمان [1] بن عبد الملك من أشد الناس غيرة . فحكى ابو زيد الأسدي قال : دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكان مبلط بالرخام الأحمر ، مفروش بالديباج الأصفر في وسط بستان قد أينعت ثماره ، ورنت أطياره ، وأزهر نبت الربيع ؛ وعلى رأسه وصائف كل واحدة احسن من صاحبتها ، فقلت : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكان سليمان مطرقاً فرفع رأسه فقال : ابا زيد ، في مثل هذا اليوم يصلب أحد حياً . فقلت : يا سيدي ، يا امير المؤمنين ، أو قد قامت القيامة ؟ قال : نعم على اهل الهوى سراً . ثم اطرق ورفع رأسه ، وقال : ابا زيد ما يطيب في يومنا هذا ؟ فقلت : قهوة حمراء ، في زجاجة بيضاء ، تناولنيها مقدودة هيفاء ، مضمومة لفـاء دعجاء ، اشربها في كفها ، وأمس فمي بفمها : فاطرق سليمان ملياً ودموعه تنحدر . فلما رأى الوصائف ذلك تنحين عنه فرفع رأسه وقال : يا ابا زيـد ، حلَلت والله في يوم فيه انقضاء اجلك ، وتصرم مدتك ، وفناء عمرك . والله لا ضربن عنقك او تخبرني مـا الذي اثار هذه الصفة من قلبك ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين، كنت جالساً على باب أخيك سعيد بن عبد

---

١) الخليفة الأموي أسس مدينة الرملة في فلسطين وحارب البيزنطيين وفي أيامه حاصر العرب القسطنطينية ولم يقدروا عليها . وتوفي في دابق في شمال سوريا .

الملك وإذا جارية قد خرجت إلى باب القصر عليها قميص اسكندراني ، يبين منه بياض ثديها ، وتدوير سرتها ، ونقش تكتها ؛ وفي رجليها نعلاها ، قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها ؛ ولها ذؤابة [1] تضرب إلى حقويها ، وتسيّل كالعثاكيل [2] على منكبيها ؛ وطرة [3] قد اسبلت على جبينها ؛ ولها صدغان كانهما نونان على وجنتيها ، وحاجبان قد تقوسا على محجري عينيها ، وعينان مملوءتان سحراً ، وأنف كانه قصبة در ، وهي تقول : « عباد الله ما الدواء لما لا يشتكى ، والعلاج مما لا ينتمي؟ طال الحجاب ، وأبطأ الكتاب . العقل ذاهب ، واللب عازب ، والعين عبرى ، والأرق دائم ، والوجد موجود ، والنفس والهة ، والفؤاد مختلس . فرحم الله قوماً عاشوا تجلداً ، وماتوا تبلداً : لو كان في الصبر حيلة ، وإلى العزاء وسيلة ، لكان امراً جميلاً ! » فقلت : « ايتها الجارية انسية أنت ام جنيـــة سماوية او أرضية ، فقد اعجبني ذكاء عقلك ، وأذهلني حسن منطقك ؟ فسترت وجهها بكمها كانها لم ترني ، وقالت : « أعذر ايها المتكلم ، فما أوحش الوجد بلا مساعد ، والمقاساة لصب معاند . ثم انصرفت ، فوالله يا امير المؤمنين مـا اكلت طيباً إلا غصصت بـــه لذكرها ، ولا رأيت حسناً إلا سمج في عيني لحسنها . فقال سليمان : ابا زيد ، كاد الجهل يستفزني ، والصبا يعاودني ، والحلم يعزب عني . تلك الذلفاء [4] التي يقول فيها الشاعر :

انمـــا الذلفـاء ياقوتة   اخرجت من كيس دهقان

---

١) ضفيرة الشعر المرسلة أو الشعر المنسدل من وسط الرأس الى الظهر .

٢) الشماريخ أو الأعذاق التي يكون عليها البسر .

٣) ما تقطعه الجارية من الشعر وتصففه على جبهتها .

٤) احدى جواري سعيد بن عبد الملك . (ن . ر)

شراؤها على اخي الف الف درهم ، وهي عاشقة لمولاها الذي باعها منه . والله لا مات إلا بحسرتها ، ولا فارق الدنيا إلا بغصتها . وفي الصبر سلوة ، وفي توقع الموت نهية . قم ابا زيد فاكتم المفاوضة ، ويا غلام ثقل يده ببدرة . قال : فلما هلك سعيد بن عبد الملك صارت الجارية إلى اخيه سليمان ولم يكن في عصرها اجمل منها ، فملكت قلبه ، وغلبت عليه دون سائر جواريه . فخرجا يوماً إلى دهنـاء[1] الغوطة[2] بموقع يقال له دير الرهبان فضرب فسطاطه في روضة خضراء مونقة ، زهراء ذات حدائق وبهجة ، حفها انواع الزهر الغض . فمن بين أصفر فاقع ، وأبيض ساطع ، مثل النبـات تحمل منه الريح نسيم المسك الأذفر[3] ، ويؤدي تضوع عرفهـا فتيت العنبر . وكان له مغن يأنس به ، ويسكن اليه ، ويكثر الخلوة معه ، ويستمع حديثه ، يقال له يسار . وكان أحسن الناس وجهاً ، وأظرفهم ظرفاً . فأمر بضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان إلى ذلك المنتزه . فلم يزل يسار يومه ذلك عند سليمان في اكمل سرور ، وأتم حبور ، إلى أن أتى الليل وحان انصراف يسار إلى موضعه فوجد جماعة قد اناخوا بـه ، فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام جذلان بنزولهم ، وفرح بدخولهم . فأحضر الطعام فأكلوا ، وقدم الشراب فنالوا منه . ثم قال : هل من حاجة ؟ قالوا : ما جئناك إلا للقرى . فقال : بالجـانب الخصب نزلتم ، وبالمنزل الرحب حللتم . فقالوا له : أما الطعام فقد اكلنا ، وأمـا الشراب فقد حضر ، وبقي السماع . قال : أما السماع فلا سبيل اليه مع غيرة امير المؤمنين ونهيه إياي عن الغناء إلا ما كان في مجلسه . قالوا : فلا حاجة لنا في الطعام عندك ما

---

١) الفلاة .

٢) البساتين المحدقة بدمشق يرويها نهر بردى وأهم أشجارها المشمش والجوز .

٣) الذي تفوح رائحته ويشتد طيبه .

لم تسمعنا . فلما رآهم غير موقلين [١] عنه رفع عقيرته [٢] وغنى بهذه الابيات :

محجوبة سمعت صوتي فأرّقها   في آخر الليل حتى ملَّها السهرُ

لم يحجب الصوتَ اجراس ولا غلق [٣]

فدمعها لطروق الصوت ينحدر

في ليلة البدر لايدري مضاجعها ،   أوجهها عنده أضوا ، أم القمر

لو خُلِّيت لمشت نحوي على قَدَم   يكاد من لينه للمشي ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت يسار خرجت إلى صحن الفسطاط [٤] تسمع الصوت ، فجعلت لا تسمع شيئاً من خلق ، ولطافة قط ، إلا الذي وافق المعنى . ومن نعت الليل واستماع الصوت إلا رأت ذلك كله في نفسها ، فحرك ذلك ساكناً كان في قلبها فهملت عيناها ، وعلا نشيجها . فانتبه سليمان فلم يجدها معه في الفسطاط فخرج إلى صحنه فرآها على تلك الحال ، فقال لها : ما هذا يا ذلفاء ؟ فقالت يا امير المؤمنين :

الا رُبَّ صوتٍ رائع من مُشَوَّهٍ   قبيحِ المحيا واضعِ الأَبِ والجدِ

يروعك منه صوتُه ولعلَّه   الى أَمَةٍ يعزى معاً والى عبد

فقال سليمان : دعيني من هذا ، فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر .

---

١) وَقَل : رفع رجلا وأثبت اخرى وهنا بمعنى ذاهبين .
٢) العقيرة : منتهى الصوت أو الصوت يرفع في غناء او بكاء او قراءة .
٣) الغَلَق ما يُغلق به للباب ويفتح بالمفتاح وكنى به هنا عن الباب .
) البيت من الشعر (ن . ر)

يا غلام ، عليّ بيسار . فدعت الذلفاء خادماً لها وقالت : إن سبقت إلى يسار فحذّرته فلك عشرة الاف درهم وأنت حر . فسبق رسول سليمان فأحضره فلما وقف بين يديه ؟ وسليمان يرعد غيرة ، قال : من انت ؟ فقال : يسار . فقال سليمان :

تشكل في الشكل يساراً امُّه — كان لها ريحانة تشمه
وخاله يثكله وعمه — ذو شفة حياته تغمه

فقال يسار :

واستبقني الى الصباح اعتذر — ان لساني بالشراب منكسر
فان أكن اذنبت ذنباً او عثر — فالسيد المولى احق من غفر

ثم قال : يا يسار ألم انهك عن مثل هذا الفعل ؟ فقال : يا امير المؤمنين حملني الثمل [1] وقوم طرقوني ، وانا عبد امير المؤمنين . فإن رأى أن لا يضيع حظه مني فليفعل . قال : أما حظي منك فلم أضيعه ، ولكن لا تركت للنساء فيك حظاً ابدا يا يسار . أما علمت أن الرجل إذا تغنى اصغت اليه المرأة ؟ وأن الفرس إذا صهل تودّقت [2] له الحصان ؛ وأن الفحل إذا هدر صفت له الناقة . يا غلام إئتني بختّان . فختنه ، فعاش بعد ذلك سنة ومات . فسمي الدير دير الخصيان وبه يعرف إلى الآن .

---

١) شدّة السكر .

٢) اشتعلت أو تلألأت .

وكتب إلى عثمان بن حيان المري عامله على المدينة : أن اخص من قبلك من المغنين . فخصي الدلال فقال : الآن صرنا نساء حقاً .

وادعى بعض بني مروان أن عامل المدينة صحّف . وإنما رأى في الكتاب احص من قبلك ، فقال الكاتب الذي قرأ الكتاب : كيف يقولون ذلك ولقد كانت الخاء مبعجة بنقطة كانها سهيل ؟

★ قال اسحق [١] بن ابراهيم الموصلي قيل لعقيل بن علقمة وكان شديد الغيرة ، وأراد سفراً : اين غيرتك على من تخلّف ؟ قال : اخلف معهن الجوع والعري ، فإنهن إذا جعن لم يمزحن ، وإذا عرين لم يبرحن .

★ وعن المغيرة بن شعبة أن سعد بن عبادة قال : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربت رأسه بالسيف . فبلغ ذلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تعجبوا من غيرة سعد ، فوالله إني لأغير من سعد ، والله أغير مني ، من أجل ذلك حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن . فقال : يا ابا ثابت أكنت ضاربه بالسيف ؟ قال : نعم ، والذي نزّل عليك الكتاب . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كفى بالسيف شا . ولم يتمها . أراد شاهداً لئلا يبالغ فيه الغيران والسكران .

★ قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة [٢] : كان امرؤ القيس [٣] بن حجر مئناثاً لا يولد له ذكر ، وكان غيوراً شديد الغيرة ، فإذا ولدت له بنت

---

١) من مغني العصر العباسي الاول . ولد في الري وتوفي في بغداد (٧٦٥ - ٨٥٠) وكان منقطعاً للرشيد والبرامكة . وهو أول من استعمل التخنيث (Falsetto)

٢) من أدباء العرب تولى القضاء في دينور ومن مؤلفاته « أدب الكاتب » و « عيون الأخبار » .

٣) الملك الضليل ومن أصحاب المعلقات . أمير الشعر الجاهلي . ولد في نجد وتوفي في أنقرة . (ن . ر)

قتلها . فلما رأى نساؤه ذلك غيبن بناتهن في احياء العرب . وبلغه ذلك فركب راحلته وخرج مرتاداً لهن حتى أناخ على حي من أحياء العرب، وإذا جوار مجتمعات، فقال : أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي ؟ فسكتن عنه، وقالت ابنته : هات . فأنشأ يقول :

تَبلت فؤادك إذ عَرَضْت عشيةً   بيضاء بهنكة[1] عليها اللؤلؤ

قال : فسكتت ساعة، ثم قالت :

لعقيلة الادحي[2] بات يحفها
كنقا[3] الظليم[4] وزال عنها الجؤجؤ[5]

فضربها بالسيف فقتلها . وسار حتى نزل بحي آخر، فإذا بجوار يلعبن فقال : ايتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي ؟ فسكتن عنه، وقالت ابنته : هات . فقال :

إذا بركت تعالى مرفقاها   على مثل الحصير من الرخام

فسكتت ساعة، ثم قالت :

---

١) الشابة الخفيفة الطيبة الريح .
٢) مبيض النعام في الرمل .
٣) عظم العضد .
٤) ذكر النعام .
٥) الصدر .

وقاموا بالعصي ليضربوها   فهبت كالفنيق[1] من النعام

قال : فقتلها ، ثم سار حتى نزل إلى حي آخر ، فإذا بجوارٍ يلعبن . فقال : ايتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي ؟ فسكتن عنه . وقالت ابنته : هات . فقال :

وكأنهن نعاج رمل هائل   بدف[2] يَمِدْنَ كما يميد الشارب

فسكتت ساعة ، ثم قالت :

بل هن اقرب في الخطا من خطوها   ان الخرائد[3] مشيها متقارب

قال : فنزل اليها فقتلها وسار .

★ نزل اعرابي من طي[4] ، يقال له المثنى بن معروف ، بأبي جبر الفزاري فسمعه يوماً يقول : لوددت أني بت الليلة خالياً ببنت عبد الملك ابن مروان . فقال المثنى : أحلالا ام حراماً ؟ فقال : ما أبالي . قال : فوثب اليه فضرب رأسه برحالة فشجه ، ثم ارتحل وهو يقول :

ابلغ امير المؤمنين رسالة   على النأي اني قد وترت ابا جبر

نشرت على اليافوخ منه رحالة   لنصري امير المؤمنين ولا يدري

---

١) الفحل المكرم الذي يؤذي لكرامته ولا يركب أو الذي لا يركب ولا يمسّ .

٢) الدف من الأرض أو الرمل . سندها وما ارتفع من جوانبها .

٣) جمع خريدة وهي الفتاة البكر التي لم تمس أو الخفرة الحيية .

٤) قبيلة عربية هاجرت من اليمن بعد خراب سد مأرب وسكنت شمالي الجزيرة .

وماكان شيء غير اني سمعته ينادي نساء المؤمنين بلا مهر

قال، فبلغ ذلك امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأهدر دم أبي جبر وبعث إلى المثنى بصلة جزيلة.

★ وعن عبد الملك بن عمير قال: كانت هند بنت النعمان [١] بن بشير الأنصاري عند روح بن زنباع، وكانت امرأة فصيحة أديبة، برزة؛ وكان روح رجلاً غيوراً، فرآها ذات يوم مشرفة على وفد من جذام [٢]. فجعل يضربها، ويقول. أتشرفين وتنظرين إلى الرجال؟ قالت: ويحك، وهل أرى إلا جذامياً، والله ما أحب منهم الحلال فكيف الحرام؟ فقال روح في ذلك:

اثني عليك بأن باعك ضيق وان اصلك في جذام ملتصق

وفيه تقول هند؟

وهل انا إلا مهرة عربية سليلة افراس تحللها بغل
فان نتجت حراً كريماً فبالحرا وان يك اقراف [٣] فما انجب الفحل

فقال لها روح: اللهم إن مت قبلها فابتلها بزوج يلطم وجهها،

---

١) النعمان بن بشير الانصاري وينسب إليه تأسيس مدينة معرة النعمان عندما كان حاكماً للكوفة وحمص. وقف بجانب معاوية في معركة صفين وبجانب الضحاك في وقفة مرج راهط وفيها قتل.
٢) اسم قبيلة والنسبة إليها جُذَمي وجُذام.
٣) الهجين.

ويقيء في حجرها . ومات روح بن زنباع وتزوجها بعده محمد بن الحكم ابن أبي عقيل الثقفي ، وكان شاباً جميلاً ، شراباً للخمر ؛ فأحبته حباً شديداً ، فكان يلطم وجهها ويقيء في حجرها . فقالت : رحم الله ابا زرعة ، فقد استجيبت دعوته . وأنشدت للخذيمي .

ما احسن الغيرة في حينها إلى آخر الابيات المتقدمة .

وقال الشنفري . [1]

اذا ما جئتِ ما انهاكِ عنه ولم أُنكر عليكِ فطلقيني

فأنت البعل يومئذ فقومي بسوطك لا أبا لك فاضربيني

★ نزل عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، خيمته بقُدَيْد [2] . بفناء بيت من بيوت قديد ، وهو يريد مكة معتمراً ، فحط رحله ، وكان رجلاً جسيماً من أعظم الناس بدناً ، وأحسنهم وجهاً . فأرسلت اليه ربة البيت : يا هذا ان لي زوجاً غيوراً يمر الانسان بجانب بيتي فيضربني ، وان رآك في هذا المنزل لقيت منه شراً ، فانشدك الله الا تحولت عني : فأرسل اليها : اني قد نزلت وانا مرتحل عن قليل وليس عليك من زوجك بي بأس ، والتحويل يشق علي . قال فردت اليه الرسول حتى تحول عنها . ومرت به عجوز خارجة من عندها فدعاها وسألها عن المرأة ، فقالت : هي خردية بنت اكثم ، وتزوجها ربيع بن أصرم ، ولها بني صغير سمته

١) ثابت بن أوس الازدي من شعراء الصعاليك في الجاهلية حلف أن يقتل مائة رجل من بني سلامان فقتل ٩٩ واحتالوا عليه فقتلوه . ومر به رجل منهم فركله برجله فدخلت شظية من عظامه برجله فمات فبر الشنفري بوعده . ومن شعره « لامية العجم » .

٢) ماء بالحجاز او موضع بين مكة والمدينة .

باسم ابيها . ثم ذهبت العجوز . وقال عاصم بن عمر أبيات شعر . ثم دخل زوجها واستقر في منزله ، فلما فرغ من شعره سمعه وهو يضربها فصبر حتى علم انه شفي غيظه ثم انه اتاه ، فصاح به ، فخرج ، فقال له : بابي انت ، ما عرضك لي ؟ فاخبره خبره وخبرها ، فقال : بابي انت ، لو كنت معي في منزلي ما كان عليّ منك بأس .

★ قال كان عقيل بن علقمة من الغيرة والانفة على مـــا ليس عليه احد علمناه ، فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنتـه على احد بنيه ، فقال : اما إذا كنت فاعلاً فجنبني هجناك . وخطب عقيل وقال :

رددت صحيفة القرشي لمـا أبت أعراقـه إلا احمرارا

حـكى علي بن سليمان الاخفش قال : قال ابن الـكلبي : كان لقمان [1] بن عاد حكيم العرب غيوراً ، فبنى لامرأته صرحاً وجعلها فيه ، فنظر اليها رجل من الحي فعلقها ، فأتى قومه فأخبرهم وجده بها ، وسألهم الحيلة في أمره . فأمهلوه حتى اراد لقمان الغزو ، فعمدوا الى صاحبهم وشدوه في حزمة سيوف وأتوا إلى لقمان فاستودعوها اياه ، فوضع السلاح في بيته ، فلما مضى تحرك الرجل في السيوف ، فقامت اليه المرأة تنظر فإذا هي برجل ، فشكى اليها حبه اياها ، فامكنته من نفسها ، فلم يزل معها مقيماً حتى قدم لقمان فردته في السيوف كما كان ، وجاء قومه فاحتملوه . وان لقمان نظر يوماً إلى نخامة [2] في السقف فقال : من تنخم هذه ؟ فقالت : انا . قال : فتنخمي . فقصرت فقال : يا ويلتاه والسيوف دهتني . فقتلها ثم

---

١) من الحكماء الذين يتمثل بهم جاءت اخباره في الجاهلية وصدر الاسلام واليه تنسب الحكم والاقوال والامثال ، وربما كانت شخصيته اسطورية .
٢) ما يدفعه الأنسان من صدره أو انفه . (ن . ر)

نزل فلقي ابنته صخر صاعدة فأخذ حجراً فهشم رأسها فماتت ٠ وقال : انت ايضاً امرأة . فضربت العرب بذلك المثل . فكان يقول المظلوم منهم ما أذنبت إلا ذنب صخر .

★ ولى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، النعمان بن نضلة العدوي بميسان [١] ، وأراد رحيل امرأته معه ، فأبت ذلك وكرهته . فلما وصل إلى ميسان أراد أن يغيرها فترحل اليه ، فكتب اليها :

ألا هل أتى الخنساء أن خليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم [٢]
إذا شئت غنتني دهـــاقين قرية ... وصاحبه يجثـــو على خد مبسم.
فإن كنت ندماني فبالاكبر اسقني ... ولا تسقني بالاصغر المتثـــلم
لعـــل امير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنـا في الجوسق [٣] المتهدم

فبلغت الابيات عمر بن الخطاب ، فقال : اي والله ، وأبي وأبيك ، يسوؤني . يا غلام ، اكتب بعزله . فلما قدم على عمر بكته بهذا ، فقال : يا امير المؤمنين ما شربتها قط ، ولا قلت الابيات إلا بسبب كـذا . فقال عمر : أظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً ابدا .

★ ضُرِب البعث على رجل من أهل الكوفة فخرج إلى أذربيجان [٤] فاشترى فرساً وجارية وكان مملكاً بابنة عمه فكتب ليغريها :

---

١) اسم كورة ،
٢) جرار خضر مدهونـة تضرب إلى الحمـرة وهي جرار الخمر ثم عم لكل الخزف .
٣) الحصن أو شبهه ، أو القصر .
٤) أقليم في ايران .

ألا بلغا أم المؤمنين بأننا غنينا وأغنينا الغطارفة[1] الجرد
بعيد مناط المنكبين إذا جرى وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لأيام الغدو وهذه لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد كتابه ، دعت بالدواة وكتبت اليه :

إذا شئت غناني غلام مرجل ونازعته في ماء معتصر الورد
وإن شاء منهم ناشيء مد كفه الى كبد ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم شهودا فتقضوها على النأي والبعد
فعجل علينا بالسراح فانه منانا ولا ندعو لك الله بالرد
ولا قفل الجند الذي أنت فيهم وزادك رب الناس بعداً على بعد

فلما ورد كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية ولحق بها ، فكان أول شيء بدأها به أن قال لها : بالله أكنت فاعلة ما قلت ؟ فقالت : الله في قلبي أعظم وأجل ، وأنت في عيني أحقر وأذل من أن أعصي الله فيك . ثم قالت له : كيف ذقت طعم الغيرة ؟ فوهب لها الجارية ، ورجع إلى مكانه .

قالت هند بنت النعمان بن بشير لزوجها روح بن زنباع ، وكان شديد الغيرة : عجباً منك كيف يسوّدك قومك وفيك ثلاث خصال انت من جذام وأنت جبان ، وأنت غيور ؟ فقال لها : أما جذام فاني في أرومتها ؛

١) جمع غطريف وهو الشاب الظريف أو السخي او السيد .

وأما الجبن نإنما لي نفس واحدة فأنا احفظها ، ولو كانت لي نفس أخرى لجدت بها ؛ وأما الغيرة فحقيق لمن كانت له امرأة حمقاء مثلك أن يغار عليها مخافة أن تجيئه بولد من غيره فتقذف به في حجره .

★ حكى دعبل [١] بن علي قال : عبث عطـار اسمه فيروز بامرأة من الشام تسومه عطراً فعلقت بقلبه ، فقعد لها على طريقها ، فلما اضجرها قالت : والله لو أن عبد الله بن سيرة بقربي ما طمعت في هذا مني . فبلغت عبد الله بن سيرة هذه الكلمة وهو في البعث بأرمينية [٢] ، فترك مركزه واقبل لا يلوي على احـد ، حتى وقف ببابها ليلاً ، وكان يوصف بشدة الغيرة ، فاستأذن عليها ، فأذنت له ، فقال لها : ايتها المرأة من هذا الذي عبث بك حتى تمنيت اني بقربك ؟ قالت : رجل عطار . قال لها : فما ابتنى ؟ قالت : لا . قال لها : فعديه الليلة القابلة واني أسبقه إلى بيتك . فبعثت اليه تقول له : إذ ابيت إلا ما تريد ، فهلم إلى بيتي الليلة عندي . فأقبل اليها وقد سبقه ابن سيرة ، فلما دخل وثب عليه وضربه ضربة رمى برأسه ، ثم قتل خادمها ، وقال لها : إنما قتلته لئلا يطلع على الخبر احد من الناس . ثم ناولها مـائة دينار ، وقال لها : اشتري بها خادماً وانفقي باقيها على نفسك . ثم قال : هلمي فأساً فقلع رأس البالوعة [٣] ثم جرهما فألقاهما فيها ، ثم سوى رأس البالوعة ، وقال للمرأة : اظهري

---

١) شاعر أقام في بلاط الرشيد اخلص في حبه لآل البيت وهجا اسياده العباسيين واشهر قصائد بذلك الرائية التي يقول فيها :

ارى أميـة معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر .

ويعد شعره مـن الوثائق التاريخية . (ن . ر)

٢) بلاد في أسيا الصغرى جنوب القفقاز يجتازها نهر أراس .

٣) مجرى المياه القذرة في الدار .

أن الخادم قد أبق [١]. ثم خرج ، ولم يعلم به احد ، ولم يأت منزله حتى قدم ارمينية وقال في ذلك :

ان المنايا لِغَيْرانٍ لَمُعْرِضةٌ   يغتاله النحرُ أو يغتاله الأسد
او عقرب أو شجى [٢] في الحلق معترض
او حيـة في أعــالي منتهى الزبــد

★ وكانت لابن الدمينة امرأة يقال لها حمـا ، وكان مزاحم بن عمر السلولي يأتيها ويتحدث اليها ، فمنعها ابن الدمينة من ذلك فاشتد ذلك عليه ، فقال مزاحم عند ذلك يذكرها :

يا ابن الدمينة والأخبار تحملها   وخد [٣] النجائب تبديها وتنميها
امارة ، كَيَّة ما بين عانتهــا   وبين سرتها لا شك كاويهــا

فلما بلغ ابن الدمينة ذلك عرف العلامة التي في زوجته وعلم انه لم ير ذلك منها الا وقد افضى اليها . فأتى امرأته فقال : قــد بلغني غشيان مزاحم لك ، وقد قال فيك ما قال . فانكرت ذلك ، وقالت : والله ما رأى ذلك الموضع قط . قال : فما أعلمه بعلامتك التي وصفهــا ؟ قالت : النساء رأين ذلك إذ كنت جارتهن ، فتحدثن بذلك ، فسمعه مزاحم . وتغافل ابن الدمينة عن مزاحم حتى ظن انه قد ذهب من قلبه ، ثم قال لامرأته : لئن لم ترسلي اليه الليلة يأتيك في موضع كذا لأقتلنك . فأرسلت

١) استخفى ثم هرب أو استتر .
٢) ما اعترض في الحلق من عود او عظم وغيرهما .
٣) وخد البعير : اسرع ووسع خطوه .

اليه : انك قد سمّعت بي ولا احب ان تأتيني وانا سآتيك في موضع كذا . فقعد في الموضع ابن الدمينة واصحابه ، وجاء مزاحم وهو يظن انها في الموضع الذي وعدته به ، فخرجوا اليه واوثقوه وصروا صرة من رمل في ثوب وضربوا بها كبده حتى مات ، واحتملوه حتى اتوا بـه ناحية دور قومه فطرحوه بها . وجاء اهله فاخذوه ولم يجدوا بـه اثر سلاح ، فعلموا ان ابن الدمينة قتله . ورجع ابن الدمينة الى امرأته فقتلها وقتل ابنة له منها ، وطلبه السلوليون [١] فلم يجدوه .

★ وحكى الثوري : ان رجلاً من بني عقيل [٢] تعلق جارية وأبى اهلها ان يزوجوه اياها ، وكانت من اجمل النساء ، وكان اسمها ليلى ، فسمع بها رجل موسر من ثقيف يقال له حارثة بن عوف ، فقدم على اهلها فأرغبهم ، فزوجوه وظعن بها . فقال العقيلي الذي كان تعلقها :

ألا إن ليلى العامرية اصبحت ... تقطع إلا من ثقيف وصالها
كأن مع الركب الذين تحملوا ... غمامة صيف زعزعتها شمالها

ثم اشتد شوقه وزاد ولعه ، فخرج في اثرها حتى قدم الطائف ، فانتسب انه اخ لها وصدقت هي فادخله زوجها ، وذبح له ونحر ، وكان صاحب خمر . فجلس هو والثقفي يشربان وهي تسقيهما فلما أخذت الخمر في العقيلي باح بسره ، فلما سمعه الثقفي هم به ثم غلبه السكر فخرج العقيلي تحت الليل وتبعه الثقفي باكلب له عقر [٣] فادركه وقد شارف

---

١) قبيلة هي فخذ من هوازن شمالي الجزيرة العربية . او بطن من خزاعة في جنوبيها .

٢) اصلهم من الجزيرة العربية الوسطى أقاموا بلاد الموصل في خدمة الحمدانيين .

٣) واحدها عقور هو الذي يجرح ويقتل ويفترس .

ببلاد بني كليب ، وقد غلبه العطش فمات . فخلى اكلبه على جيفته فاكلته . فسمعت بذلك الكلابيون فرحلوا في اثر الثقفي فادركوه فقتلوه وخلوا عليه اكلبه فاكلته . وسمع العقيليون بخبر الرجلين فركبوا إلى المرأة فطرقوها في منزله فقتلوها ، ورحلوا . فوثبت عليها اكلب زوجها فاكلتها . فقال جار الثقفي :

لعمري لقد ساق العقيلي حتفه   وما خُبْر ليلى كان عنها بأبعد
وخبر الفتى القيسي قد سيق نحوه   وأمسى مقيماً بين اضلاع أزبد
أقاموا جميعاً رهن اجواف أكلب   كذلك أمر الله في اليوم والغد

★ ويروى عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال : الغيرة من الايمان ، وايما رجل احس بشيء من الفجور في اهله فلم يغيره ، إلا بعث الله اليه ملكا يقول له غِرْ اربعين يوما ، فان لم يفعل مسح بجانحه على عينيه ، فان رأى حسنا لم يدره ، وان رأى قبيحاً لم ينكره .

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال : كتب الجهاد على رجال أمتي ، والغيرة على نسائها ، فمن صبرت منهن واحتسبت اعطاها الله اجر الشهيد .

وعن علي عليه السلام انه قال : من اطاع امرأته في اربع اكبه الله في النار على وجهه . ان يعطيها في ان تذهب إلى العرسات والى المعلمات والى الحمامات والى الجنائز وقال الاحوص [1] يتشبب بام جعفر الحطمية :

---

١) شاعر حجازي ولد في المدينة وتوفي في دمشق كان يتشبب في النساء الشريفات فنفي وسجن . وكان لاذع الهجاء .

أدور ، فلولا أن أرى ام جعفر بأبياتكم ، ما درت حيث أدور
وما كنت دواراً ولكن ذا الهوى ، إذا لم يزر لا بـــد أنـ سيزور
لقـد منعت معروفهـا ام جعفر ، وإني الى معروفهـــا لفقـير

فاستعدى ايمن ، اخوهـــا ، عليه عامل المدينة وكان ايمن جسيماً ضخماً وكان الاحوص نحيفاً ، فدفع إلى كل واحد منهن سوطا وقـــال الخالد : اضرب الاحوص . فقال بعض الشعراء :

لقد منع المعروف من ام جعفر أخو ثقة عند الحفـــاظ صبور
علاك بمتن السوط حتى لقيتـــه بأصغر من ماء الصفـــاق يفور

قال الاحوص بعد ذلك :

إذا أنا لم أغفر لأيمـــن ذنبـه فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعدي
يسيء فأعفو ذنبـــه ، فتردني أياد يدانيهـا مباركـة عندي

★ تزوج عبد الله بن يزيد الحنفي امرأة حسناء ، وكان رجلاً ثقيلاً جسيماً ظريفاً ، فاحبها حباً شديدا ، وكان من اشد الناس غيرة . فدعاه حبه لها ، وشدة غيرته عليها ، ان خرج بها إلى بعض البوادي فابتنى لها قصراً وسكن به واقام معها مدة .

★ وخرج عمر بن سعيد العبدي يريد سفراً له ، فأخذته السماء في

بعض الطريق فنظر ، فإذا هو بقصر عظيم ، فعدل اليه ، وقرع بابه ، فخرج اليه عبد الله بن يزيد فعرفه ، فسلم عليه وانزله ، وهيأ له طعاماً ثم دعا بشراب من خمر عتيق . فبينما هما يشربان إذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاماً شاباً ، وسكر زوجها سكراً شديداً فخرجت المرأة إلى عمرو بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته إلى نفسها فأبى ، وقال : ما كنت بالذي افعل برجل اتاني منزله . ولم يزل يدافعها حتى أفـــاق عبد الله بن يزيد من سكره ، فأنشأ عمر يقول :

رب بيضاء خصرهـــا يتثنى　　　قد دعتني لوصلهـــا فأبيت
لم يكن شأني العفـاف ولكن　　　كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعلم عبد الله بن يزيد ما اراد ، فلما انصرف عمرو بن سعيد عمـد عبد الله إلى المرأه فجعل في عنقها حبلاً وعلقها به إلى السقف ، فاضطربت حتى ماتت . وعلم ان النساء لا حفظ لهن ، وآلى على نفسه انه لا يتزوج امرأة ابدا . وترك قصره وعاد إلى منزله .

★ وقال الفضيل بن الهاشمي : كنت مع ابنة عمي نائمـاً على سرير إذ ظهرت الي بعض جواري ، فنزلت ، فقضيت حاجتي ، ثم انصرفت . فبينما انا راجع ، اذ لدغتني عقرب فصبرت حتى عدت الى موضعي من السرير ، فغلبني الوجع ، فصحت ، فقالت لي ابنة عمي : ما لك ؟ قلت لهـا : لدغتني عقرب . قالت : وعلى السرير عقرب ؟ قلت : نزلت لابول فأصابتني ، ففطنت ، فلما اصبحت جمعت خدمها واستحلفتهن أن لا يقتلن عقربا في دارها الى سنة . ثم قالت :

إذا عُصي الله في دارنا　　　فان عقاربنا تغضب

ودار إذا نام حراسها أقام الحدود بها العقرب

★ قالوا وبينا ابن ابي ربيعة في الطواف ، اذ رأى جارية من اهل البصرة [1] ، فأعجبته ، فدنا منها ، فكلمها ، فلم تلتفت اليه . فلما كان في الليلة الثانية عاودها ، فقالت له : اليك عني ايها الرجل فانك في موضع عظيم الحرمة ! والح عليها وشغلها عن الطواف ، فأتت زوجها ، فقالت له : تعال معي فارني المناسك . فاقبلت وهو معها وعمر جالس على طريقها فلما رأى الرجل معها عدل عنها فقالت :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مربض المستأسد الحامي

فحدث المنصور هذا الحديث ، فقال : وددت انه لم تبق فتاة من قريش في خدرها إلا سمعت الحديث .

وكان عمارة بن الوليد اخو خالد بن الوليد سيف الله من فتيان قريش [2] جمالاً وشعراً ، وهو الذي جاءت به قريش إلى ابي طالب [3] قالوا : هذا عمارة ، قد عرفت حاله ، فخذه بدل ابن اخيك محمدا ، واعطنا محمداً نقتله . فقال لهم ابو طالب : ما انصفتموني تعطوني ابن اخيكم احفظه واعطيكم ابن اخي تقتلوه ؟ وبعثت قريش عمارة بن

١) مرفأ العراق على شط العرب وكانت قديماً مع الكوفة مهد الدروس اللغوية . وهي مسقط رأس الحسن البصري ، والاشعري ، والحريري .

٢) قبيلة عربية قبضت على زمام امر العرب وكانت تقوم بالتجارة رابطة بين افريقيا والهند وآسيا الصغرى . واشهر الفروع المنتسبة اليها : هاشم ونوفل وأمية وزهرة ومخزوم وأسد وتيم وعدي وسهم وجمح .

٣) هو عبد مناف بن عبد المطلب ، عم النبي ووالد علي . كفل النبي بعد موت أمه وجده عبد المطلب . وكان من حكام قريش وساداتها . توفي وهو مسلم .

الوليد ، وعمرو بن[1] العاص الى النجاشي[2] في امر من قدم اليه من المهاجرين ، فلما كانوا في السفينة ومع عمرو امرأته ام عبد الله فقال لها عمارة : قبليني . فقال لها عمرو : قبلي ابن عمك . وقال عمرو في ذلك :

ليعلم عمــــار ان من شرِّ شيمةٍ   لمثلك ان يدعى ابن عم له ابن ما
أإن كنت ذا بردين أحوى[3] مرجلاً
ولست تراعي لابن عمك محرمــــا
إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه   ولم ينه قلباً عارياً حيث يممــا
قضى وطراً منه وغادر سبــة   إذا ذكرت امثالهـــا تملأ الفما

وقعد عمرو على منجاف[4] السفينة لقضاء الحاجة ، فدفعه عمــارة ، فالقاه في البحر ، فما تخلص حتى كاد يموت . فــلما صار الى النجاشي أظهر له عمرو انه لم يحفل بما أصابه منه ، فجاءه عمارة يوماً فحدثـه ان زوجة الملك النجاشي علقته وأدخلته إلى نفسها ، فلمــا تبين لعمرو حال عمارة وشى به عند الملك وأخبره خبره ، فقال له النجاشي : ائتني بعلامة استدل بها على ما قلت ؟ فعاد عمارة ، فاخبره عمرو بامره وامر زوجة النجاشي فقال له عمرو : لا أقبل هذا منك إلا أن تعطيك من دُهن[5] الملك الذي لا يدَّهِن به غيره . فكلمها عمارة في الدهن ، فقالت

---

١) قرشي ناصر معاوية على علي وارتأى التحكيم ولاه معاوية ولاية مصر مكافأة له .
٢) لقب ملوك الحبشة .
٣) من به حُوَّة وهي سواد الى الخضرة أو حمرة الى السواد . أو هي السمرة في الشفاه .
٤) سُكّانها الذي يعدل به سيرها أي ذنبها .
٥) ما يدهن به من زيت وغيره .

له : أخاف من الملك . فابى أن يرضى منها إلا أن تعطيه من ذلك الدهن ، فاعطته منه ، فاعطاه إلى عمرو ، فجاء به إلى الملك ، فامر السواحر [1] فنفخن في احليله ، فذهب مع الوحش ، فلم يزل متوحشاً حتى خرج اليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من اصحابه ، فجعل له على الماء شركا ، فأخذه ، فجعل يصيح به : أرسلني فإني اموت أن امسكتني . فامسكه ، فمات في يده .

حكى عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ما غرت على امرأة لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما غرت على خديجة [2] . ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين ، لما اسمع من كثرة ذكره اياها . وكان يذبح الشاة فيفرقها على صدائق خديجة . قال ودخل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها : بالكره مني يا خديجة ما ارى منك ، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً . اما علمت ان الله زوجني معك في الجنة مريم [3] ابنة عمران ، وكلثم اخت موسى ، وآسية امرأة فرعون ؟ قالت : وقد فعل الله ذلك برسوله ؟ قال : نعم . قالت : فبالرفاء والبنين .

---

١) واحدها ساحرة وهن الذين يعملن بالسحر .

٢) بنت خويلد بن عبد العزى القرشي . اولى زوجات النبي وأحبهن إليه وأعظمهن عنده ، ام فاطمة الزهراء لقبت بأم المؤمنين .

٣) من آل داود عاشت في الناصرة حيث ظهر لها الملاك جبرائيل وبشرها بولادة ابنها السيد المسيح . وتدعى مريم العذراء .

(باب ما ذكر من وفاء النساء)

★ حكى الاصمعي ، عن رجل من بني ضبة [1] قال : ضلّت لي إبل فخرجت في طلبها حتى اتيت بـــلاد بني سليم ، فلما كنت في بعض احومها ، إذا جارية غشى بصري اشراق وجهها ، فقالت : مـــا بغيتك فإني أراك مولها ؟ قلت : إبل ضلت لي ، فانا في طلبها . قالت : فتحب ان أرشدك إلى من هي عنده ؟ قلت : نعم . قالت : الذي اعطاكهن هو الذي اخذهن فـإن شاء ردهن ، فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختيار . فاعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها ، فقلت لهـا : هل لك من بعل ؟ قالت : كان والله فدعي فاجاب إلى ما منه خلق ، ونعم البعل كان . قلت لهـــا : فهل لك في بعل لا تذم خلائقه ، ولا تخشى بوائقه [2] ؟ فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً فانشأت تقول :

كنا كغُصنين من بَانٍ [3] غذاؤُهما ماءُ الجداولِ في رَوْضاتِ جَنَّاتِ

---

١) قبيلة فرع من بني معـد جدها معـــاوية بن كلاب وسمي ضباب لان اولاده كانت اسماؤهم : ضباب وضب ومضب . وكان مسكنهم حمى ضارية في نجد . (ن . ر)

٢) جمع بائقة وهي الشر أو الداهية .

٣) شجر معتدل القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف يؤخذ من حبه دُهن طيب .

فاجتث[1] صاحبها من جنب صاحبه دهرٌ يكرُّ بفرحاتٍ وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمنٌ أن لا يضاجع أنثى بعد موتات
وكنتُ عاهدته ايضاً ، فعاجله ريبُ المنونِ قريباً مذْ سنيّنات
فاصرِف عتابك عمّن ليس يصرفه عن الوفاءِ له خلب[2] التحيات

قال : فانصرفت وتركتها .

★ قال الاصمعي : قال لي الرشيد : امض إلى بادية البصرة فخذ من تحف كلامهم وطرف حديثهم . فانحدرت ، فنزلت على صديق لي بالبصرة ، ثم بكرت انا وهو إلى المقابر ، فلما صرت اليها إذا بجارية تادى الينا ريح عطرها قبل الدنو منها ، عليها ثياب مصبغات وحلى ، وهي تبكي أحر بكاء . فقلت : يا جارية ما شأنك ؟ فانشأت تقول :

فإن تسألاني فِيمَ حُزْني ؟ فإنني رهينةُ هذا القبرِ يا فتيان .
اهابُك إجلالا ، وإن كنتَ في الثرى ،
مخافة يوم ان يسووكَ مكاني
واني لأستحيِيكَ ، والتربُ بيننا ، كما كنتُ استحييك حين تراني .

فقلنا لها : ما رأينا اكثر من التفاوت بين زيك وحزنك فاخبري بشأنك ؟ فأنشأت تقول :

---

١) قلعه من أصله .
٢) الكاذبة والخادعة بلطفها . (ن . ر)

يا صاحبَ القبرِ، يامَنْ كانَ يُؤْنِسُني حيّاً ، ويُكثرُ في الدنيا مُواساتي،
ازورُ قبرَكَ في حِلْيٍ وفي حِلَلٍ ، كأنني لستُ من أهلِ المُصيبات ؛
فمَن رآني، رأى عَبْرىً مفجعةً مشهورَةَ الزّيِ تَبْكي بين امواتي .

فقلنا لها : وما الرجل منك : قالت : بعلي ، وكان يحب أن يراني في مثل هذا الزي ، فآليت على نفسي أن لا أغشى قبره إلا في مثل هذا الزي لانه كان يحبه ايام حياته ، وانكرتماه انتما علي .

قال الاصمعي : فسالتها عن خبرها ومنزلها . وأتيت الرشيد فحدثته بما سمعت ورأيت ، حتى حدثته حديث الجارية . فقال : لا بد أن ترجع حتى تخطبها الي من وليها ، وتحملها الي ، ولا يكون من ذلك بـــد . ووجه معي خادماً ومالا كثيراً . فرجعت الى قومها فاخبرتهم الخبر ، فاجابوا وزوجوها من امير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم . فلمــا صرنا إلى المدائن [1] نما اليها الخبر ، فشهقت شهقة فماتت ، فدفناها هنالك . وسرت إلى الرشيد فاخبرته الخبر ، فما ذكرها وقتاً من الاوقات إلا بكى اسفاً عليها .

★ توفي رجل وبقيت امرأته شابة جميلة ، فما زال بها النساء حتى تزوجت . فلمّا كانت ليلة زفافها رأت في المنام زوجها الاول آخـــذا بعارضتي الباب وقد فتح يديه وهو يقول :

حيَّيتُ ساكن هذا البيت كلَّهم إلَّا الرباب فإني لا أُحييهـــا

١) اسم أطلق على مدينة أو مجموعة مدن في العراق على بعـد ٣٠ كيلو جنوبي بغداد على شط دجلة فتحها سعد بن ابي وقاص سنة ٦٤٧ . (ن . ر)

أمست عروساً وأمسى مسكني جدثٌ

بـــين القبورِ وإني لا أُلاقيهـــا

واستبدلت بَدَلا غيري ، فقـد علمت

أنــ القبورَ تُواري مَنْ ثَوَى فيهـــا

قد كنتُ أحسَبُها للعهدِ راغبةً حتى تموتَ وما جفت مآقيهـا .

ففزعت من نومها فزعـــاً شديداً ، واصبحت فاركا – اي مبغضة للازواج – وآلت أن لا يصل اليها رجل بعده ابدا .

★ ولما قتل عثمان ، رضي الله عنه ، وقفت يومـــاً على قبره نائلة بنت [1] الفراصة الكلبي ، فترحمت عليه ثم انصرفت إلى منزلها ، ثم قالت : اني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي . فدعت بفِهر [2] فهتفت [3] فاها ، وقالت : والله لا يقعد رجل مني مقعد عثمان ابدا . وخطبها معاوية فبعثت اليه اسنانها ، وقالت : اذات عروس ترى ؟ وقالوا : لم يكن في النساء احسن منها مضحكا .

★ كان هدبة بن خشرم العذري قتل ابن عمه يقال له زياد بن زيدة فطلبه سعيد بن [4] العاص ، وهو يلي المدينة لمعاوية ، فحبسه ، فقال في السجن قصيدته التي يقول فيها :

---

١) زوجة عثمان التي قطعت اصابع يدها وهي تتلقى عنه ضربة السيف .

٢) الحجر او قدر ما يدق به الجوز أو نحوه .

٣) ألقت مقدم أسنانها أي كسرتها .

٤) حاكم الكوفة والمدينة من أيام معاوية . قاد الجيوش في طبرستان وجرجـاف وتوفي في العقيق ٦٨٨ .

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وفي سجنه يقول ايضاً :

ولما دخلت السجن يا ام مالك ذكرتك والأطراف في حلق سمر
وعند سعيد غير أني لم أبح بذكرك الا من يذكر بالأمر

وسئل عن هذا ، فقال : لما رأيت ثغر سعيد شبهت به ثغرها ، وكان سعيد حسن الثغر . فحبس هدبة سبع سنين ينتظر به احتلام المستورد ابن زيادة ، فلما احتلم ، أخرج صبح تلك الليلة إلى عامل المدينة فرغبه في العفو ، وعرض عليه عشر ديات ، فابى إلا القود . وكان ممن عرض الديات عليه الحسن [١] بن علي ، عليهما السلام ، وعبدالله بن جعفر وسعيد ابن العاص ومروان بن الحكم . فلما ابى ، بعث هؤلاء وغيرهم من اخوانه بالحنوط [٢] والاكفان فدخل عليه رسولهم السجن فوجدوه يلعب بالنرد[٣] . فجلسوا ولم يقولوا له شيئاً ، فلما لحظهم إذا بطرف برد خرج من بعض الاكفان فامسك ، ثم قال : كانه قد فرغ من امرنا ؟ فقالوا : أجل . فقام فاغتسل ثم رجع اليهم فاخذ من كل واحد ثوباً ورد ما بقي . واخرج ليُقاد منه ، فجعل ينشد الاشعار . فقالت له حيا المدينة : ما رأيت اقسى قلباً منك ، تنشد الاشعار ، وقد دعي بك لتقتل ، وهذه

---

١) بكر ابناء علي والامام الثاني عند الشيعة . بويع له بالخلافة بعد مقتل ابيه ولكنه صالح معاوية وتنازل حقناً للدماء وحباً في السلام .

٢) طيب يدهن به الميت خاصة . وعم حتى اصبح كل طيب تحشى بـه جثة الميت بعد تجويفه فيمتنع فسادها ويحفظها من البلى .

٣) حجارة صغار يلعب بها « معرب عن الفارسية نرد شير » واطلق على ما يعرفه اليوم بطاولة اللعب (ن . ر)

خلفك كانها غزال عطشان تولول ؟ يعني امرأته . فوقف ، ووقف الناس معه ، فاقبل على حيا فقال :

وجدت بها ما لم تجد أُم واجد ولا وَجْـد حي بابن ام كلاب
وإني طويل الساعدين سمردل[1] على ما اشتهيت من قوة وشباب.

فاغلقت الباب في وجهه . وعرض له عبد الرحمن[2] بن حسان فقال : انشدني ! فقال له : على هذه الحال ؟ قال : نعم . فابتدا ينشده :

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر ، والشر تاركي ، ولكن متى أحمل الشر اركب

قال : ونظر رجل إلى امرأته فدخلته غيرة ، فقال ، وقد كان زيادة جدع انفه بسيفه :

فان يك أنفي بان عني جماله فما حسبي في الصالحين باجدعا
فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا اغم القفا والوجه ليس بانزعا

★ وعن ابي حمزة الكناني قال : كنت في حرس خالد[3] بن عبد الله

---

١) وردت هنا سمردل وهي غير موجودة في كتب اللغة بل يوجد سمرطل وسمرطول وهو الطويل المضطرب وذلك يناسب المعنى .
٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري .
٣) حاكم العراق . جمع ثروة عظيمة وسعى لحفظ السلام وتشجيع الاعمال الزراعية . ولكن القيسيين كرهوه واتهموه بالفتور في الدين لتساهله مع سائر الاديان واختلاساته لمال الخزينة فعزل وسجن وقتل بعد تعذيبه بالكوفة .

القسري ، فقال خالد : من يحدثني بحديث عسى يستريح اليه قلبي ؟ فقلت : انا . فقال : هـات . فقلت : انه بلغني انه كان فتى من بني عذرة ، وكانت له امرأة منهم ، وكان شديد الحب لها ، وكانت له مثل ذلك ، فبينا هو ذات يوم ينظر وجهها اذ بكى ، فنظرت إلى وجهه وبكت ، فقالت له : ما الذي ابكاك ؟ قـال : والله ، اتصدقيني ان صدقتك ، قالت : نعم . قال لها : ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي ، فقلت اموت فتتزوج زوجاً غيري . فقالت : والله والله ، أن ذاك الذي ابكاك ؟ قال : نعم . قالت : وانا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي لك فقلت اموت فيتزوج امرأة غيري . قال الرجل : فان النساء حرام علي بعدك . فلبثا ما شاء الله . ثم إن الرجل توفي فجزعت عليه جزعاً شديداً فخـاف اهلها على عقلها أن يذهل ، فاجمع رايهم على أن يزوجوها ، وهي كارهة ، لعلها تتسلى عنه . فلما كان في الليلة التي تهدى فيها إلى بيت زوجها ، وقد نام اهل البيت ، والماشطه [1] تهيء من شعرها ، إذ نامت نومة يسيرة فرأت زوجها الاول داخلاً عليها من الباب وهو يقول : خنت يا فلانة عهدي ، والله لا هنيت العيش بعدي فانتبهت مرعوبة ، وخرجت هاربة على وجهها ، وطلبها اهلها فلم يقعوا لها على خبر .

★ قال اسحق خرجت امرأة من قريش من بني زهرة [2] إلى المدينة [3]

---

١) التي تحسن المَشْط ، وهي التي تتولى تجهيز العروس ليلة اهدائها إلى بيت زوجها .
٢) هي من قريش ، شيعة من اشراف حلب .
٣) اعظم الاماكن المقدسة الاسلامية وكانت تدعى يثرب . لجـأ النبي اليها في هجرته سنة ٦٢٢ وفيها قبره المقدس لذلك لقبت بالمنورة على ساكنها افضل الصـلاة والسلام .

تقضي حقاً لبعض القرشيين . وكانت ظريفة جميلة ، فرآها من بني امية[1] رجل فاعجبته ، وتاملها فاخذت بقلبه ، وسأل عنها فقيل له : هــــذه حميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة . ووصفت له بما زاد فيها كلفه ، فخطبها إلى اهلها فزوجوه اياها على كره منها ، واهديت اليه فرأت من كرمه وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به ، فلم تقم عنده إلا قليلاً حتى اخرج اهل المدينة بني أمية إلى الشام ، فنزل بها امر ما ابتليت بمثله ، فاشتد بكاؤها على زوجها وبكاؤه عليها ، وخيرت بين أن تجمع معــــه مفارقة الاهل والولد والاقارب والوطن او تتخلف عنه مع ما تجد به ، فلم تجد شيئاً اخف عندها من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها . فلما صارت بالشام صارت تبكي ليلها ونهارها ولا تتهنأ[2] طعامــاً ولا شراباً شوقا إلى اهلها ووطنها ، فخرجت يوماً بدمشق مع نسوة تقضي حقاً لبعض القرشيين فمرت بفتى جالس على باب منزله ، وهو يتمثل بهذه الابيات :

ألا ليت شعري ، هل تغير بعدنا صحون المصلى[3] ، أم كعهدي القرائن ؟

وهل أدوُر[4] حول البلاط[5] عوامر

من الحي ، أم هل بالمدينة ساكن ؟

---

١) أحفاد عبد شمس ، بطن من قريش خرج منهم سلالة الخلفاء الذين تولوا الحكم الاسلامي وكانت عاصمتهم دمشق . واستحلوا كل شيء في سبيل تأييد ملكهم فثار عليهم بنو عمهم العباسيون وقضوا عليهم . وعلى ايامهم ازدهرت المدنية الاسلامية علميّاً وفنياً . (ن . ر)

٢) تستسيغ وتستمرىء .

٣) اسم موضع بالمدينة .

٤) جمع دار وهو المحل والمسكن .

٥) اسم موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مبلط .

إذا لمعت نحو الحجاز سحابة ، دعا الشوق مني برقها المتيامن[1]
وما اشخصتنا رغبة عن بلادنا ، ولكنه ما قدر الله كائن .

فلما سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع ، تنفست نفساً صدع فؤادها فوقعت ميتة . فحملت إلى اهلها وجاء زوجها ، وقد عرف الخبر ، فانكب عليها فوقع عنها ميتاً . فغسلا جميعاً وكفنا ودفنا في قبر واحد .

★ وكانت خولة بنت منظور بن زياد الفزاري عند الحسن بن علي ابن ابي طالب ، رضي الله عنهم ، وكانت اختها عند عبد الله بن الزبير ، وهي احسن الناس ثغراً ، واتمهم جمالاً . فلما رأى ذلك عبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير زوجها ، ثم خطبها ، فكرهت ان تتزوجه وهو قاتل زوجها ، فاخذت فهراً وكسرت به اسنانها . وجاءها رسول عبد الملك فخطبها ، فاذنت له ليراها ، فادى اليها رسالته ورأى ما بها ، فقالت : مالي عن امير المؤمنين رغبة ، ولكني كما ترى ، فإن احبني فانا بين يديه . فاتاه الرسول فاعلمه بذلك ، فقال : انا ، والله ، إنما اردتها على حسن ثغرها الذي بلغني ، واما الآن فلا حاجة لي فيها .

★ وممن يضرب به المثل في الوفاء جماعة بنت عوف بن محلم الشيباني وذلك أن عمرو بن عبد الملك طلب مروان القرط وهو مروان ابن زنباع العبسي فخرج هارباً حتى هجم على ابيات بني شيبان[2] ، فنظر إلى اعظمها بيتاً ببصره فإذا هو بيت جماعة بنت عوف فألقى نفسه بين يديها فاستجارها ، فأجارته . ولحقته خيل عمرو فبعثت إلى ابيها

---

١) الذاهب ذات اليمين او ما فيه اليمن والبركة .
٢) سلالة من الامراء المتحدرين من شيبان وكانوا ١٢ رزقوا بنين .

فعرفته انها اجارته فمنعهم عوف عنه وانصرف اصحاب عمرو . فأرسل عمرو إلى عوف قد آليت ألا أقطع طلبي إلا أن يضع يده في يدي . فقال عوف : والله ما يكون ذلك ابدا لكن يدي بين يديك ويده . قال ، فرضي عمرو بذلك . فوضع مروان يده في يد عوف ووضع عوف يده في يد عمرو . فقال عمرو : لا حُرَّ بوادي عوف . فذهبت مثلاً .

★ وحكى عصام المري ، عن ابيه ، قال : بعثنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في سرية قبل نجد ، وقال : إن سمعتم مؤذنا ، او رأيتم مسجداً فــلا تقتلن احداً . فبينا نحن نسير إذ لحقنا رجل معه ظعائن يسوقها امامه ، فأخذناه ، فقلنا له : اسلم . قال : وما الاسلام ؟ فعزمنا عليه ، قال : ارأيتم ان لم اسلم ما انتم صانعون بي ؟ قلنــا : نقتلك . قال : فهل انتم تاركي حتى أوصي من في هذا الهودج بكلمات . قلنـا : نعم . فدنا من الهودج وفيه ظعينة [1] فقال : اسلمي جبيش قبل انقطاع العيش . فقالت : اسلم عشراً او تسعا وترا ، او ثمانياً تترا . قال ، ثم جاء فمد عنقه . قال : شأنكم اصنعوا ما انتم صانعون . فضربنا عنقه ولقد رأيت تلك الظعينة نزلت من هودجها والقت نفسها عليه فما زالت تقبله وتبكي حتى هدأت فحركناها فإذا هي ميتة .

حكى العتبي قال : كان خالد بن عبد الله القسري ذات ليلة مع فقهـاء من اهل الكوفة [2] فقال بعضهم : حدثونا حديثـاً لبعض العشاق . قال احدهم : أصلح الله الأمير ، ذكر هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة

---

١) المرأة ما دامت في الهودج .

٢) مدينة في العراق على ساعد للفرات اتخذها بنو العباس اولا مركز ملكهم . اشتهرت هي والبصرة بكونها مركز الثقافة اللغوية وانجبت كبار العلماء والمحدثين واللغويين .

رجوعهن . فقال له بعض جلسائه : انا أحدثك ، يا أمير المؤمنين : بلغني عن امرأة من يشكر [1] يقال لها ام عقبة بنت عمرو بن الأعران ، وإنها كانت عند ابن عم لها يقال له غسان ، وكان شديد المحبة لها ، والوجد بها ، وكانت له كذلك . فأقام بها على هذا الحال ما شاء الله ، لا يزيد كل واحد منهما بصاحبه إلا اعتباطاً . فلما حضرت غسان الوفـاة قال لها : يا أم عقبة اسمعي ما أقول ، وأجيبي عن نفسك بحق . فقالت له : والله لا أجبتك بكذب ، ولا أجعله آخر حظـك معي . فقال : إني رجوت أن تحفظي العهد ، وأن تكوني لي إن مت عند الرجـاء . انا والله واثق بـك ، غير اني بسوء الظن أخاف غدر النساء . ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات . فلم تمكث معه إلا قليلاً حتى خطبت من كل مكان ، ورغب فيها الازواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب . فقالت مجيبة له :

سأحفظ غُسَاناً ، على بعـد داره ، وأرعاهُ حتى نلتقي يومَ نُحْشَرُ .
وإني لفي شُغْلٍ عن الناس كلهِّم ، فكفُّوا ، فما مثلي من الناس يَغْدُرُ .
سأبكي عليه ، ما حَيِيْتُ ، بدمعةٍ تحولُ على الخـدين مني فَتَكْثُرُ

فيئس الناس منها حينا . فلما طالت بها الايام نسيت عهده ، وقالت : من قد مات فقد فات . وأجابت بعض خطابها فتزوجها المقدام بن حابس ، وقد كان بها معجباً . فلما كانت الليلة التي أراد بها الدخول ، اتاها في منامها زوجها الأول فقال لها :

غدرتِ ، ولم تَرْعَيْ لبعلِك حرمةً ، ولم تعرفي حَقاً ، ولم ترعي لي عِهدا

---

[1]) حي بالسراة .

غدرتِ به لما ثوى في ضَريحه ، كذلك يُنسَى كل من سَكَن اللحدا

فانتبهت مرتاعة مستحيية منه كانه يراهـــا او تراه كانه في جانب البيت . فانكر حالها من حضرها ، وقلن لها : مالك ؟ ومـــا بالك ؟ قالت : ما ترك لي غسان في الحياة إربا ، أتاني الساعة فانشدني هذه الأبيـات . ثم انشدتها بدمع غزير ، وانتحاب شديد من قلب جريح موجع . فلما سمعن ذلك منها اخذن بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه ، فتغفلتهن ثم قامت كانها تقضي حاجـة فأبطأت عليهن ، فقمن في طلبها ، فوجدنها قـد جعلت السوط في حلقها وربطته إلى عمود البيت وجبذت [١] نفسها حتى ماتت . فلمـــا بلغ ذلك زوجها المقدام ، حسن عزاؤه عنها ، وقال : هكذا فليكن النساء في الوفاء ، قلّ من يحفظ ميتاً ، إنما هي ايام قلائل حتى يُنسى وعنه يُتسلى .

★ استعدى آل بثينة مروان بن الحكم على جميل بن معمر ، فهرب حتى أتى رجلاً شريفاً من بني عذرة في اقصى بلادهم وله بنـات سبع كانهن البدور جمالاً . فقال الشيـخ لبناته : تحلين بأجود حليكن ، والبسن فاخر ثيابكن ، ثم تعرضن لجميل . فمن اختار منكن زوجته إياهـا . ففعلن ذلك مراراً وجعلن يعارضنه : فـلم يلتفت اليهن . وانشأ يقول :

حلفت لكي تعلمن أني صادق ، وللصدق خير في الأمور وأنجح
لَتكليم يوم من بثينة واحـــد ورؤيتها عنـدي ، ألذ وأملح ،
من الدهر أن اخلو بكن فإنما ، أعالج قلباً طامحـــاً حيث يطمح

---

١) لغة في جذب .

قال ابوهن : دعن هذا ، فوالله لا افلح ابداً .

✶ كانت أم هاني[١] بنت ابي طالب تحت زوجها هبيرة بن ابي ليث المخزومي ، فهرب يوم فتح مكة إلى اليمن فمات كافراً . فخطب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أم هاني فقالت : والله لقد كنت احبك في الجاهلية فكيف في الإسلام ؟ ولكنني امرأة مصيبة ، واكره أن يؤذوك . فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : نساء قريش خير نساء ركبن المطايا ، احناهن على ولد صغير ، وأرغاهن[٢] ، على زوج ذي يـد .

حكى ابو بكر الانباري[٣] ، عن ابي اليسر قال : دخلت منزل نخاس لشراء جارية ، فسمعت في بيت بازاء البيت جارية تقول :

وكنا كزوج من قطا في مفـازة ... لدى خفض عيش معجب مونق رغد
اصابهما ريب الزمان فأفردا ... ولم أر شيئاً قط أوحش من فرد

فقلت للنخاس : أعرض عليّ هذه المنشدة . فقال : انهـا حزينة . قلت : ولم ذلك ؟ قال : اشتريتها من ميراث ، فهي باكيـة على مولاها . ثم لم البث أن انشدت :

وكنا كغصني بانة وسط دوحـة ... نشم جنـا الجنات في عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع ... فيـا فردة باتت تحن الى فرد

١) هي هند ابنة أبي طالب .
٢) رغى رُغاء : صوت وضج .
٣) ابو بكر محمد بن القاسم الانباري لغوي اشتهر بقوة حافظته .

قال ابو السمراء : فكتبت إلى عبد الله بن طاهر [1] بخبرها . فكتب الي : أن الق عليها هذا البيت ، فإن اجازته فاشتراها ولو كانت بخراج خراسان . والبيت :

قريب صد ، بعيد وصل ، جعلت منـــه لي مـلاذا

(فقالت سرعة).

فعـــاتبوه ، فزاد شوقاً ، فمات عشقاً ، فكان ماذا

قال ابو السمراء : فاشتريتها بالف دينـــار وحملتها اليه . فماتت في الطريق ، فكانت إحدى الحسرات .

★ قال الاصمعي : خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب ابن ابي صفرة من دمشق متنزهين ، فمرا بالجبانة ، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي ، فهبت الريح ، فرفعت البرقع عن وجهها ، فكانها غمـــامة جَلَـت شمساً ، فوقفنا متعجبين ننظر اليهـا ، فقال لها ابن المهلب : يا أَمَــةَ الله ، هل لك في امير المؤمنين بعلا ؟ فنظرت اليهما ، ثم نظرت إلى القبر ، وقالت :

فإن تسألاني عن هوايَ ، فانه بملحود هذا القبر ، يافتيـــان
وإني لأستحييه والترب بيننا، كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبون .

---

١) قائد وسياسي وشاعر حكم البلاد ما بين مصر والرقة ثم استقل بحكم خراسان .

★ قال الاصمعي : رأيت بالبادية اعرابية لا تتكلم ، فقلت : أخرساء هي ؟ فقيل لي : لا ، ولكنها كان زوجها معجباً بنغمتها فتوفي ، فآلت أن لا تتكلم بعده ابدا .

★ قال الفرزدق [١] أبقَ لرجل من بني نهشل ، يقال له حصن ، غلام . فخرجت في طلبه أريد اليمامة [٢] . فلما صرت في ماء لبني حنيفة [٣] ارتفعت لي سحابة ، فرعدت وبرقت وارخت عزاليها [٤] ، فعَدَلْتُ إلى بعض ديارهم وسألت القرا . فأجابوا ، ودخلت الدار ، وانخت ناقتي ، وجلست . فإذا جارية كانها طلعة قمر ، فقالت : ممن الرجل ؟ قلت من بني حنظلة [٥] . قالت : من اي حنظلة ؟ قلت : من بني نهشل [٦]. قالت : فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا   بيتاً دعائمه أعز واطول
بيتا زرارة[٧] محتبٍ[٨] بفِنائِه   ومجاشعٌ وابو الفوارسُ نَهْشَلُ

فقلت : نعم . فتبسمت ، ثم قالت : فإن جريراً هدم قوله ، حيث يقول :

---

١) همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي . ولد بالبصرة . قضى حياته يهجو الناس ويمدحهم . وكان قوي اللغة .

٢) بلاد في اواسط الجزيرة العربية سكنها بنو جديس في الجاهلية .

٣) قبيلة من بكر بن وائل انفصلت عنها بعد حرب البسوس وانضمت إلى تغلب .

٤) مصب الماء من أسفل الراوية والقربة والمزادة ويشبه بانصبابه اتساع المطر واندفاقه . واحدها عزلاء .

٥) قبيلة من معد كان لها شأن في أيام العرب .

٦) قبيلة فخذ من حنظلة .

٧) أحد أدباء الأفخاذ من القبيلة .

٨) مشتمل بثوبه (ن ، ر)

اخزى الذي سمك السماء مجاشعا وأحل بيتك بالحضيض الأسفل

قال : فأعجبني مـا رأيت من جمالها وفصاحتها ، ثم قالت لي : اين تؤم ؟ قلت : اليمامة . فتنفست نفساً وصل اليّ حـرُّه ، فقلت : أذات خِدْر ، ام ذات بعل ؟ فبكت . فقلت : ما اجبتني عما سألتك . قال فلما فهمت قولي ولم تكن اولاً فهمته من شدة استغراقها ، فلما كان بعد ساعة انشأت تقول :

يخيل لي ، أبا عمرو بن كعب ، بأنك قد حملت على سـرير
فإن يك هكذا ،يا عمرو ، إني مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت . فقلت لهم : من هذه ؟ قالوا : عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر . قلت : فمن عمرو ؟ قالوا : ابن عمها ، خطبها ولم يدخل بهـا . فارتحلتُ من عندهم فدخلت اليمامة ، فسألت عن عمرو فإذا به قد دفن في ذلك الوقت من ذلك اليوم .

★ يروى عن سماك بن حرب : أن زيد بن [1] حارثة قال : يا رسول الله ، انطلق بنا إلى فلانة نخطبها عليك او عليّ أن لم تعجبك : فاتيناها فذكر لها زيد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : يا رسول الله ، اني عاهدت زوجي ألاّ اتزوج بعده ابـدا ، واعطاني مثل ذلك . فقال لهـا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ان كان ذلك في الاسلام فـَفِي له ، وان كان ذلك في الجاهلية فليس بشيء .

١) عبد اشترته أم المؤمنين وأهدته الى النبي فأعتقه وتبنـاه . وهو من الأوائل الذين دخلوا الاسلام . حمل لواء وقعة مؤته وقتل فيها .

★ قال الاصمعي خرجت إلى مقابر البصرة ، فإذا انا بامرأة على قبر ، من اجمل النساء ، وهي تندب صاحبه وتقول :

هل أخبر القبر سائليه — أم قرَّ عينــاً بزائريه
أم هل تراه أحاط علماً — بالجسد المستكن فيه
يا جبلاً كان ذا امتناع — وطوداً عــد لآمليه
يا نخلة طلعها نضيد — يقرب من كف مجتنيه
يا موت ماذا أردت مني — حققت ما كنت أتقيه
دهر رماني بفقد إلفي — أذم دهري وأشتكيه
أمَّنك الله كل خوفٍ — وكل ما كنت تتقيه
أسكنك الله في جنانٍ — تكون أمناً لساكنيه

قال ، فقلت لها : يا أمة الله ، ما هذا منك ؟ قالت : لو علمت مكانك ما انشدت حرفاً ، هذا زوجي وسروري وأنسي ، والله لا زلت هكذا ابداً او الحق به . قلت لها : أعيدي عليّ الشعر . فقالت : هذا من ذاك . فقلت خذي اليك . وانشدتها الأبيات ، فقالت فإن يكن في الدنيا الأصمعي فأنت هو .

★ قال : كان لاشجع بن عمرو والسلمي جارية ، يقال لها ريم ، وكان يجدها وجدا شديداً ، وتجد به . وكانت تحلف له انها إن بقيت بعده لم يحكم عليها رجل ابدا . فقال يخاطبها :

إذا غمضت فوقي جفون حفيرة — من الأرض فابكيني بما كنت اصنع

تعزيك عني بعد ذلك سلوة ، وإن ليس فيمن وارث الأرض مطمع

فأجابته ريم تقول :

ذكرت فراقاً والفراق يصدع ، وأي حياة بعد موتك تنفع .
إذا الزمن الغدار فرق بيننا ، فمالي في طيب من العيش مطمع .
فلو أبصرت عيناك عينيّ ابصرت ، شآبيب[1] حدر[2] غيثها ليس تقشع

وقال فيها ايضاً :

وليس لاخوان النساء تطاول ، ولكن إخوان الرجال يطول .
فلا تبخلي بالدمع عني فإن مَن ، يضن بدمع ، عن هوى ، لبخيل .
فما لي الى رد الشبيبة حيلة ، ولا لي الى دفع المنون سبيل .
وإن لداتي[3] قد مضوا لسبيلهم ، وإن بقائي بعدهم لقليل .

فأجابته ريم :

بكى من صروف خطبهن جليل ومن ذا به عُمْرُ الحياة يطول ؟

١) واحدها شؤبوب وهو الدفعة من المطر .
٢) نبت رملي .
٣) واحدها لِدَة وهي الترب أو من قارن مولدك موعده .

ومن ذا الذي ينعي على حدث الردى ،
وللموت في أثر النفوس رسول .
وكل جليل سوف يلقى حمامه ، وكل نعيم دائم سيزول .
لي الويل،إن عمرت بعدك ساعة، وان كثير الويل لي لقليل .
وتزعم أني لا أجود بعبرة ، إذا نجمهُ قد حان منه أُفول .
ومن ذا الذيأبكي له ، إن فقدته ، سواك ، ومن دمعي عليه يسيل .
فلا وقيت ريم ، اذاً ، ما تخافه إذا ناب خطب للزمان جليل .
ولا لقيت يوم القيامة ربها وميزانها بالصالحات ثقيل .
إذا ما سخا قلب امرىءٍ بمودة ، فقلبي بودٍ عن سواك بخيل

ولما مات أشجع ، آلت على نفسها أن لا تأكل طعاماً ، ولا تذوق شراباً . فعاشت بعده اياماً ، ثم توفيت ، فدفنت إلى جانبه .

(باب ما يذكر من غدر النساء)

قال عمر بن الخطــــاب، رضي الله عنه : أستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .

قال عمرو الملك :

إن من غره النساء بود بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين واللسان وفيها كل شيء يجن فيه الضمير

وقال طفيل الغنوي [1] :

إن النساء لأشجـــار تبين لنا منهن مر ، وبعض المر مأكول .
ان النساء متى يُنهين عن خلق فإنه واقع لا بــــد مفعول

وفي الحديث المرفوع أن المرأة خلقت من ضلع عوجاء، فإن ذهبت تقومها كسرتها، فاستمتع بها على عوج فيها .

---

١) من الشعراء الغزليين في العصر العباسي .

وكان ابو ذر[١] الغفاري يقعد على منبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فينشده :

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ... ألَا إنَّ تقويم الضلوع انكسارها.
أيجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى ، ... أَليس عجيباً ضعفها واقتدارها ؟

وفي الحديث شاوروهن وخالفوهن ، فإن في خلافهن البركة .

قال علقمة بن عبدة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودِّهنَّ نصيب

وقال آخر :

تمتع بها ، ما ساعفتك ، ولا تكن ... جزوعاً إذا بانت ، فسوف تبين .
وان هي أعطتك الليان فإنها ، ... لغيرك من طلابها ستلين ؛
وخنها وإن كانت تَفِي لك ، إنها ... على قِدَم الأيام سوف تخون
وإن حلفت ان ليس تنقض عهدها، ... فليس لمخضوب البنان يمين .

---

١) صحابي اشتهر بورعه وبفصاحة لسانه يعتبر من أعظم المحدثين . نفاه الخليفة الثالث عثمان الى الشام ثم طلب معاوية نفيه من الشام فتاه في الصحراء واختلفت الآراء في مكان موته وقبره ولكن الأرجح أنه في الربذة في جوار المدينة .

وقال ابو عبيدة : حجت امرأة عجير السلولي معـــه ، فأقبلت لا تطرق على شاب في الرفقة إلا وتكشف وجهها ، فقال في ذلك :

أيا رب ، لاتغفر لعتمة ذنبها ، وإن لم يعاقبها العجير ، فعاقب
حرام عليك الحجَّ لا تطعمينه إذا كان حج المسلمات الثوائب

وقال أعرابي :

لاتكثري قولاً منحتك ودنا، فقولك هـذا للفؤاد مريب ،
تعدين ما أوليتني منك قابلاً ، وللفارس العجلان منك نصيب؟

★ أراد رجل أن يشتري قينة [1] وقـــد كان أحبها ، فبات عند مولاها ليلة فأمكنته من نفسها وكان الامتناع منه ، فأنشأ يقول :

ما رأينا بواسط [2] كسليمى منظراً لو تُزِينُه بعفـــاف
بت في جنبها وبات ضجيعي جُنُب [3] القلب طاهر الأطراف
فأقيمي مقامنـــا ثم بيني ، لست عندي من فتية الأشراف

---

١) جارية مغنية .

٢) مدينة في العراق أنشأها الحجـاج بن يوسف بين البصرة والكوفة قد توارت تحت الرمال بعد أن تحولت عنها مياه دجلة .

٣) أي انها كانت تبغي النكاح في قلبهـا ولكنه لم يجارهـــا على رغبتها فباتت طاهرة الاطراف . (ن . ر)

وقال آخر :

لا أشتهي رَنْق[1] الحيـاة ولا التي تخاف وتغشاها المعبدة الحرب[2]
ولكنني أهوى مشارب أحرزت عن الناس حتى ليس في صفوها عيب

وقال أعرابي ايضاً :

تبعتك لما كان قلبك واحداً ، وأمسكت لما صرت نهبا مقسما .
ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه على كثرة الورّاد أن يتهـــدما

وقال ابو نواس :

ومظهرة لخلق الله حبـاً ، وتُلقي بالتحيـة والسلام .
أتيت فؤادها أشكو إليه ، فلم أخلص إليه من الزحام .
فيا من ليس يكفيها خليل، ولا ألفا خليلٍ كل عـــام ،
أراكِ بقيةً من قوم موسى ، فهم لا يصبرون على طعام .

★ وكان رجل يحب امرأة فخطب في اليوم الذي ماتت فيه ، فقيل له في ذلك فقال :

خطبت كما لو كنت قدمت قبلها لكانت بلا شك لأول خاطب

---

١) كدر .
٢) يعني بذلك المياه التي تردها كثرة الارجل .

إذا غاب بعل كان بعل مــكانه		فلا بـــد من آت وآخر ذاهب

✶ وعن المطلب بن الوداعة السهمي قال : كانت ضباعة بنت عامر ، من بني عامر [1] بن صعصعة ، تحت عبد الله [2] بن جدعان . فمكثت عنده زمانـــاً لا تلد ، فأرسل إليها هشام بن المغيرة : ما تصنعين بهذا الشيخ الكبير الذي لا يولد له : فقولي له فليطلقـك . فقالت ذلك لعبدالله بن جدعان ، فقال لها : إني أخاف إن طلقتك تتزوجي هشام بن المغيرة ! قالت له : فإن لك عليّ أن لا أفعل هذا ان قال لها : فـإن فعلت ، فإن عليك مائة من الإبل تنحرينها وتنسجين ثوباً يقطع ما بين الأخشبين [3] وتطوفين بالبيت عريانة . قالت : لا أطيق ذلك . وأرسلت إلى هشام فأخبرته ، فأرسل إليها ما أهون ذلك ، وما يكن بك من ذلك ، انا أيسر من قريش في المال ، ونسائي اكثر النساء بالبطحاء ، وأنت اجمل النساء ولا تعابين في عريك ، فلا تأبي ذلك عليه . فقالت لابن جدعان : طلقني ، فإن تزوجت هشاماً فعليّ ما قلت . فطلقها بعد استيثاقة منها . فتزوجها هشام ، فنحر عنها مائة جزور ، وامر نساءه فنسجن ثوبـــاً يمـلأ ما بين الأخشبين ، ثم طافت بالبيت عريانة . قال المطلب : فأتبعها بصري إذا أدبرت وأستقبلها إذا أقبلت ، فما رأيت شيئاً ممـا خلق الله منها وهي واضعة يدها على فرجها وقريش قد أحدقت بها ، وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله		وما بدا منه فلا احـــله

---

١) من قبائل العرب كانوا متفرقين في أنحاء الجزيرة قاتلوا مع القيسيين في سبيل ابن الزبير في مرج راهط .

٢) من أجاويد العرب من قريش سمي حاسي الذهب لأنـه كان يشرب في كأس من الذهب .

٣) جبلا مكة وهما ابو قبيس والاحمر . أو جبلا منى .

★ قـال الزبير بن بكار : خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من عمه الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال له : يا ابن أخي ، قد انتظرت هذا منك انطلق معي . فخرج معه حتى أدخله منزله ثم أخرج إليه ابنته فاطمة وسكينة ، وقال له :اختر أيهما شئت ! فاختار فاطمة ، فزوجه إياها . فلما حضرت الحسن الوفاة قال لها : إنك امرأة مرغوب فيك ، متشوف إليك لا تتركين ، وإني ما أدع في قلبي حسرة سواك . فتزوجي من شئت سوى عبد الله بن عمر بن عثمان . ثم قال لها : كأني قد خرجت وقدمت وقد جاءك لابساً حلته ، مرجلاً جمته ، يسير في جانب الناس معترضاً لك ، ولست أدع من الدنيا هما غيرك . فـلم يدعها حتى استوثق منها بالايمان . ومات الحسن ، فأخرجت جنازته ، فوافاه عبدالله ابن عمر وكان يجد بفاطمة وجداً شديداً ، وكان رجلاً جميلاً كان يقال له المطرف من حسنه ، فنظر إلى فاطمة وهي تلطم وجهها على الحسن ، فأرسل إليها مع وليدة له : أن لابن عمك أربا في وجهك فارفقي به . فاسترخت يدها واحمر وجهها حتى عرف ذلك جميع من حضرها . فلما انقضت عدتها خطبها فقالت : كيف أفعل بايماني ؟ قال لها : لك بكل مال مالان ؛ وبكل مملوك مملوكان . فوفى لها وتزوجها فولدت له محمداً . وكان يسمى من حسنه الديباج والقاسم ورقية .

★ قال الزبير : لما حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزبير خرجت عليه فاطمة بنت القاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب فقال لهـا : كأني بك تزوجت طلحة بن عمر بن عبدا لله بن معمر ، فحلفت له بعتق رقيقها ، وان كل شيء لها في سبيل الله أن تزوجته ابـــدا . فلما توفي حمزة بن عبد الله وحلت ، أرسل إليها طلحة بن عمر فخطبها فقالت له : قد حلفت . وذكرت يمينها ، فقال لهـــا : أعطيك بكل شيء شيئين . وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين الف دينار ، فاصدقها ضعفها

فتزوجته ، فولدت له ابراهيم ورملة . فزوج طلحة ابنته رملة من اسمعيل ابن علي بن العباس بمائة الف دينار وكانت فائقة الجمال والخلق ، فقال اسماعيل لطلحة بن عمر : أنت أتجر الناس . قال له : والله ما عالجت تجارة قط . قال : بلى حين تزوجت فاطمة بنت القاسم باربعين الفاً فولدت لك ابراهيم ورملة ، فزوجت رملة بمائة الف دينار فربحت ستين الفاً وابراهيم .

★ وعن هشام بن الكلبي قال : قال عبدالله بن عكرمة : دخلت على عبد الرحمن بن هشام أعوده فقلت : كيف تجد ؟ فقال : اجد بي والله الموت ، وما موتي بأشد عليّ من أم هشام ، أخاف أن تتزوج بعدي . فحلفت له انها لا تتزوج بعده ففشي وجهه نوراً ، وقال : الآن فلينزل الموت متى شاء . فلما انقضت عدتها تزوجت عمر بن [1] عبد العزيز . فقلت في ذلك ؟

فإن لقيت خيراً فلا يُهْنِينهـا وإن تعست بؤساً فللعين والفم

فلما بلغها ذلك كتبت الي : قد بلغني ما تمثلت به ، وما مثلي ومثلك في أخيك إلا كما قال الشاعر :

وهل كنت إلا والهاً ذات ترحةٍ قضت نحبها بعد الحنين المرجّع

فدع ذكر من قد وارت الأرض شخصه

ففي غير من قد وارت الأرض مقنع

---

١) من الخلفاء الامويين . اشتهر بتقواه أبطل لعن علي التي سنها معاوية قال فيه هرقل ملك الروم عندما بلغه وفاته : إن الأخيار لا يبقون عند الأشرار إلا قليلا .

قال : فبلغ مني كل مبلغ . فحسبت حسابها فإذا هي قد عجلت بالتزوج وبقي عليها من عدتها أربعة ايام . فدخلت على عمر فاخبرته فانقض النكاح .

قال الزبير بن بكار : كانت امرأة من العرب تزوجت رجلا ، فكانت تجد به ، ويجد بها وجداً شديداً ، فتحالفا وتعاهدا أن لا يتزوج الباقي منها . فما لبث أن مات بعلها ، فتزوجت ، فلامها أهلها على نقض عهدها ، فقالت :

لقد كان حي ذاك حباً مبرحا　　وحي لذا إذ مات ذاك شديد .
وكانت حياتي عند ذلك جنة　　وحي لذا طول الحياة يزيد .
فلما مضى، عادت لهذا مودتي،　　كذاك الهوى بعد الممات يبيد

★ حكى الهيثم بن عدي قال : عاهد رجل امرأته وعاهدته أن لا يتزوج الباقي منهما ، فهلك الرجل ، فلم تلبث المرأة أن تزوجت . فلما كان ليلة البناء بها رأت في أول الليل شخصاً فتأملته ، فإذا هو زوجها ، وهو يقول لها : نقضت العهد ولم ترعي له . واصبحت أتمت نكاحها .

★ وروى ابن شهاب [١] : أن رجلا من الأنصار غزا فأوصى ابن عم له باهله ، فاتى ابن عم الرجل ليلة من الليالي فتطلع على حال زوجة ابن عمه فإذا بالبيت مصباح يزهر ورائحة طيبة ، وإذا برجل متكىء على فراش ابن عمه وهو يتغنى ويقول :

---

١) محدث شهير جمع نحو ألفي حديث . وكان يسكن الشام . رقيل أنه أول من دون الحديث بالكتابة .

وأشعث غرة الاسلام مني خلوت بعرسه بـدر التمام
أبيت على ترائبها[1] ويغدو على جرداء لاحقة الحزام
كأن مجامع الربلات[2] منها فئام[3] ينتمين إلى فئــام

فلم يقدر الرجل أن يملك نفسه حتى دخل عليه فضربه حتى قتله . ورفـع الخبر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فصعد المنبر وخطب وقال : عزمت عليكم إن كان الرجل الذي قـتَـل حاضراً ويسمع كلامي فليقم . فقال : أبعده الله ، ما كان من خبره ؟ فاخبره وأنشده الأبيات ، فقال : أضربت عنقه ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين . فقال : أبعده الله ، فقد هدر دمه

★ قال ابو عمرو[4] الشيباني : كان ابو ذؤيب[5] الهذلي يهوى امرأة يقال لها أم عمرو ، وكان يبعث إليها خالد ابن أخيه زهير ، فراودت الغلام عن نفسها ، فامتنع وقال : اكره أن يبلغ ابا ذؤيب . فقالت له : ما يراني وإياك إلا الكواكب . فبات معها وقال :

---

١) جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر ، أو ما بين الثديين والترقوتين ، أو أربعة أضلاع من يمنة الصدر ومثلها من يسرته .

٢) جمع رملة وهي لحمة باطن الفخذ . وقال ثعلب : أصول الأفخاذ وهي ما حول الضرع والحياء في باطن الفخذ .

٣) جماعة .

٤) من نحويي الكوفة عاش زمناً مع أعراب البادية ليأخذ عنهم الشعر واللغة . وقضى آخر أيامه في بغداد ولا يعرف من مؤلفاته سوى كتاب « الجيم » وفيه المصطلحات عن ٣٠ قبيلة عربية .

٥) شاعر مخضرم . خرج مع عبد الله بن أبي سرح لفتح افريقيا في زمن عثمان . وتوفي في مصر . (ن . ر)

ما ثَمَّ إلا أنا والكواكب وأم عمرو فلنعم الصاحب

فلما رجع إلى أبي ذؤيب استراب به، وقال: والله اني لأجد ريح أم عمرومنك. ثم جعل لا يأتيه إلا استراب به، فقال خالد:

يا قوم ما لي وأبي ذؤيب، كنت إذا ما جئته منغيب،
يمس عطفي، ويشم ثوبي، كأنني أربتـــه بريب.

فقال ابو ذؤيب، وهي من قصيدة من جيد شعره:

دعا خالداً اسرى ليالي نفسه يولي على قصد السبيل أمورها
فلما توفاها الشباب وغدره، وفي النفس منه غدرها وفجورها
لوى رأسه عني، ومال بوده، أغانيج خود كان حيناً يزورها
تعلقها منه دلال ومقـــلة يظل لأصحاب السفاه يثيرها

فأجابه خالد:

فلا يبعدنَّ اللهُ عقلَك إن غزا وسافرَ والاحلامُ جمٌّ غَيُورها
وكنت إمامـــاً للعشيرة تنتهي إليك اذا ضاقت بأمرٍ صُدُورهـا
وقاسمهـــا بالله جهـــداً لأنتم ألذّ من الشكوى إذا ما يسورها
فلم يغن عنه خدعه حين أزمعت صريمتـه والنفس مر ضميرهـــا

قال : وكان ابو ذؤيب اخذها من ملك بن عويمر وكان ملك يرسله إليها ، فلما كبر اخذت ابا ذؤيب ، فلما كبر أخذت خالدا . وقال :

تريدين كيما تجمعيني وخـــالدا   وهل يصلح السيفان، ويحك، في غمد؟
أخالد ، ما راعيت مني قرابة   فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي.

★ قال ابو عبيدة : كان صخر بن عبد الله الشريد يتعشق ابنة عمه سلمى بنت كعب ، وكان يخطبها فتأبى عليه ، فأقام على ذلك حيناً ثم أغارت بنو اسد على بني سليم فغلبوهم وصخر غائب . وأخذت سلمى فيمن أخذ من النساء ، وقتل عدد منهم ، وأسر آخرون . وأقبل صخر فنظر إلى ديارهم بلقعــاً واخبر الخبر ، فشد عليه سلاحه ، واستوى على فرسه ، وأخذ اثرهم حتى لحقهم ، فلما نظروا إليه قالوا : هذا كان شرد من بني سليم ، وقد احب الله أن لا يدع منهم احداً . فجعل يبرز إليه الفارس بعد الفارس فيقتله ، فلمـــا اكثر فيهم القتل ، حلت أسارى بني سليم بعضها بعضاً ، وثاروا على بني اسد . ونظر صخر إلى سلمى وهي مع عبد أسود ، قد شدها على ظهره ، فطعنه صخر فقتله واستنقذ سلمى ورجع بها . وقد اصابته طعنة ابي ثور الأسدي في جنبه ، وتزوج سلمى . وكان يحبها ويكرمها ، ويفضلها على اهله . ثم بعـد ذلك انتقض جرحه فمرض حولاً ، وكان نساء الحي يدخلن إلى سلمى عوائد فيقلن : كيف اصبح صخر ؟ فتقول : لا حي فيرجى ولا ميت فينسى . ومر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وأرداف ، فقال : أيباع هذا الكفل[1] ؟ فقالت : عن قريب : فسمعها صخر ، ولم تعلم ، فقال لها : ناوليني السيف

---

١) الردف والعجز .

أنظر هل صدىء أم لا ؟ واراد قتلها ، فناولته ولم تعلم ، فإذا هو لا يقدر على حمله فقال :

أرى أم صخر ما تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان
فأي امرىء ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا في شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو استطعته ، ... وقد حيل بين العير والنزوان[1]
لعمري لقد أيقظت من كان نائماً ... وأسمعت من كانت له أذنان
فللموت ، خير من حياة كأنها ... محلة يعسوب[2] برأس سنان .

قال : ونتأت في موضع الجرح قطعة فأشاروا عليه بقطعها ، فقال لهم : شأنكم . فلما قطعت مات .

★ قال كان الساطرون والملك ، ملك اليونانيين ، قد بنى حصناً يسمى الثرثار ولم يكن له باب ظاهر فكل من غزاه من الملوك رجع عنه خائباً حتى غزاه سابور[3] ذو الاكتاف ، ملك فارس ، فحصره اشهراً لا يقدر على شيء . فأشرفت يوماً من الحصن النضيرة ابنة الملك ، فنظرت إلى سابور فهويته ، وكان من اجمل الناس وأمدهم قامة ، فأرسلت إليه : إن أنت ضمنت لي أن تتزوجني وتفضلني على نسائك دللتك على فتح

---

١) السفاد أي الوطء والجماع .
٢) الذكر من النحل وأميرها ؛ أو هو طائر ايضاً .
٣) هو سابور الثاني من ملوك بني ساسان حارب العرب أحلاف بيزنطيا ولقب بذي الاكتاف لأنه أمر بفك أكتاف أسرى الحرب .

هذا الحصن . فضمن لها ذلك فارسلت إليه : ان انثر في الثرثار تبناً واجعل الرجـال يتبعونـه حتى يروا حيث يدخـل . فإن ذلك المكان يفضي إلى الحصن ، وفيه بابـه . ففعل ذلك سابور ، وعمدت النضيرة إلى ابيها فسقته الخمر حتى اسكرته ، فلم يشعر أهل الحصن إلا وسابور معهم وهم آمنون ، قال : فلما ظفر سابور بالحصن ، وقتل الملك ابا النضيرة ، وجمع جنده ، تزوج بالنضيرة فباتت معه مسهرة لا تنـام تتقلب من جنب إلى جنب . فقال لها سابور : مالك لا تنامين ؟ فقالت : إن جنبي تجافى عن فراشك . قال : ولمَ ، فوالله ما نامت الملوك على الين منه ولا اوطـأ ، وان فرشه لزغب اليام . فلما اصبح سابور نظر إلى ورقة آس [1] بين اعكانها [2] ، فتناولها ، فدمى موضعها . فقال لها : ويحك بماذا كان ابوك يغذيك ؟ قالت : بالمخ والزبد والبلح والشهد وصفو الخمر . فقال لهـا سابور : اني لجدير أن لا أستبقيك بعد إهلاك اباك وقومك ، وكانت حالك عندهم هذه الحـالة التي تصفين ، وأمر باحضار فرسين فربطت إلى ارجلها بغدائرها ونفرا فقطعاها نصفين . فذلك قول عدي حيث يقول :

والحصن صبت عليه داهية ... من قعره أيد مناكبهـا
من بعد ما كان وهو يعمره ... أرباب ملك جزل مواهبها

★ ويروى أن وضاح اليمن [3] نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان بالمدينة صغيرين فأحبها وأحبته ، وكان لا يصبر عنها حتى إذا

---

١) نبت طيب الريح ويعرف عند العامة بالريحان ويعرف حبه بالحنبلاس .
٢) جمع عُكنة وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمنا . (ن . ر)
٣) من مشاهير شعراء الغزل تشبب بأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك وقد مر الشرح عنه .

شبت حجبت عنه ، فطال بها البلاء . فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها معه إلى الشام فذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء وصار إلى الوسواس خرج إلى مكة حاجاً وقال لعلي أستعيذ بالله مما انا فيه وأدعو الله فلعله يرحمني فلما قضى حجه شخص إلى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد ابن عبد الملك في كل يوم لا يجد حيلة حتى رأى في يوم من الايام جارية صفراء خارجة من القصر تمشي فمشى معها ولم يزل بها حتى أنست به فقال لها : أتعرفين أم البنين بموضعي ؟ فقالت : عن مولاتي تسأل ؟ قال لها : هي ابنة عمي ، وانها لتسر بموضعي لو اخبرتها ، قالت : فأنا اخبرها . فمضت الجارية فاخبرت أم البنين فقالت لها : ويلك أحي هو ؟ قالت لها : نعم يا مولاتي . قالت لها : إرجعي إليه ، وقولي له كن مكانك حتى يأتيك رسولي ، فإني لا أدع الاحتيال لك : واحتالت له فأدخلته في صندوق ، فمكث عندها حيناً فإذا أمنت أخرجته فقعد معها ، وإذا خافت عين رقيب أدخلته في الصندوق . وأهدى يوماً للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا العقد وامض به إلى أم البنين وقل لها : أهْدِيَ هذا إلى امير المؤمنين فوجه به إليك . فدخل الخادم مفاجأة ووضاح معها قاعد فلمحه الخادم ، ولم تشعر أم البنين ، فبادر إلى الصندوق فدخله . وأدى الخادم الرسالة وقال : هبي لي من هذا الجوهر حجراً واحداً . فقالت له . لا أم لك ، فما تصنع بهذا . فخرج وهو عليها حنق ، فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه دخله ، فقال له : كذبت ، لا أم لك : ثم نهض الوليد مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها : يا أم البنين هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه ؟ قالت : انا لك يا امير المؤمنين ، وهي لك ، فخذ ايها شئت . قال : ما أريد إلا هذا الذي تحتي . قالت له

يا امير المؤمنين إن فيه شيئاً من أمور النساء . فقال : ما أريد غيره . قالت فهو لك . قال فأمر به فحمل ، ودعا بغلامين وأمرهما أن يحفرا حتى وصلا إلى الماء ثم وضع فمه في الصندوق وقال يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقاً فقد دفنا خبرك ، وان كان كذباً فما أهون علينا ، إنما دفنا صندوقا . وأمر بالصندوق فالقي في الحفيرة ، وأمر بالخادم الذي عرفه فقذف معه ، ورد التراب عليهما . قال فكانت أم البنين لا تُرى إلا في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت ذات يوم مكبوبة على وجهها ميتة .

★ وروي عن أبي نواس قال حججت مع الفضل [١] بن الربيع فلما كنا بارض فزارة [٢] ايام الربيع ، نزلنا منزلاً بفنائهم ذا أرض أريض ، ونبت غريض ، وقد اكتست الارض نبتها الزاهر ، وبرزت براخم غررها والتحف أنوار زخرفها الباهر ما يقصر عن حسنه النمارق المصفوفة ، ولا يداني بهجته الزرابي [٣] المبثوثة . فزادت الابصار في نضرتها ، وابتهجت النفوس بثمارها . فلم نلبث أن أقبلت السماء بالسحاب ، وأرخت عزاليها ثم اندهمت برذاذ [٤] ثم بطش [٥] ثم بوابل [٦] حتى إذا تركت الديم [٧] ،

---

١) وزير الأمين . وأبوه معتوق الخليفة عثمان . حسد البرامكة ودس الدسائس عليهم . ورمى البغضاء بين الأمين والمأمون .

٢) قبيلة قطنت وادي الرقة في نجد . عبدوا الأوثان وحاصروا المدينة ثم أسلموا ، ثم ارتدوا بعد موت النبي فحاربهم ابو بكر وأرجعهم .

٣) الوسائد أو الطنافس لها خمل رقيق .

٤) المطر الرقيق فوق الطل . أو المطر الساكن الدائم القطر كأنه غبار .

٥) ما كان فوق الرذاذ من المطر .

٦) المطر الضخم القطر الشديد .

٧) مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .

كالوهاد انقشعت وأقلعت [1] وقد غادرت الغدران مترعة برفق ، والقيعان [2] ناضرة تتألق ، يتضاحك بأنوار الزهر الغض حتى إذا هممت بتشبيه منظر حسن رددته إليه ، وإذا تقت إلى موضع طيب لم يجد في البكاء معولاً إلا عليه . فسرحت طرفي راتعاً في احسن منظر ، واستنشقت من رياها أطيب من ريح المسك الأذفر . فقلت لزميلي : ويحك امض بنا إلى هذه الخيام ، فلعلنا نلقى من نـــأثر عنه خبراً ، نرجع به إلى بغداد . فلما انتهينا إلى أوائلها إذا نحن بخباء على بابه جارية مبرقعة بطرف مريض وسنان [3] النظر قد حشي فتوراً ، وملىء سحراً ، فقلت لصاحبي : والله انها لترنو عن مقلة لا رقية لسليمها ولا برء لسقيمها . فقال لي : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ فقلت : استسقها ماء . فدنونا منها فاستسقيناها فقالت : نعم ، ونعما عين وان نزلتما ففي الرحب والسعة . ثم قامت تتهادى كالدعص [4] الملبد . فراعني والله ما رأيت منها ، فأتت بالمـــاء فشربت منه ، وصببت باقية على يدي ، ثم قلت : وصاحبي عطشان ايضـــاً . فأخذت الاناء ودخلت الخباء ثم جاءت ، فقلت لصاحبي : تعرض لكشف وجهها . فقال :

اذا بارك الله في ملبس فلا بارك الله في البرقع
تريك عيون المها غرة وتكشف عن منظر أشنع

فمرت مسرعة وأتت وقد كشفت البرقع وتقنعت بخمار اسود وأنشأت وهي تقول :

---

١) كفت السماء عن المطر .
٢) واحدها قاع وهي الارض الحرة الطين لا يخالطها رمل فيشرب ماءها .
٣) فاتر الطرف (ن . ر)
٤) الكثيب المجتمع من الرمل .

ألا حي ضيفي معشر قد أراهما أضلا ولما يعرفا مبتغاهما
هما استسقيا ماء على غير ظمأة ليستمتعا باللحظ ممن سقاهما
يذمان تلباس البراقع ضِلَّةً كما ذم تجرا سلعة مشتراهما

قال : فشبهت ، والله ، كلامها بعقد در وهي من سلكه . فهو ينتثر بنغمة عذبة رخيمة لو خوطبت به الصم الصلاب لانبجست ماء لرطوبة منطقها ، وعذوبة لفظها ، بوجه يظلم لنوره ضياء العقول ، ويتلف من رؤيته مهج النفوس . فهي كما قال :

فَرَقَّت وَجَلَّت واستكرت فأكملت فلو جن انسان من الحسن جنت

فلم أتمالك أن خررت ساجداً ، فقالت : ارفع رأسك غير مأجور ، ولا تذمن بعدها برقعاً . فكشف البرقع عما يطرد الكرى ، ويشغل الهوى ، من غير بلوغ أرب ، ولا ادراك طلب . وليس إلا الحين المسلوب ، والقدر المكتوب ، والأمل المكذوب . فبقيت والله معقول اللسان عن الجواب ، حيران لا أهتدي إلى طريق الصواب . والتفت الي صاحبي لما رأى لهفي فقال : ما هذه الخفة لوجه ، إنما برقت لك بارقة لعلك ما تدري ما تحتها . أما سمعت قول الشاعر ؟ حيث يقول :

على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقالت : بئس ما ذهبت إليه ، لا ابالك ، لأنا أشبه بقول الشاعر حيث يقول :

منعمة حوراء يجري وشاحهـــا على كشح مرتج الروادف اهضم
خزاعية الأطراف كندية الحشا فزارية العينين طائيــــة الفـم

ثم رفعت ثيابها حتى جاوزت نحرها ، فإذا هي كقضيب فضة قد شيب بماء الذهب ، يهتز على مثل كثيب ؛ ولها صدر كالورد عليه رمانتان او حقان من عاج يملآن يد اللامس ؛ وخصر مطوي الاندماج ، يهتز في كفل رجراج ، لو رمت عقده لانعقد ؛ وسرة مستديرة يقصر وهمي عن بلوغ وصفها ؛ تحت ذلك أرنب جاثم او جبهة اسد غادر ، وفخذان لفاوان [1] ، وساقان خدلجان [2] يخرسان الخلاخيل ، وقدمان خمصاوان [3]. فقالت : أعار ترى ؟ قلت : لا والله . قال : فخرجت عجوز من الخباء وقالت : أيها الرجل امضِ لشأنك ، فإن قتيلها مطلول لا يودى [4] ، وأسيرها مكبول [5] لا يفدى . فقالت لها الجارية : دعيه فمثله قول ذي الرمة [6] :

وإن لم يكن إلا تمتع ساعة قليلاً فإني نافـع لي قليلهـــا

فولت العجوز وهي تقول :

١) مشوقان مكتسيان لحماً .
٢) ممتلئان ضخمان .
٣) مرتفع باطنهما عن الأرض فلا يمسانها .
٤) ليس له دية وهي ما يعطى من المال بدَل نفس القتيل .
٥) مقيد .
٦) لقب غيلان بن عقبة وهو بدوي وكان يتردد على البصرة والكوفة أحب ميّة والخرقاء . وعاصر جرير والفرزدق . وله ديوان يحوي ثلثي لغة العرب .

فما لك منها، غير أنك ناكح بعينيك عينيها، فهل ذاك نافع؟

قال: فبينما نحن كذلك إذ ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكمد قاتل، وكرب داخل، ونفس هائمة، وحسرة دائمة. فقلت في ذلك:

رسم الكرى بين الجفون محيل عفا عليه بكا عليك طويل
يا ناظراً ما أقلعت لحظاته حتى تشخص بينهن قتيل
أحللت من قلبي هواه محلة ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التي في مثلها يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها دون السمين ودونها المهزول

قال: فوالله ما انتفعت بحج ولا لقيت أحداً مما كنت تأهبت للقائه. ثم رجعنا منصرفين، فلما كنا بذلك المنزل وقد تضاعف نواره، واعتم[1] نبته، وتزايد حسنه، قلت لصاحبي: امض بنا إلى صاحبتنا. فلما مضينا وأشرفنا على الخيام ونحن دونها، سترني روضة أريضة[2] مونقة، عليها جمان[3] الطل، يغازلها كالأعين النجل، وقد أشرقت بدموعها على قضب الزبرجد[4]، وهبت ريح الصبا فصبت لها الأغصان، وتمايلت تمايل النشوان. فصعدنا ربوة، ونزلنا وهدة، فإذا هي بين خمسٍ لا تصلح أن

---

١) كان غير محكم.
٢) مخصبة معجبة للعين.
٣) هنا شبه حبات الطل بحبات الفضة.
٤) جوهر معروف وهو من أنواع الزمرد، أو الزمرد نفسه. (ن. ر)

تكون خادمة لإحداهن ، وهن يجنين من نُوّار [1] ذلك الزهر ، وينقلبن على ما اعتم من عشبه وزهره . فلما رأيننا تقربن ، فسلمنا عليهن . وقالت الجارية من بينهن : وعليك السلام ، ألست صاحبي آنفاً ؟ قلت : بلى ، ولكن لحبي كان ذلك . فقلن لها : أوتعرفينه ؟ قالت : نعم . فقصت عليهن القصة كلها ما كتمت منها حرفاً واحداً . قلن لها : ويحك ، أفما زودته شيئاً ؟ قالت زودته والله موتاً مريحاً ، ولحداً ضريحاً . فانبرت لها أنضرهن وجهاً ، وأرقهن خداً ، وأرشقهن قداً ، وأبدعهن شكلاً ، وأكملهن عقلاً ، فقالت : والله ما أجملت بدءاً ، ولا أحسنت عوداً ، ولقد أسأت في الرد ، ولم تكافئيه بالود ، وإني أحسبه إليك وامقاً [2] ، وإلى لقائك تائقاً ، فما عليك من إسعافه في هذا المكان ومعك من لا ينم عليك . فقالت لها : يا تعسا إلى ما دعوتني ، والله لا أفعل من ذلك شيئاً أو تفعلينه وتشركيني في حلوه ومره ، وخيره وشره . فقالت لها : تعساً تلك إذا قسمة ضيزى . تعشقين أنت فترهبين ، وتوصلين فتقطعين ، ويرغب فيك فتزهدين ، ويبذل لك الود فتمنعين الرفد [3] ، ثم تأمريني أن أشاركك فيما يكون منك شهوة ولذة ، ومني عناء وسخرة ؟ ما أنصفت في القول ، ولا أجملت في الفعل . قالت اخرى منهن : قد أطلتنّ الخطاب في غير قضاء أرب ؟ فاسألن الرجل عن قصته وما في نفسه من بقيته ؟ فلعله لغير ما أنتن فيه . فقلن : حياك الله وأقرّ بكَ عيناً ، من أنت ، ومن تكون ؟ فقلت : أما الاسم فالحسن بن هانىء الحكمي وأنا من شعراء السلطان الأعظم ومن يتزين بمجلسه ، ويفتخر بحمده وشكره ، ويتقى لسانه . قصدت لتبريد غلة ، وإطفاء لوعة قد أحرقت الكبد ، وأذابت الجسد ، ثم استبطنت الأحشاء فمنعت من القرار ، ووصلت الليل

---

١) الزهر .

٢) محبا .

٣) العطاء والصلة .

بالنهار . فقالت : لقد أضفت إلى حسن المنطق والمنظر ، كريم الخيم[1] والمخبر ، وأرجو أن تبلغ أمنيتك ، وتنال بغيتك . فهل قلت شيئاً في صبوتك ؟ قلت : نعم . قلن : أنشد فأنشدتهن :

حججت رجاء الفوز بالأجر قاصداً ،

لحط ذنوب من ركوب الكبائر ،

فأبت ، كما آب الشقي بخفــه حنين ، فلم اوجر بتلك المشاعر .

دهتني بعينيها ، وبهجة وجهها ، فتاة ، كمثل الشمس أسحر ساحر ؛

منعمة ، لو كان للبدر نورها ، لما طلعت بيض النجوم الزواهر .

فإن بذلت ، نلت الأماني كلها ، وإن لم تنلني ، زرت أهل المقابر .

فقلن : أحسنت ، والله . ثم قالت : إنها والله ساعتك الطولى ، إن مالفتني ! قالت : لقد سمعت جوابي . فقالت أخرى : أجيبيها الى ما دعت من الشركة لتكن إحداكن في الأمر . فقلن : قد انتصفت ، وقد أطلتن الخطاب على أمر فأمضينه قبل انتشار الحي ، فالوقت ممكن ، والمكان خال . فأجمعن على ذلك ولست أشك فيا أظهرن ، ثم قلن : بمن تبدأ ؟ قلت اقترعن . فوقعت القرعة على أملحهن . فصرت الى باب المغارة هناك ، فأدخلتني وأبطأت عني قليلاً ، وجعلت آتوق وأنظر إلى دخول إحداهن . فبينا أنا كذلك ، إذ دخل عليّ أسود كأنه سارية ، بيده أيره وهو منعظ كمثل ذراع البكر . فقلت : ما تريد ؟ قال : أنيكك . فأهمتني والله نفسي ، فصحت بصاحبي ، وكان أجلد مني ،

---

١) السجية والطبع .

فخلصني من الأسود . ولم أكد أخلص منه فخرجت من المغارة فإذا هن ينظرن من الخيمات كأنهن لآل ينحـــدرن من سلك ، وهن يتضاحكن حتى غبن عن بصري . فأسرعنا الرجعة الى رحالنا فقلت لصاحبي : من أين جاء الأسود ؟ قال : كان يرعى غنماً عند ربوة من المغارة ، فأومأن إليه ، فأسرع نحوهن ، فأوحين إليه شيئاً فرابني ذلك . فأسرعت نحوك فسبقني ودخل عليك ، ولولا ذلك لكان قد تمكن منك الأسود . فقلت : أتراه كان يفعل ؟ قال لي : فأنت في شك من هذا ؟ فقلت له : اكتم علي . وانصرفت وأنا والله أخزى من ذات النحيين [١] .

★ قال دعبل [٢] بن علي : بينا أنا سائر بباب الكرج وقـد استولى الفكر على قلبي فحضرني بيت شعر خطر بـه لساني من غـــير النطق به ، فقلت :

دموع عيني لها انبساط ونوم جفني له انقباض

وإذا جارية معترضة تسمع كلامي فقالت :

وذا قليل لمن دهتـه بلحظها الأعين المراض

فلم أعلم أني خاطبت جارية أعذب منهـا لفظاً ، ولا أسحر طرفاً ، ولا أنضر خداً ، ولا أحسن مشياً ، ولا أرجح عقلاً . فوددت أن كل جارحة مني عين تنظر ، أو قلب يفهم ، أو أذن تسمع . فقلت :

---

١) امرأة كانت تحمل نحيين فيهما سمن التقى بها رجل فاتك ، فحل رباط النحي الأول وأعطاها فوهته ثم حل رباط النحي الثاني وأمسكها به ثم نال منها بغيته وهي لا تقدر على ترك النحيين خوف اندلاق السمن .

٢) شاعر أصله من الكوفة . وقد مرَّ ذكره .

أترى الزمان يسرنا بتلاق ويضم مشتاقاً الى مشتاق
ما للزمان يقال فيه وإنما أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال : فلحظتها ، وتبعتني . وذلك حين املاقي ، واختلال حالي . فقلت : مالي إلا منزل صريع الغواني [1] ، فأتيته ، واستوقفتها ، ودخلت إليه . وقلت : ويلك يا مسلم ، أجمل لك الخبروجة على الباب تقل له الدنيا وما فيها من عسر وضيقة . قال لي : شكوت إلى ما كدت أبدؤك به الشكوى ، ولكن ائت بها على كل حال . فلما دخلت قال لي : والله ما أملك إلا هذا المنديل . فقلت له : هو البغية . قال ، فأخذته فبعته بثلاثين درهماً ، واشتريت خبزاً ولحماً ونبيذاً . وإذا هما يتنازعان حديثاً كأنه قطع الروض ذكرت به قول بشار [2] فقلت :

وحديث كأنه قطع الرو ض وفيه الصفراء والحمراء

فقال لى مسلم : بيت نظيف ، ووجه ظريف ، ولا نقل ولا ريحان ؟ اخرج فالتمس لنا ذلك . قال ، فخرجت وجئت بما طلب ، فإذا لا حسّ منها ولا أثر لها ، فجعلت أُطيل الذكر ، وأرجم الظن ، حتى إذا جن عليّ الليل وفي قلبي لهيب النيران ، ثاب علي عقلي وقلت : لعل الطلب يوقعني على موضع خفي . فوقفت على باب سرداب وإذا هما قد نزلا

---

١) هو مسلم بن الوليد ولد بالكوفة وتوفي في جرجان (٧٤٧ — ٨٢٣) من شعراء العصر العباسي الأول تقرب من الفضل بن سهل وزير المأمون . وكان كلفاً بالبديع .

٢) بشار بن برد شاعر أدرك الأمويين ثم اتصل بالعباسيين . رمي بالزندقة ، وكان اعمى متبرماً بالناس يسخر منهم ويهجوهم .

ومعها جميع ما يحتاجان إليه فأكلا وشربا ونعما. فدليت رأسي وصحت مسلم ثلاث مرات، فلم يكلمني بأكثر من أن قال لي: محلنا، والنفقة من عندنا، وأنت فضولي، ما هذا الذي تقترح؟ اصبر مكانك حتى يؤذن لك، فبقيت طول ليلتي أتقلى على جمر الغضا لا أعرف أين أنا. فلما انشق الصبح إذا به طلع وطلعت الجارية في أثره، فأسرعت إليه وخرجت تعدو ولم تخاطبني، فكانت أعظم حسرة نزلت بي.

(باب ما جاء في الزنا والتحذير من أليم عقابه)

روي عن الاعمش [١] ، عن سفيان [٢] ، عن حذيفة [٣] ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « يا معشر المسلمين اياكم والزنا ، فإن فيه ست خصال : ثلاثاً في الدنيا ، وثلاثاً في الآخرة . فأما التي في الدنيا : فزوال البها ، ودوام الفقر ، وقصر العمر ؛ وأما اللواتي في الآخرة . فسخط الله جل ثناؤه ، وسوء الحساب ، والخلود في النار . »

وعن الحرث بن النعمان قال . سمعت انس [٤] بن مالك يقول أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « المقيم على الزنا كعابد وثن »

وعن ابي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ليلة أسرى بي انطلق بي إلى خلق من خلق الله ونساء معلقات بثديهن ومنهن بارجلهن ، منكسات ، ولهن صراخ وخوار . فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن اولادهن ، ويجعلن لازواجهن ورثة من غيرهم . »

---

١) من أصحاب الروايات ومن أئمة المحدثين .

٢) سفيان الثوري هو من أئمة المحدثين وعلماء الكلام . لم يهب غضب الخليفة واستقل برأيه . وقيل عنه : إنه لم يكن أعلم منه بالحلال والحرام .

٣) من المحدثين .

٤) من الصحابة وكان خادماً للنبي .

وعن ابي الدرداء [١]. أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: أن الله عز وجل ليبغض ثلاثة. الشيخ الزاني، والمُقِلُّ المُختال، والبخيلُ المنّان.»

وعن عمر بن شرحبيل، عن عبد الله [٢] بن مسعود انه قال: قلت: يا رسول الله، او قال غيري: اي الذنوب اعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك. قلت: ثم اي؟ قال: أن تقتل النفس بغير حق، قلت: ثم اي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. قال: ثم انزل الله في كتابه تصديق ذلك. ثم قال: والذين لا يدعون مع الله الهـا آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون. ومن يفعل ذلك يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا.»

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الزاني بحليلة جاره لا ينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه، ويقول أدخل النار مع الداخلين.

وعن ابي هريرة [٣]، انـه سمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول حين نزلت آية الملائكة: «أيما امرأة أدخلت على قوم مَن ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله جنته. وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الاولـين والاخرين.»

---

١) أبو الدرداء الخزرجي الأنصاري من شباب الصحابة. وكان من أكبر علمـاء القرآن. وهو إمام وقاضي دمشق. (ن. ر)

٢) صحابي كان حجة في القرآن والحديث. وقد ورد ذكره سابقاً.

٣) صحابي لازم النبي وقد مر ذكره.

★ ذكر الزنا عند يحيى [١] بن خالد بن برمك فقال : الزنا يجمع الخصال كلها من الشر . لا تجد زانياً معه ورع ، ولا وفاء بعهد ، ولا محافظة على صديق ؛ الغدر شعبة من شعبه ، والخيانة فن من فنونه ، وقلة المروءة عيب من عيوبه ، وسفك الدم الحرام جناية من جناياته .

★ وحكى ابن الأعرابي قال : كان الحرث بن ابي شمر الغساني إذا اعجبته امرأة ووصفت له ، بعث اليها واغتصبها نفسها ، فاتاه ابوها فقال له :

يا أيها الملك المخوف أما ترى ليلاً وصبحاً كيف يختلفان
هل تستطيع الشمس أن تأتي بها ليلاً وهل لك بالمليك يدان
فاعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأنك ما تدين تدان

وعن عدي بن ثابت قال : سمعت عبد الله [٢] بن عباس يقول : كان في بني اسرائيل راهب عبدالله زماناً من الدهر ، حتى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرؤون على يديه . وأنه اتي بامرأة من اشراف قومها قد جنت وكان لها اخوة ، فأتوه بها ، فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها ، فحملت ، فلما استبان حملها ، لم يزل الشيطان يخوفه ويزين له قتلها ودفنها ، فقتلها ودفنها ، وذهب الشيطان في صورة رجل حتى اتى بعض اخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب ، ثم اتى بقية اخوتها رجلاً رجلا فجعل

---

١) حكم بلاد أذربيجان ثم أصبح مؤدب ومستشار الرشيد مات سجيناً بعد نكبة البرامكة .

٢) ابن عم النبي ويسمى أبا العباس . لقب بحبر الأمة . وهو من رواة الحديث المشهورين ناصر علياً ثم والى الأمويين .

الرجل يلقى اخاه فيقول له : والله لقد اتاني آت فذكر لي شيئاً كبيراً علينا . فاخبر بعضهم بعضاً بما قيل لهم ، فاتوا إلى الراهب فقالوا : ما فعلت أختنا ؟ قال : خرجت ، ولست أدري اين ذهبت . فرفعوا ذلك إلى ملكهم ، فسار اليه الناس حتى استنزلوه من صومعته ، فأقر لهم بالذي فعل ، فأمر به فصلب على خشبة ، وتمثل له الشيطان فقال له : انا الذي زينت لك هذا والقيتك فيه ، فهل انت مطيعي فيما اقول لك وأخلصك ؟ قال : نعم . قال : تسجد لي سجدة واحدة فسجد له الرجل ، ثم قتل . فهذا داخل تحت قول الله عز وجل : « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين . » ولم تزل اشراف العرب في الجاهلية يتجنبون الزنا ويذمونه ، وينهون عنه .

وروى هشام بن عروة عن اسماء[1] بنت ابي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، قالت : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش اياكم والزنا ، فانه يورث الفقر .

وفي وصية دريد بن الصمة : « اياكم وفضيحة النساء فانها عقوبة غد ، وعار أبد ؛ يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلها ، ولا يزال لازماً ما عاش له عارها .

وحكى بعضهم قال : وفد عبد المطلب[2] بن هاشم على بعض ملوك حِمْيَر[3] فالطف منزلته وأكرمه . وكان تاماً جميلاً ، فقال له الملك : يا أبا الحرث ، أحب أن ينادمني ابنك . فأذن له ابوه في ذلك . وكان

١) زوجة الزبير بن العوام وقد ورد ذكرها .

٢) جد النبي وكفيله بعد موت أبيه كان يحرس بئر زمزم ويسقي الحجاج قبل الاسلام .

٣) شعب قديم في بلاد اليمن .

الحميري اجمل ملوك حمير ، وكانت زوجته اجمل منه . فكان إذا شرب مع الحرث خرجت زوجته فجلست معهما تسقيهما ، فعشقت الحرثَ زوجةُ الملك ، فكلفت به ، فراسلته ، فاعلمها انه محصن عن الزنا ولا يخون نديمه . فالحت عليه فكتب اليها :

لا تطمعي فيما رأيت فإنني　　عف منادمتي عفيف المئزر
أسعى لأدرك مجــد قوم سادة
غمروا فطفن البيت عند المشعر
فافني خيالأ واعلمي أني امرؤ　　أرْبى بنفسي أن يعير معشري

ثم انه اخبر أباه ، فصوب رأيه وقــال له : يا بني إن لنساء الملوك طفاحا . فلما رأته قد عزفت نفسه عنها قالت : والله لا ادعه تتمتع به امرأة ابدا . فدست اليه شربة فشربها وارتحل مع ابيه ، فلما قدم مكة مات فجزع عليه عبد المطلب جزعا شديدا وقال يرثيه :

سقى الإله صدى واريته بيدي　　ببطن مكة تعفوه الأعاصير
يا حارث الخير قد أورثتني شجناً　　فما لقلبي عن ذكراك تغيير
فلست أنساك ما هبت شآميــة　　وما بدا علـم في الآل معمور

★ ولما قتلت بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحرث ابا امرىء القيس دار في احياء العرب فلم ير منهم ما يحب ، فمضى حتى قدم على هرقل ملك الروم ، فاقـام عنده شهرا فاكرمه ونادمه ، وأعجبه كماله وعقله . ثم بعث معه ستمائة من ابناء الملوك ومن تبعهم . ونظرت اليه ابنة الملك

فعشقته وارسلت اليه ان يلقاها قبل خروجه ، فجعل يعتذر لها ويعللها ولا يرضى ان يخون اباها فيها مع ما فعله معه . وخرج منصرفاً إلى بلده فقالت بنت هرقل لابيها : ما صنعت بنفسك وجهت ابناء ملوك الروم مع ابن ملك العرب ؟ لو قد استمكن مما اراد غزاك ونزع ملكك . فوجه اليه الملك بحلة منسوجة بالذهب مسمومة فلما لبسها تنفط جلده ، وتساقط لحمه ، فنظر إلى جبل فسأل عنه ، فقيل له : اسمه عسيب . فقال :

أجارتنا إن المزار قريب ... واني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ههنا ... وكل غريب للغريب نسيب

وقيل انه قال هذا لانه رأى قبراً عند هذا الجبل فسأل عنه فاخبر انه قبر امرأة من بنات ملوك الروم . فمات هناك .

★ ومما فضل به بسطام [1] بن قيس على عامر [2] بن الطفيل وعتبة [3] ابن الحرث بن شهاب . ان بسطاما كان فارساً عفيفا جوادا ؛ وكان عتبة فارسا عفيفا بخيلاً ؛ وكان عامر فارساً جوادا عاهراً . فاجتمعت في بسطام ثلاث خصال شريفة فبذلك فضلها بسطام .

★ قال الشعبي [4] تنافر عامر بن الطفيل بن ملك بن جعفر وعلقمة ابن علاثة بن الاحوص إلى هرم [5] بن قطبة بن سنان الذبياني حكيم العرب فقال لعلقمة : بأي شيء انت اسود من عامر ؟ قال : انا بصير ، وهو اعور ، وأنا ابو عشرة وهو عقيم ، وانا عفيف وهو عاهر .

(١و٢و٣) من شعراء الجاهلية أشهرهم عامر بن الطفيل فقد كان شاعراً وفارساً مغواراً .

٤) لعله ابو عامر بن شراحبيل فقيه ومحدث .

٥) من حكماء الجاهلية ضرب المثل بجوده .

وإنما اطلقت العرب حديث الرجال إلى النساء لما كانوا يرون من النقص في الريب ، ويأخذون انفسهم بحفظ الجيران ، وما يعرف بعضهم من بعض من استعمال الوفاء ، والتحرز من العار . لان الرجل منهم كان يصون حرمة جاره وصاحبه كصيانة الابنة والاخت والزوجة من حرمه . لا يرى احد منهم لنفسه رخصة في اضاعة ذلك ، وإنما يتحمل الغدر ، ويرخص نفسه فيه ، من باين البوادي ، وخالط الحضر ، لانه رأى اجناس العبيد ، واخلاط العوام ، وقد نشأوا على عادة فجروا عليها ولن يستوي مَن كَرُم طبعه وصَحَّت بنيته وترك الفواحش وجانبها تنزها عنها ولانها محظورة عليه وغير مباحة له . واحب شيء إلى الانسان ما منع عنه . فترك الاول طبع ، وترك هذا تكلف . وأما العوام وأخلاط الناس فلا يكادون يتورعون عن محرم ، ولا يستحيون من عار ، وهم اكثر العالم غدراً .

★ قال المسيح [١] عليه السلام : لا يزني طرفك بما غضضت بصرك .

★ ونظر اشعث إلى ابنه يوماً وهو يديم النظر إلى امرأته فقال له يا بني اظن نظرك اليها قد احبلها . اخذ هذا بعض الشعراء فقال :

ولي نظرة لو كان يحبل ناظر   بنظرته أنثى لقد حبلت مني

★ مرت امرأة بقوم من بني نمير فرشقوها بابصارهم واداموا النظر اليها ، فقالت : قبحكم الله يا بني نمير ، فوالله ما أخذتم بقول الله تبارك وتعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم . » ولا بقول الشاعر :

---

١) هو عيسى بن مريم نبي الله .

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فخجل القوم مما قالت وأطرقوا .

★ وكان يقال : اربع لا يشبعن من اربع : عينٌ مِن نظرٍ ، وأُذُنٌ من خَبَر وأرْضٌ من مَطَر ، وأنثى من ذَكَر .

★ قال اسحق بن بهيل : رأيت رجلاً في طريق مكة وعديله في المحمل جارية قد شد عينيها وكشف سائر وجهها فقلت له في ذلك ، فقال : إنما اخاف عينيها لا عيون الناس .

★ وكان عند بعض القرشيين امرأة عربية فدخل عليها خصي لزوجها وهي واضعة خمارها تمشط شعرها ، فحلقت شعرها ، وقالت : لا يصحبني شعر نظر اليه غير ذي محرم مني .

★ وقال رجل لاعرابي : ما الزنا عندكم ؟ قال : النظرة ، والقبلة . قيل له : ليس هذا الزنا عندنا ! قال : وما هو ؟ قال : ان يجلس بين شعبها الاربع ثم يجهد نفسه . قال : بابي انت ، ليس هذا زانياً هذا طالب ولد !

★ قيل لأبي الطمان العتبي : اخبرنا عن اقبح ذنوبك ؟ قال : ليلة الدير . قيل : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت على نصرانية فأكلت طفشلاً بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ، ومضيت .

★ وقال الجاحظ [١] : قرأ قارىء : « قالت فذلكن الذي لمتني فيه

١) أبو عثمان الجاحظ . كان ثاقب البصيرة ، متزن العقل ، دقيق التعليل ، حر الفكر وكان ذا مرح وفكاهة . وهو من أئمة الأدب العربي .

ولقد راودته عن نفسه فاستعصم . » فقال ابراهيم بن عزوان : لا والله ما سمعت بأعدل من هذه الفاسقة ، اما والله لو تمرست بي ما استعصمت .

★ بات اعرابي ضيفاً لبعض الحضر فرأى امرأته ، فَهَمَّ ان يأتي اليها في الليل فمنعه الكلب ؛ ثم اراد ذلك مرة اخرى ، فمنعه ضوء القمر ؛ ثم اراد ذلك في السحر ، فإذا عجوز قائمة تصلي . فلما رأى ذلك قال :

لم يَخلُقِ اللهُ شيئاً كُنْتُ أَبغضهُ　　غيرَ العجوز وغيرِ الكلبِ والقمرِ
هذا يَبُوح ، وهذا يُسْتَضاء به ،　　وهذه سُبْحَةٌ قَوَّامـــةُ السَحَرِ

★ وصف اعرابي رجلاً ماجناً فقال : والله لو ابصرته عيدان القيان لتحركت اوتارها ، ولو رأته مومسة لطار خمارها .

★ وحكى خريدة بن اسماء ، قال : حججنا ، ونحن في رفقة ، إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة نامت ثم انتبهت وحية على عنقها لا تضرها بشيء ، فلم يجترىء احد منا ان ينحيها عنها ، فلم تزل كذلك حتى ابصرت الحرم فانسابت ومضت عنها ، فحمدنا الله ودخلنا مكة فقضينا نسكنا ، ورأى الغريض [١] المغني المرأة وقد سمع الحديث وما تحاكاه الناس عنها فقال لها : يا شقية ما فعلت حيتك ؟ قالت : في النار . قال : ستعلمين من في النار . قال فضحكت المرأة ولم تفهم ما اراد وارتحلنا منصرفين حتى اذا كنا بالموضع الذي حين نزلناه جاءت الحيـــة حيث انسابت وتطوقت عليها ، فلما تأملت المرأة عرفتها ، ثم صفرت الحية ،

---

١) لقب عبد الملك المغني المكي . وهو أحد الخمسة الكبار من المغنين العرب . وكان لصوته حنان يأخذ بالقلوب . يحسن العزف على العود والدف والقضيب .

فإذا الوادي يسيل علينا من جنباته حيات ، فنهشتها حتى بقيت عظاماً ونحن نرى ذلك . ثم انصرفنا جميعاً فقلنا للجارية التي معها : ويحك خبرينا بخبر هذه المرأة ، فقد والله راينا منها عجباً ؟ قالت : نعم بَغَت ثلاث مرات ، تلد في كل مرة غلاماً ، فاذا وضعته حمت تنوراً ورمته فيه وتكتم خبره . قال : فقلت سبحان الله ما اعجب هذا . وذكرت قول الغريض لها ستعلمين من في النار ، فزادنا ذلك تعجباً منها .

★ قال احمد بن يحيى : كان مرثد ، عم عمرو بن قمية الشاعر ، عنده امرأة جميلة ، وكان قد كبر ، وكان يجمع بني اخيه وبني عمه في منزله للغداء كل يوم . وكان عمرو بن قمية شاباً جميلاً ، وكانت اصبع رجله الوسطى والتي تليها مفترقتين . فخرج مرثد يرمي بالقداح ، فأرسلت امرأته إلى عمرو بن قمية : « ابن عمك يدعوك . » فجاءت به من دبر البيوت ، فلما دخل عليها لم يجد عمه فانكر امرها ، فراودته عن نفسها ، فقال لها : لقد جئت بأمر عظيم ، وما كان مثلي يدعى لمثل هذا ! قالت : لتفعلن ما اقول لك او لأسوأنك . قال : إلى المساءة دعوتني ! ثم انه قام فخرج . وامرت بجفنة فكبت على اثر رجله فلما رجع مرثد وجدها متغضبة فقال لها : ما لك ؟ قالت : ان رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت . قال : ومن هو ؟ قالت : اما انا فلا اسميه ، ولكن قم فاقتف اثره تحت الجفنة . فلما رأى الأثر عرفه فاعرض عنه وجفاه ، ولم يزده على ذلك ، وكان اعجب الخلق اليه . وعرف ابن قمية ذلك وكره ان يخبره فقال :

لعمرك ما نفسي بجد رشيدة … تؤامرني شراً لأصرم مرثدا
عظيم رماه القدر لا متعبس … ولا مؤيس منها إذا هو أخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة … وافرع في لومي مراراً وأصعدا

على غير ذنب أن أكون جنيته		سوى قول باغ جاهد فتهجدا

وبلغت الابيات مرثداً فكشف عن الامر حتى تبين له ، فطلق امرأته وعاد على ما كان عليه لابن اخيه .

★ وذكر هشام بن محمد الكلبي ، عن الحصين بن لبيد قال : كان الحطيئة [1] نازلاً في بني المسند من بني ضبة فرأى لبنة بنت قرطة اخت العلاء ، وكانت فاسدة ، فأعجبته فكلمها فأجابته ، فوقع عليها ، فحملت منه . ثم ارتحل الحطيئة ، فلما بان حملها ، زوجها العلاء بن غالب بن صعصعة فولدت الفرزدق على فراشه فنسب اليه . ففي ذلك يقول جرير ابن الخطفي .

كان الحطيئة جار أمك مرة		والله يعلم شأن ذاك الجار

لا تفخرن بغالب ومحمد		وافخر بعبس يوم كل فخار

قال : وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز ، وهو امير المدينة ، فاكرمه واحسن ضيافته . فبلغه انه زان فأراد ان يختبر ذلك ، فقال لجارية له : انطلقي إلى الفرزدق ، وعمر في حجرة له ينظر ما يصنع الفرزدق ، فأتته الجارية بالغسل والدهن ، وذهبت لتغسل رأسه ، فوثب عليها فركضته وقالت : لعنك الله من شيخ . ثم خرجت فأتت عمر فأخبرته فنفاه من المدينة . وقال جرير .

نفاك الأعز بن عبد العزيز		وحقك تنفى من المسجد

---

١) من الشعراء المخضرمين من بني عبس . كان هجاء مقذعاً وعابساً متهكما .

فقال الفرزدق :

فأوعـــدني وأجلني ثلاثاً كما وعدت بهلكهـــا ثمود

★ ودخل الفرزدق يوماً على سليمان بن عبد الملك ، وهو خليفة ، فقال : انشدني يا ابا فراس ! فأنشده قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

خرجن إلي لم يطمثن قبلي فهن أصح من بيض النعـام
فبتن بجـــانبي مصرعات وبت أفض أغلاق الختـام

فقال له سليمان : ما اظنك يا ابا فراس الا قد احللت نفسك ، اقررت عندي بالزنا ، وأنا امام ، ولا بد من اقامة الحد عليك . فقال : يا امير المؤمنين ، ما احللت نفسي ان كنت تاخذ بقول الله وتعمل به . قال سليمان : فبقول الله نأخذ عليك الحـد . قال الفرزدق : فإن الله يقول : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون . » وانا ، يا امير المؤمنين ، قلت مـــا لم افعل . فتبسم سليمان ، وقال : تلافيتها يا ابا فراس ، ودرأت الحـد عن نفسك . وخلع عليه ، وامر له بجائزة .

★ قال ابو عبيدة : هوى ابو العباس الاعمى امرأة ذات بعـــل فراسلها فأعلمت زوجها ، فقال لها : اطمعيه . فأطمعته ، ثم قال : ارسلي اليه فليأتك . فارسلت اليه ، فأتاها ، وجلس زوجها إلى جانبها ، فقال لها ابو العباس : انك وصفت لنا فأمسينا . فاخذت يـده فجعلتها على اير زوجها وقد انعظ ، فنثر يده وعلم انه قد كيـــد ، فخرج من عندها وقال :

أتيتك زائراً فوضعت كفي على أير أشد من الحـــديد
علي أليّة[1] ما دمت حيـا امسك طائعـــاً ألا أعود
فخير منك من لا خير فيـه وخـــير من زيارتكم قعود

* وكان بشار الاعمى يرتع ، فبلغ امرأته ذلك ، فعاتبته مراراً فحلف لها . وانها سألت عن المكان الذي يمضي اليه فدلت على امرأة تجمع بين النساء والرجال ، فبذلت لهـا شيئاً وسألتها اذا جاءها بشار ان تبعث اليهـــا . ففعلت ، وقالت : أبشار قـد وقعت اليوم امراة من اجمل النساء ووصفتها له فطرب اليها ، فلما خلا بها وخالطها ضربت بيديها في لحيته وشتمته ، وقالت : اين ايمانك الفاجرة ؟ فقال لها : لعنك الله الا تركتني حتى اقضي حاجتي ، فوالله ما رأيت ابرد منك حلالا ، ولا اطيب منك حراماً !!

* قال اسحق[2] بن ابراهيم : كان مخارق[3] يهوى « البهار » جارية ام جعفر وشغف بها حتى افضى غايته في حبها . فبينا هو منصرف ذات ليلة من دار المأمون في دجلة ، وقـــد عمل الشراب فيه ، وام جعفر جالسة في دارها على دجلة اذ رفع عقيرته يغني شعر عباس[4] بن الاحنف :

إن يمنعوني ممري قرب داركم ، فسوف أنظر من بُعدٍ الى الدار .
ما ضرّ جيرانكم ، والله يكلؤهم ، لولا شقائي إقبـــالي وإدباري .

---

١) قَسَم .
٢) ربما كان اسحق بن ابراهيم الموصلي وقد مر ذكره .
٣) من مشاهير المغنين في أوائل الدولة للعباسية تعلم على ابراهيم الموصلي .
٤) شاعر هارون الرشيد وقد مرّ ذكره .

لا يقدرون على منعي ، وإن جهدوا

إذا مررت ، وتسليمي باجهـــاري .

فسمعت ام جعفر صوته فامرت خدامها فصاحوا بملاحة فقدم وصعد ليها ، فدعت له بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب ، وخلعت عليه وقالت لجواريها : اضربن معه . فكان اول ما تغنى به :

أغيب عنك بود لا يغـــيره نأي المحل ولا صرف من الزمن

فإن أعش فلعل الدهر يجمعنا وإن أمت فبطول الشوق والحزن

قد حسَّن الحبُّ في عينيّ ما صنعت

حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن

قال ، فاندفعت « البهار » تباريه في الصوت وتغني :

تعتل بالشغل عنا لا تكلمنـا والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

فضحكت ام جعفر ، وقالت ، ما رايت ولا سمعت قط باحسن من هذا . ووهبت له الجارية فاخذها وانصرف .

★ قال ابراهيم بن الخطيب : حدثني مخارق قال : كنت عند الرشيد فلما اراد الانصراف قال لي : يا مخـــارق بكر علي . فقلت : نعم يا امير المؤمنين . فلما اصبحت بكرت اريد ما ذكره ، فاذا جارية راكبة وهي احسن الناس عينين في النقاب ، فنظرت اليها ، ونظرت الي ، فلم املك نفسي وتعشقتها وتبعتها حتى دخلت منزل المبدي الهاشمي ، فقلت لغلماني :

اذا كان المغرب فصيروا الي ، فاذا كنت في الدنيا خرجت اليكم ، واذا كنت مت فقد قضيت وطراً . قال : واقتحمت ودخلت الدار ، فإذا جماعة مجتمعون وقد احضروا طعاماً فاكلت معهم ، واحضر الشراب ، وغنت الجارية فاذا هي احذق الناس وأطيبهم ، فغنيت ، فقال المعبدي : ما أحسنه وأبهاه ، فمن هو ؟ فقال له القوم : ما نعرفه . فقال : ما اظرف هذا يدخل منزلي بغير امري ابغوا الي صاحب الشرطة . وكل ذلك بسمعي ، قالت الجارية : يا مولاي لا تفعل ، لعل له عذراً . فبحياتي هب لي جرمه فقد رحمته ، واحسب ان هذه صناعته . قال : فطابت نفسي فلما خرجت قال لي : يا فتى تغني ؟ فقلت : نعم . فغنيت ، فطرب القوم وقال المعبدي : ان كان في الدنيا مخارق فانت هو ! قلت : نعم انا مخارق وحدثته حديثي والسبب في دخول منزله ، فسر وفرح ودعا بدواة وقرطاس واقبل يكتب ويعود اليه الجواب ، ثم وزن مالا ووجه به ، فلما كان بالعشي قال : يا غلام هات تلك العتيدة [1] : فاحضر عتيدة مملوءة طيباً ، وقال : هات ذلك التخت . فاحضره اياه ، فقال : اتدري ما نحن فيه : قلت : لا . قال : قد اشتريت لك الجارية باربعين الف دينار ، وهذه عتيدة فيها طيب ، وتخت ثياب . فاخذت بيدها وانصرفت بها عروسا ، فلما اصبحت بكرت على الرشيد فقال لي : يا ابن الفاعلة اين كنت ؟ فحدثته الحديث فسربه ، وقال : ما توهمت ان في اهلي مثل هذا . وامر من ساعته ان يحمل اليه اربعون الف دينار .

★ وكان ليوسف بن القاسم ، وهو ابو احمد بن يوسف ، وزير المامون ، غلام اسود متأدب نشأ في الاعراب فهوى جارية لرجل قرشي ، فشكاه القرشي لمولاه ، فضربه وحبسه ، وحلف ان لا يطلقه إلا بعد شفاعة من شكاه ، فقيل له : ويحك اتحبك كما تحبها ؟ فقال :

---

١) وعاء تجعل فيه العروس ما تحتاج إليه من طيب ومشط ونحوهما .

كلانا سواء في الهوى غير أنها تجلد أحياناً وما بي من تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وإنما جنوني عليها حين أنهي وأوعد

فبلغ مولاه شعره فقال : وان فيه لهذا الفضل ! فركب من وقته إلى القرشي فقال له : اسألك ان تبيعني هذه الجارية باي ثمن شئت . فقال : ما افعل حتى اعرف السبب في ذلك . فعرفه الخبر وأنشده البيتين ، فقال : اشهدك اني قد وهبت له الجارية ، وانا اعطي الله عهدا ان اخذت لها ثمنا ابدا ، لشفاعتك وادب الغلام . ووجه الجارية معه فدفعها إلى الغلام .

★ قالوا كان المتوكل (١) جالساً يوماً في القصر الذي يقال له المختار إذ مر خادم اسود لفتيحة مبادراً يريد الدخول إلى دار النساء ، فسقط منه كتاب مختوم ، فأمر من جاءه بالكتاب وفتحه فإذا فيه مكتوب :

أكثري المحو في الكتاب ومحّه بريقِ اللسان لا بالبنان
وأمرّي الختام فوق ثنايا ك العذاب المفلجات الحسان
إنني كلما مررت بحرف فيه محو لطعته بلساني
فأراها تقبيلة من بعيد أهديت لي وما برحت مكاني

فقال : يا فتح ما ترى ؟ لقد اجترأ علي من كتب هذا الشعر ! علي بالخادم . فأتي به ، وقد علم الخادم ان الكتاب سقط منه فطار عقله

١) الخليفة العباسي العاشر . كان متقلباً يتبع هواه اضطهد المعتزلة وعامل المسيحيين بالعسف .

خوفاً ورعباً ، فقال له : من دفع هذا الكتاب اليك وانت آمن ؟ فإن صدقت نجوت ، وان لم تصدق ضربت عنقك . قال : يا مولاي ان لمولاتي فتيحة وكيلا يتصرف في امرها من ابناء البرامكة وهو يحب جاريتها نسيم الكاتبة ، وانا اسعى بينهما بالكتب التي يتكاتبان بها . فقال له : امض بلا خوف عليك . ثم قام المتوكل فدخل على فتيحة وقال لها خذي في امر جاريتك نسيم الكاتبة فاني قد زوجتها من فلان وكيلك وأنقدت عنه عشرة آلاف درهم . وامر باحضار الوكيل فقال له : هل لك في نسيم ؟ فذهب عقله ، وطار قلبه ، وخاف خوفاً شديداً ، فقال له : تكلم وانت آمن ، فقد زوجتك بها ، ومهرتها عشرة آلاف درهم وأمرت لك بعشرة آلاف تولم بها . وسأل فتيحة تعجيل زفافها اليه ففعلت .

★ وحكى الهيثم بن عدي ، عن ابن عباس ، قال : كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تحت عبد الملك بن مروان ، وكان يجد بها ويحبها حباً شديداً ، فغضبت عليه ، فطلب رضاها بكل أمر ، فأبت حتى أضرّ به ذلك وشكا إلى خاصته . فقال له عمر بن الأسدي : ما لي إن أرضيتها ؟ قال له : حكمك . قال ، فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكي . فقالت له حاضنتها : ما لك يا أبا حفص ؟ قال : قد جئت إلى بنت عمي في أمر مهم عظيم ، فاستأذني لعلها تقضي حاجتي . فقالت : ما بالك ؟ فقال لها : قد عرفتِ حالي مع أمير المؤمنين عبد الملك ، ولم يكن لي غير ابنين ، فتعدى أحدهما على الآخر فقتله . فقلت : أنا ولي الدم وقد عفوت . فقال أمير المؤمنين : ما أحب أن أعوّد رعيتي هـــذا . وهو قاتله بالغداة فنشدتك الله ألا كلمته فيه ، وسألته في إبقائه لي ، فإنك تجمعين في ذلك إحيــاءه واحياء نفسي . فإنه إن قتله قتلت نفسي . فقالت : ما اكلمه . فقال لها : ما أظنك تكسبين شيئاً أحب من إحياء نفسين ... وبكى بكاء شديداً : فلم يزل بها صواحبها وخدمها وحاشيتها حتى قالت . علي بثيابي . فلبست ، وكان بينها وبينه باب قد ردمته .

فأمرت بفتحه ثم دخلت . فأقبل أحد الغلمان فقـــال : يا أمير المؤمنين هذه عاتكة . قال : ويلك رأيتها ؟ قال : نعم يا أمـير المؤمنين . وإذا هي قد أقبلت وعبـد الملك على سريره . فسلمت ، فسكَتَ ، فقالت : أما والله لولا مكان عمر بن بلال ما فعلت ، ولا أتيتك والله . إن عدا أحد بنيه على الآخر فقتله ، وهو الولي وقد عفا عنه ، لتقتـله ؟ قال : أي والله ، وهو راغم . قالت : أنشدك الله أن لا تفعل . فدنت فأخذت بيده ، فأعرض عنها ، فأخذت أرجله فقبلتها ، فأكبّ عليهـا وضمها إلى نفسه ورفعها إلى سريره ، وقال : قد عفوت عنه . فتراضيا .

وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصة ، فدخل عمر بن بلال ، فقال : يا أبا حفص ألطفت الحيلة في القيادة فلك حكمك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة . قال : هي لك . قال : ومرابض لولدي وأهل بيتي . قال : وذلك كلـــه لك ... وبلغ عاتكة الخبر فقالت : ويلي على القوّاد خدعني .

★ ويروى أن معاوية بن أبي سفيان ، رحمـه الله ، رأى ، كاتباً له يكلم جارية لامرأته ، فاختة بنت قريظة ، في بعض ُطرُق داره ، فقال له : أتحبها ؟ قال : أي والله ، يا أمير المؤمنين . قال : اخطبها من فاختة . فخطبها . وكلّم معاوية فاختة فأجابته ، فزوجها منـه ، فدخل معاوية وبين يديه عتيدة من العطر لعرس جاريتها ، فقـال : هوني عليك يا بنت قريظة ، إني أحسب الاتفاق كان بعد حين .

★ قال عمر بن شبة : كان الأحنف بن قيس يوماً جالساً مع معاوية ، إذ مرت بهما وصيفة فدخلت بيتاً من البيوت ، فقال معاوية : يا أبا بحر ، أنا والله أحب هذه الجارية وقد أمكنتني منها لولا الحيـاء من مكانك . فقال الأحنف : فأنا أقوم . بل تجلس لئلا تستريب بنا فاطمـة . فقال

الأحنف : شأنك . فقام معاوية إليها . فبينا هو يماجنها إذ خرجت بنت قريظة فقالت للأحنف : يا قواد ، أين الفاسق . فأومأ الأحنف إلى البيت الذي هو فيه ، فأخرجته ولحيته في يدها ، فقال لها الأحنف : ارفقي بأسيرك ، رحمك الله . فقالت : يا قواد ، وتتكلم أيضاً ؟ فقال معاوية : يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام .

★ قال ابن شبة : كانت بالمدينة امرأة يقال لها صهباء ، من أحسن الناس : وكانت من هذيل . وكانت رتقاء [1]. فتزوجها ابن عم لها . فمكثت حيناً لا يقدر عليها لشدة ارتقاقها ، فابغضته بغضاً شديداً ، فطلبت منه الطلاق فطلقها . ثم إنه أصاب أهل المدينة مطر شديد ، في الخريف ، وسيل عظيم . فخرج أهل المدينة ، وخرجت صهباء مع أهلها ، وخرج ابن جحش وأصحاب له للنزهة . فلما انتصف النهار وخلا الوادي ، خرجت صهباء واستنقعت في السيل ، وخرج ابن جحش ولم تشعر به صهباء ، فرآها وأحبها وتهالك عليها . وكان بالمدينة دلالة على النساء يقال لها قطبة . وكانت تداخل القرشيين بنسائهم : فلقيها ابن جحش فسألها عن صهباء فقال : اخطبيها علي . قالت : قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، وأنعم له بها أهلها ولا أراهم يتخطون عيسى إليك .. فشتمها ابن جحش وقال . كل مملوك لي حر لوجه الله إن تحتالي فيها حتى أتزوجها ، لأضربنك ضربة بالسيف . — وكان مقداماً جسوراً — . ففزعت منه فدخلت على صهباء وأهلها ، فتحدثت معهم ، ثم ذكرت ابن عمها ، فقالت لعمة صهباء : ما باله فارقها ؟ فأخبرتها خبره فأصغت إلى عمتها فقالت لها ، وأسمعت صهباء : أما والله لو كان ابن جحش لنقبها نقب اللؤلؤة . ثم خرجت من عندهم .

---

١) رتقاء : ملتصق موضع ختانها فلم تُنل .

فأرسلت إليها صهباء ان مري ابن جحش فليخطبني . فلقيت قطبة ابن جحش فأخبرته الخبر . فخطبها ، فأنعمت له ، وأبى أهلها إلا عيسى ابن طلحة . وأتت صهباء إلى ابن جحش فتزوجهـا وأفتضها من ساعته . وفيها يقول :

دار الصهبـاء الذي لا ينتهي عن ذكرها أبداً ولا ينساها
صفراء يطويها الضجيع لطاقة طي الجمانة[1] ليّناً مَثْناهـا
نعم الضجيع إذا النجوم تغوّرت بالقرب اخراها على اولاها .

★ قالوا : كان رجل من تجار أهل المدينة من ذوي النعمة ، في ليلة من شهر رمضان ، في المسجد يصلي إذ عرض له في منزله بعض الأمر . فانصرف من التراويح[2] فأصاب بابه مفتوحاً ، وإذا رجل مع ابنته في محلها يحدثها . فأخذ بيده وذهب به الى منزل ابن أبي عتيـق . فدق عليه ، فأشرف عليه ، فقال : أردت أن أكلمك ، جعلت فداك . قال ، فانحدر إليه فقال له : إن هذا الفتى وجدته في منزلي على حال كذا . فسألته فزعم أنه ابنك . فأقبل ابن عتيق فأخـذ بيد التاجر فشكره وجزاه خيراً ، وقال : لن يعود إلى شيء تكرهه أبداً إن شاء الله . فأخذ الفتى ولكزه وشتمه . فلما ولى الرجـل قال للفتى : من أنت ويلك ؟ قال : أنا ابن فلان التاجر وابتليت بابنة هذا التاجر فدخلت عليها هذه الليلة أتحدث عندها . فما راعني إلا أنه واقف على رأسي . فلم أجد ملجأ إلا

---

١) اللؤلؤة .

٢) واحدها ترويحة « مأخوذة من الراحـة » وهي صلاة شهر رمضان سميت بـه لاستراحة القوم بعد كل أربع ركعات . وهي عشرون ركعة .

أن اعتزيت إليك ، لما علمت من قدرك وشرفك وكرمك . قال : أخبرني عن الجارية ، أتحبك ؟ قال : نعم . قال : فهل يمكنك أن تأتي بها إلى منزلي هذا ؟ قال : نعم . قال : فعدها وأت بها . وأمر غـــلاماً له ، وقال : إذا جاءت المرأة التي يأتيك بها هـــذا الفتى فادخلها ، واجلس أنت مع الفتى ، وارسل إلى من يعلمني . ففعل الفتى ، وأتى بالجارية إلى المكان . وأرسل الى ابن أبي عتيق فعرفه . فأرسل إلى أبي الجـــارية : إنك قد اصطنعت إلى فتـــانا يداً ، وقد أحببنا أن نصنع إليك مثل ذلك في فتاتكم .

فادخله عليها ، فلما رآهــا استرجع ، فقال له ابن ابي عتيق : مـــا هذا ؟ أهون عليك هذا الامر واقبل وصية رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، حين قال: « الحقوا النساء باكفائهن » . ان هذا الفتى ليس والله بولدي ، ولكن هو قد انتسب الي لمـــا ادرك من النجاة منك ، وهو فلان بن فلان التـــاجر ، وهو من نظرائها واكفائها . فهل لك ان تزوجه اياها واصدقها عنه من مالي مائة دينار ؟ قال : نعم .

ولم يبرحوا حتى زوجها منه واصدقها واخرج المهر من عنده، وسأله التعجيل بزفافها اليه .

وحكي عن ابن ابي ورقاء الجبلي قـــال : خرجت من الكوفة اريد بغداد . فلما صرت باول مرحلة نزل غلماننا ففرشوا بسطهم ، وهيئوا غداءهم ، ونزلت . ولم يجيء أحد بعد . فرمانا الطريق برجل حسن الهيئة ، فاره [1] البرذون [2] فصمت بالغلمان . فـــأخذوا دابته . ودعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم .

---

١) نشيط خفيف .

٢) غير العِراب من الخيل . وتعرف باسم الكديش ، وهذه لفظـــة دخيلة تطلق على الخيل التي يؤتى بها من بلاد الأتراك والروم .

وجعلت لا أكرمه بشي إلا قبله . وكنا كذلك ساعة ، اذ جاء غلمانه . ثم تناسبنا فقال الرجل : انا طريح بن اسماعيل الثقفي . فلما ارتحلنا كنا في قافلة لا تدرك طرقها . فقال لي طريح : ما حاجتنا الى زحمة الناس ، وليست بنا اليهم وحشة ولا مخافة . فتأخر بنا بعد القوم . فنزلنا إلى جانب نهر مظلل بالشجر فتغدينا ثم قمنا إلى النهر نستنقع فيه . فلما نزع ثيابه اذ آثار داهية [1] في جنبيه يلج فيها الكف ، فوقع في نفسي منه شيء ، فنظر الي وفطن وتبسّم ، وقال لي : قد رأيتُ عجباً منك لما رأيتَ ما بي وانا أحدثك حديثه اذا سرنا العشية .

فلما ركبنا قلت له : الحديث ؟ قال : نعم ، قدمت من عند الوليد ابن يزيد بالدنيا وما فيها ، وركبت إلى يوسف بن عمر ، مع قرابتي منه ، فملأ يدي . فخرجت من عنده إلى الطائف . فلما اشتد بي الطريق ، وليس يصحبني فيه خلق ، عنّ لي اعرابي على قعود [1] له ، وهو حسن الحديث قد روى الشعر ، وانشدني لنفسه . فقلت له : من اين أقبلت ؟ قال : لا ادري والله . قلت : فالى اين يمت ؟ قال : لا ادري والله . قال ، فقلت : ما قصتك ؟ فقال : انا عاشق بجارية من قومي ، قد أفسدت عيشي وتلفت ، فانا استريح بأن انحدر في الطريق مع منحدريه ، واصعّد مع مصعّديه . قال ، فقلت له : واين هي ؟ قال : غداً تنزل بازائها . واخذ يحدثني بحديثه معها . فلما جئنا الى الموضع قال لي : انزل ذلك المكان فانها عنده منقطعة . فادركتني أريحية الحداثة ، واخذت منه علامة ما بينها ، وقصدت حيث اشار لي . فإذا ببيت جديد على الطريق ، واذا امرأة جميلة حديثة ظريفة . فذكرته لها ووريت رسالته وأمارته . فزفرت زفرة كادت تتفتت اضلاعها ، وقالت : أوَ حيٌّ هو ؟ قلت :

---

١) المصيبة .

٢) البكر من الابل حتى يثني أو التي تستعمل في كل حاجة .

نعم تركته في رحلي وراء هذا الجبل ونحن بايتون ومصطبحون[١] . قالت : فاني ارى لك وجها يدل على الخير ، فهل لـــك في الاجر ؟ فقلت : فقير اليه . قالت : فالبس ثيابي وادخل في اريكتي ودعني حتى آتيه . فانك تحيي نفسين ، وتغنم اجراً عظيماً . قلت : افعل ما تريدين . قالت : انك اذا اصبحت اتاك زوجي في هجعته فقال يا فـــاجرة ، فاوسعك شتماً ، فاوسعـــه صمتاً ولا تجعل انك سمعته فانه يقول في آخر كلامه : اقمعي[٢] سقاك ياعدوة . فضع المقمع في هذا السقاء الآخر فانه منخرق . قال : ومضت . فجاء زوجها ففعل مـــا قالت . وقال اقمعي سقاك فحببني الله ان تركت الصحيح وقمعت الواهي ، فما شعر إلا واللبن يتسيب[٣] بين رجليه . فعدا إلى زاوية البيت فتناول حبلاً ثم ثناه على اثنين فصار على ثمان ، فجعل لا يتقي به رأساً ولا وجهاً ولا جنبـــاً فخشيت ان يبدو له وجهي فالزمته الارض ، فعمل بجنبي وظهري مـــا ترى ، ومضى عني .

فلما كان الصباح جاءت فرأت ما حل بي من الشر فاكبت علي وقال : بابي احييت نفسي بقتل نفسك . ودخلت تعتذر وتتلهف لما بي ، وتدعو لي وتتضرع . فاخذت ثيابي وانصرفت ولا يعدل ظفرهما عندي شيء .

(قد قدمنا في اخبار قيس بن ذَريح كيف كان سبب تطليقه لبنى وندمه عليها) ثم ساءت حاله ، وتلف عقله ، واشتد مرضه ، واشرف على حتفه . فقال اهله : لو زوجتموها إياه ليئس منها ، وسلا عنها . فخطبها رجل من قريش وحكم اباها في المهر . فزوجه اباهـــا ، فحملها معه إلى المدينة . فقال قيس :

---

١) مسرجون : أي متهيئون للرحيل .
٢) أزيلي قمعه ، وهو ما يوضع على فم الإناء فتصب فيه السوائل .
٣) يسيل .

وقالوا تَرَاها فتنةً كنتَ قبلها بخيرٍ ، فلا تَنْدم عليها وطلّقِ
فَلَيْتَ ، وبيتُ اللهِ ، أني عصيتهم فأَنْبَتَ في رِضوانها كل مونق
وكلّفتُ خوض النار سبعين حجة وكنت على أثباج[1] بحر مغرّق
كأني أرى الناس المقيمين بعدها نُقاعةَ ماء الحنظل المتغلف[2]
وتَكره عيني بعدها كل منظر ويكره سمعي بعدها كل منطق .

قال : وخرج أبي عتيق يريد العمرة . فنزل بحي قيس بن ذريح فسألهم عنه ، فقال : دلوني عليه . فدلوه فلما رآه قيس اقبل عليه ورحَّب به وقال : من انت، حياك الله وعافاك ؟ قال ، فانتسب له ابن عتيق وقال له : بيِّن حديثك لي تجدني معيناً لك على امرك ان شاء الله . فاستحى قيس من ذلك وامتنع ساعة ، ثم جعل يحدثه حتى بلغ الى خبر القرشي . فقال : يا هذا ، اني خرجت من منزلي أريد العمرة التماساً للثواب . وقد عزمت ، عندما سمعت ، ان اترك ما خرجت اليه فارجع معك احتساباً للأجر ؛ فبكر فامض معي ايها الرجل ، واكتم شأنك ، ولا يعلم احد من اهلك . فحمله معه وأقبل راجعاً نحو المدينة فاستقبله اهله واخوانه يسألونه عن سبب رجوعه . فجعل يعتذر وهو يقول لهم : عاقني عن ذلك عائق . واخفى قيساً في منزله اياماً ثم سأل عن منزل القرشي فدل عليه . فبعث مولاة له عجوزاً إلى لبنى تخبرها بقيس وبما صار له من عشقها . فقالت : يعز عليّ ، وما حيلتي له . اطاع اباه وفارقني في غير جرم . وقد صرت الآن عند غيره ولا سبيل لي على نفسي . وان كبدي عليه لحرا ، وان عيني لغبرا مـذ

---

١) أثباج : واحدها ثبج ؛ وثبج البحر معظمه .

٢) النقاعة : ما يحصل في الماء الذي ينقع فيه شيء . الحنظل : نبات ثمره كالبطيخ لكنه اصفر وهو مر الطعم .

فارقته وانها لما علمت بمكانه اشتد ولهها حتى انكر زوجها شأنها فسألها عن خبرها وهل رأت شيئاً تنكره. فجعلت لا تجيب جواباً. وجعل يعتذر اليها، فقال لها: ما أراك إلا ذكرت قيساً. فقالت له: هيهات واين انا من قيس، واين قيس مني؟ ألـْهُ عن هذا الحديث.

قال:

وبلغت العجوز ابن ابي عتيق ما سمعت من لبنى فقال لها: عودي اليها فقولي لها: ان كنت على العهد فانك ستصلين إلى مـــا تريدين. قالت: اي والله لا ازال على عهده مقيمة او يفارق روحي جسدي؛ ولا اكافئه بسوء فعل كان منه اليّ.

قال:

واقبل ابن ابي عتيق ومعه جمـاعة من اشراف قريش وغيرهم حتى اتوا منزل القرشي زوج لبنى فاكبر مجيئهم. فقالوا: انا جئناك في حاجة ولا سبيل الى ردنا عنها. قال لهم: قضيت حاجتكم. قال ابن عتيق: كائنة ما كانت؟ قال له: نعم. قال فإن حاجتنا ان تجعل امر لبنى في يدي. قال القرشي: وهل رأيت احداً سأل مثل هذا؟ قال: فهي حاجتنا، وقد جئت اليها. قال: فـإني قد فعلت. قال: فيشهدون عليك ان امرهــا في يدي؟ قال: نعم. قال ابن عتيق: فاشهدوا انها طالق ثلاثاً. قال: قد اجزت:

قال:

فما برحوا حتى نقلها ابن ابي عتيق إلى منزله. فلما انقضت عدتها زوجها من قيس واصدق عنه وجهزها بأحسن جهاز، وحملها معه إلى منزله. فما لبثت عنده إلا يسيراً حتى نهشته الافعى – كما قدمنا في حديثه فمات وماتت بعد.

(هكذا رواه احمد بن ابي طاهر . ولست ادري صحة هذا الحديث ، لأنا كنا قدمنا في حديثه ما يخالف هذا من انه لم يتزوج بها ثانياً) .

★ حكى الهيثم بن عدي ، عن الكلبي قال : كان مُلك النعمان بن المنذر أربعين سنة لم ير منه في ملكه سقطة غير هذه :

وذلك انه ركب يوماً فنظر الى امرأة خارجة من الكنيسة فاعجبه جمالها وحسنها وهيئتها فقال : علي بعدي بن زيد ، وكان كاتبه وخاصته — فقال له : يا عدي ، قد رأيت امرأة لئن لم اظفر بها انه هو الموت . فلا بد في ان تتلطف في الجمع بيني وبينها . قال : ومن هي ؟ قال : قد سألت عنها فقيل لي امرأة حكم بن عوف ، رجل من اشراف اهل الحيرة . قال : فهل اعلمت بذلك احداً ؟ قال : لا فاكتمه ، فاذا اصبحت فجد بكل كرامة لنزيلك ، يريد حكم بن عوف . فلما أذن للناس بدأ به واكرمه واجلسه معه على سريره . فاعجب الناس حاله ، وتحدثوا به . فلما امسى فاذن للناس بدأ به فاكرمه واجلسه معه وكساه وحمله . ففعل به ذلك اياماً . ثم قال له عدي : ايها الملك عندك عشر نسوة فطلق اقلهن عندك منزلة ثم قل له فليتزوجها . ففعل . فلما دخل عليه قال له : يا حكم اني قد طلقت فلانة لك فتزوجها . فقال حكم لعدي : ما صنع الملك بأحد ما صنع بي ولا ادري بما اكافئه ؟ فقال له عدي طلق امرأتك كما طلق امرأته . ففعل . وحظي عدي بها عند الملك : وعلم الرجل انه مكر به في امرأته . وفيها يقول بعض اهل الحيرة :

ما في البرية من انثى تعادلها إلا التي أخذ النعمان من حكم

★ وحدث الزبير : انه كان فتى من عذرة يقال له عمرو بن عود ، وكان عاشقاً لجارية من قومه تسمى ريا بنت الركين . فتزوجها رجل

منهم يقال له دهيم . فابت ريا إلا حب عمرو بن عود ، وابى إلا حبها وقول الشعر فيها ، والوجد بها حتى اتى اليمن فنزل في بني الحارث بن كعب فطلبها عمرو ، فخفي عليه امرها ولم يعلم لها خبرا ولا موضعا . فمكث حينا لما به ، يبكي له من عرفه ، لولهه وشدة ما اصابه . فخرج به اهله الى مكة لعله يتعلق باستار الكعبة عسى ان يرحمه ربه ويذهب ما في قلبه من حبها . فلما كان بمنى نظر اليه فتى من بني الحرث بن كعب فتعجب مما به ، وجلس يتحدث معه ، وسأله عن حاله ، فشكى اليه عمرو وجده بها ، وانشد ما قال فيها ، فرق له الفتى ورحمه . وسأله عن صفتها وصفة زوجها . فوصفها له . فقال له الفتى : عندي خبر هذه المرأة وهذا الرجل منذ سنين قليلة . فخر عمرو ساجدا ثم سأله عن حالها ، فاخبره انها سالمة وانها باكية حزينة لا يهنيها شيء من العيش . قال عمرو : فهل لك في صنيعة عندي ؟ فقال له الفتى : اذن افعل ما بدا لك . قال : تتخلف عن اصحابك ، واتخلف عن اصحابي حتى لا يكون عند احد منهم علم . ثم امضي معك متنكراً حتى تخفيني في موضع ؛ ثم تعلمها بمكاني . فقال الفتى : لك ذلك في عنقي .

فلما كان السفر ، تخلف كل واحد منهما عن اصحابه . فجهد اصحاب عمرو أن لا يتخلف وان يمضوا به فأبى عليهم فودعوه ومضوا . ثم مضيا حتى وصل به الفتى فادخله مع اخته وامرأته في سترهما . ومضى الى ريا فاخبرها . فكانت تجيء اليه كل يوم فيشكوان ما كانا فيه من البلاء ، ويتحدثان . فاستراب زوجها غشيانها ذلك البيت . ولم تكن تغشاه ولا تعرف اهله ، واستراب ايضاً تطبيب نفسها وانها ليست كما كانت . وخرجت رفقة له الى حران فاخبرها انه خارج معها . فخرج واقام ليلتين مختفياً في موضع . واقبل راجعاً في الليلة الثالثة ، وقد امناه وظنا انه قد خرج ، فاتى عمرو الى ريا فبسطت له بساطاً قدام البيت

وتحدثا حتى غلبها النوم ، وهي مضطجعة الى جـانب البساط وعمرو الى الجانب الآخر . واقبل الرجل حتى وجدهمـا على تلك الحال . فنظر في وجه عمرو ، فانتبه فزعاً . فقال له : ويلك يا عمرو ، وما ينجيني منك بر ولا بحر ! فقال : يا ابن عمي ، مـــا انا والله على ريبة ، ولا يسألني الله عن اهلك عن قبيح ؛ ولكن نشأت انا وهي والفتها ونحن صبيان ، ولست استطيع عنها صبرا ، ومـــا بيننا اكثر من هذا الحديث الذي ترى . قال : اما انا فلم اهرب الى هذا البلد إلا منك .

فانصرفا راجعين وهي معها حتى قدمـــا على وطنها ، فأقاما بعده بيسير .

★ حكى سنة بن عقال ، عن الشعبي [١] قال : حدثني رجل من بني اسد ، قـــال : اني لذات يوم في الحي اذ اقبل فتى نظيف الثوب ، حسن الوجـه ، حتى وقف بي ، فقـال : يا فتى ، هل نزل بك حي من بني عذرة ؟ قـال ، قلت : نعم ، وتيك بيوتهم . قـال : وهل احسست لي بكرة صفتها كذا وكذا ؟ قال ، قلت : لا . فنزل ثم قـال : أأنت منشدها لي في ابيات الحي ؟ قـــال فخرجت وانا انشدها حتى مررت بالبيوت وانا انشد . فقالت لي جارية : عند الاكمة . فاشرفت على الأكمة فلم ار شيئاً فاخبرته ، فاخرج سفرة معه ودعاني فاكلنا ، ثم نام . وجعلت أراعيه حتى ظن اني قد نمت . فاخرج من رحله فلبسها ، ثم اشتمل على سيفه وخرج حتى اتى الأكمة وانا اتبعه من حيث لا يراني . فـاذا بهـا قاعدة كأنها مهرة عربية . فسلم عليها وسلمت عليه ثم قال لها : يا بثينة قلت فيك كذا ، ولقيت فيك كذا .

ولم يزل يحدثها وينشدها ، وتحدثه حتى اذا كان في السحر وضع

---

١) هو ابو عامر بن شراحيل علامة الكوفة ، محدث ومستشار . (٦٤٢-٧٢٣)

رأسه في حجرها فنام ساعة . فلم يشعر إلا بالفجر قد برق . فقالت : قم يا جميل ، لا يفضحنا الصبح .

قال : فرجعت مبادراً حتى رميت بنفسي في الرحل . وجاء فايقظني ، ثم عمد الى ثوب من ثيابه فكسانيه ، فلم يزل جميل يغشاني في كل نهار وليل ، فاطير الى الحي وآتيه فآخذ ميعاد بثينة الى موضع يجتمعان فيه ويتحدثان الى ان فطن بعض الحي بامري . فقالت لي بثينة . انج بنفسك ، فان الحي قد شعروا بك ، وقل لجميل موعدك « وسكن البطن [1] » . واتيته فاخبرته ، فمضى وانقطع عني خبره .

★ وروي عن يحيى بن خالد بن برمك قال : كنت اهوى جارتي دنانير ، وهي لمولاتها زهراء ، فلما وضع المهدي الرشيد في حجري اشتريتها ؛ فلم اسر بشيء من الدنيا مثل سروري بها وبملكها ، فما لبثت إلا يسيراً حتى وجه المهدي ابنه الرشيد غازياً الى بلد الروم ، فخرجت معه ، فعظم علي فراقها ، فأقبلت لا اتهنأ بطعام ولا شراب صبابة بها وذكرا لها . فانا ليلة في مضربي ، وقد اصابني برد شديد وثلج كثير ، وانا اتقلب على فراشي اذكر الجارية ، اذ سمعت غناء خفياً وصوت عود بالقرب مني . فانكرت ذلك وجلست على فراشي فاشجاني الصوت من غير ان افهم حتى ابكاني . فقمت ، ولم اوقظ احداً من العسكر ، حتى انتهيت إلى خيمة صغيرة من خيام الجند ، فإذا فيها سراج ، فدنوت منها ، فإذا فتى جالس ، واذا بين يديه ركوة فيها شراب وفي حجره عود يضرب عليه ويتغنى بهذا الصوت :

ألا يا لَقَومي أطلقوا غِلَّ مُرْتَهَنْ ومنُّوا على مستشعر الهمِّ والحَزَن .

---

١) موضع خارج المدينة .

ألم ترها بيضاء، روداً شبابهـــا لطيفة طي البطن كالشادن الأغن[1]

قال: فكلما غنى بيتاً بكى وتناول قدحـــاً فصب فيه من ذلك الشراب، وشرب، ثم يعود الى مثل ذلك.

قال: فأقمت طويلاً ارى ما يفعل وابكي لبكائـــه، ثم سلمت فرد لسلام، واستأذنت فاذن لي فدخلت، فلما رآني اجلني واوسع لي. فقلت: يا فتى خبرني بخبرك، وما انت فيه، ومـــا سبب هذا البكاء؟ قال: انا فتى من الانباء[2]، لي ابنة عم قد نشأنا جميعاً فعلقتها وعلقتني، ثم بلغنا فحجبت عني، فسألت عمي ليزوجنيها فأجاب، فمكثت حيناً احتال لمهرها حتى تهيـأ فاديته، فدخلت بها، فلما أن كان يوم سابعها ضرب علي البعث وخرجت وبي من الشوق اليها ما لا اجده، فحملت معي هذا العود، فإذا اصبت شراباً في بعض هذه القرى اخذت منه شيئاً، ثم افعل ما ترى تذكاراً اليها.

فقلت: فهل تعرفني؟ فانكرني، فما ادري اتعمداً ام حقيقة.

قال فقلت له: انا يحيى بن خالد. فلما قلت له ذلك نهض قائمـا. فقلت: اجلس، فاذا كان غـــداً فالقني، فهذا مضربي بالقرب منك، فاني اصير منك الى ما تحب.

قال: ووافق ذلك رسولاً قد هيأناه الى المدينة، فـــا كان اسرع شيء حتى دنا الصبح وتهيأ الناس للرحيل، فاول من لقيني ذلك الفتى،

---

١) الرود: اللين. طي البطن: الخصر أو الكشح. الشادن الأغن: ولد الظبية المدرك أو المصوت.

٢) قوم من العجم سكنوا اليمن. (ن. ر)

فاثبت وجهه وقلت له : من انت ، وفي قيـــادة من انت ؟ فخبرني ، فمضيت حتى دخلت على الرشيد ومعي المؤتمرات ، فكنت آمرهـــا على سمعة من عنوان يكون له فيها ، فقلت وفتى من الانبـاء فلان بن فلان يطلق سراحه ويعطى عشرة الاف درهم معونة له ويصحب فلاناً الرسول . ففعل ذلك وانصرف إلى اهله .

★ وحكى ابراهيم بن اسحاق الموصلي [1] ، عن ابي السائب المخزومي قال : تعشق العرجي [2] امرأة من قريش فجعلني رسولاً اليها ، فاتيتها برسالة واخذت موعدها لزيارته إلى موضع سماه ، ثم بكرت انا فاتت على أتان ومعها جاريتها ، وجاء على حمار ومعه غـــلام . فتحدثنا ساعة ثم قمت عنهما ، فوثب عليها ، ووثب الغلام على الجارية ، والحمـــار على الاتان ، وقعدت اسمع النخير [3] من كل ناحية .

قال ، فقال لي العرجي : يا ابا السائب ، هذا يوم غـابت عواذله . قال ابو السائب : فما لي حسبة ارجو ثوابها رجائي لذلك اليوم وثوابه .

★ وقال : كان عمر بن ابي ربيعـة يتعشق امرأة يقال لها اسمـاء ، فوعدته ان يزورها ، فتهيأ لذلك يوماً فابطأت عليه ، فنام ، فلم يلبث ان جاءت ومعها جارية ، فضربت الباب فلم يستيقظ ، فانصرفت وحلفت ان لا تأتيه حولا . فقال عمر فيها قصيدته التي اولها :

طَالَ ليـلي وتَعَنَّـاني الطربْ   واعـتراني طولُ همٍّ ونَصَبْ

---

١) المغني المعروف ابن اسحاق من مغني العصر العباسي الاول .
٢) شاعر عربي ينسب الى العَرج قرية قرب في نواحي الطائف وهي أول تهامة .
٣) النخير : مد الصوت والنفس في الخياشم .

أُشهد الرَحمانَ لا يَجْمَعُنا سقفُ بيتٍ رَجَباً حتى رَجَبْ[1]

فَبَعثنا طَبَّةً عالمةً تخلط الجد مراراً باللعب[2]

ترفع الصوت إذا لانت لها وتراخي عند سورات الغضب

فأجابت نا فتى وابتسمت عن منيف اللون صافٍ كالثغب[3]

فلما سمع ابن ابي عتيق هذه الابيات قال له الناس في طلب امامٍ مثل قيادتك هذه مذ قتل علي ، فما يقدرون عليه .

★ قال حماد الراوية[4] : استنشدني الوليد بن يزيد شعراً كثيراً فما استعادني إلا هذه الابيات . وقال لي : يا حماد اطلب لي مثل هذه وارسلها الى سلمى .

★ ويروى عن حماد قال : اتيت مكة فجلست الى جماعة في حلقة فيها عمر بن ابي ربيعة المخزومي ، وإذا هم يتذكرون العذريين وعشقهم وصيانتهم ، قال عمر : احدثكم عن بعض ، وذلك : انه كان لي خليل من بني عذرة ، وكان مشتهراً بحديث النساء فيتشبب بهن وينشد فيهن ، على انه لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يوافي الموسم في كل سنة ، فإذا ابطأ ترجمت له الاخبار وولفت له الاشعار حتى يقدم فيتحدث حديث محزون كثيب . وانه راث — اي ابطأ عني خبره — ذات سنة ، حتى قدم وفد عذرة ، فاتيت القوم وانا انشد عن صاحبي

---

١) رَجَباً : استحياء . رجب : الشهر العربي السابع من الشهور القمرية .

١) الطبة : الحاذقة الماهرة بعملها .

٣) الثغب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه .

٤) أحد رواة الشعر المشهورين عند العرب .

وإذا غلام قد تنفس الصعداء ثم قال : عن ابي المسهر تسل ؟ قلت : نعم عنه سألت . قال : هيهات هيهات اصبح والله ابو المسهر لا ميؤوسـا فيهمل ولا مرجواً فيعلل ؛ اصبح والله كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما حبي لأسماء تاركي   صحيحاً ولا أقضي به فأموتُ

قلت له : ومـا الذي به ؟ قـال لي : هو ميت موله ! قلت : ومن انت يا ابن اخي ؟ قال : انا اخوه . قلت وما يمنعك ان تركب طريق اخيك الذي ركبه ، وتسلك مسلكه . ألا إنك واخاك كالوشي والنجار لا ترفعه ولا يرفعك .

ثم انصرف وانا اقول :

أرائحةٍ حجاج عذرة روحـــةً   ولما يرح في القوم جعد بن مهجع
خليلانِ نَشكو ما نُلاقي من الهوى   متى ما يَقُل أَسْمَع ، وإن قال يسمع
فلا يُبْعِدَنْك الله خـــلاً ، فإنني   سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما كان في العـام الآتي وقفت في الموضع الذي كنا نقف فيه بعرفات ، فاذا شاب قد اقبل وقد تغير لونه ، وساءت هيئته فما عرفته إلا بناقته ، فاقبل حتى أعتنقني وجعل يبكي . قلت : مـا هذا ومـا دهاك ومـا غالك ؟ قـال برّح الغرام وطول السقام . واخذ يشكو الي فقلت : يا ابا مسهر ، انهـا ساعة عظيمة ، فلو دعوت الله كنت تظفر بحاجتك . فجعل يدعو حتى اذا بدت الشمس للغروب وهمّ النـاس ان يفيضوا ، سمعته يهمهم بشيء ، فاصغيت اليه مستمعاً فجعل يقول :

يا ربُ كل غدوة وروحـــة
من مُحْرِمٍ بعد الضحى واللوحـة
أنت حسيب الخطب يوم الدوحة .

قلت : يا اخي ، وما الدوحة ؟ قـال سأخبرك ان شاء الله . فلمـا قضينا حجنا واحللنا قلت له : حدثني بخبرك ! قال : نعم ، أعلمك أني امرؤ ذو مـال كثـير من نعمٍ وشاءٍ ، واني خشيت على مـالي التلف فـأتيت اخوالي فاوسعوا لي عن صدر المجلس فكنت في عز اخوالي ، فخرجت يوماً الى مـالي وهو ببعض مياههم ، وركبت فرسي ، وعلقت معي شرابـاً أهدي الي . فـانطلقت حتى اذا كنت بين الحي ومرعى النَّعَم رفعت لي دوحـة عظيمة فقلت : لو نزلت تحت هـذه الشجرة وتروحت مبرداً ! فنزلت وشددت فرسي بغصن من اغصانها ، ثم جلست وقدمت شرابي ، فـاذا بغبـار قد سطع من ناحية الحي فبدت لي ثلاث شخوص ، واذا فارس يطرد عنزاً واتاناً ، فلما قرب مني اذا عليه درع اصفر وعمـامة خز سوداء ، واذا فروع شعره تنـال كعبه . فقلت في نفسي : غلام حديث السن راكب على فرس اعجلته لذة الصيد ، فـأخذ ثوب امرأته ونسي ثوبه . فمـا لبث ان لحق بالعنز فطعنه ثم عطف على الاتان فقتلها ، ثم قال :

نطعنهم سلكاً ومخلوجة كركّ الأمين على نائل[1] .

فقلت له : إنك قد تعبت واتعبت فرسك ، فلو نزلت . فثنى رحله ،

---

١) السلك : من السلكى وهي الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : الطعنة التي تذهب يمنة ويسرة .

وشد فرسه بغصن من اغصان الشجرة ، ثم اقبل حتى جلس قريباً مني فجعل يحدثني حديثاً كأنه الدر ، ذكرت به قول الشاعر :

وإن حديثاً منك لو تبذلينــــه جنى النحل في ألبان عود مطافل(1)

قال ، فبينما هو كذلك اذ نقر بالسوط على ثنيته ، فرأيت والله خلل السوط بينهما فما ملكت نفسي ان قبضت على السوط وقلت : اخـاف ان تكسرهما فانهما رقيقان . وقال : وهما مع ذلك عذبتان . قـال ، ثم رفع عقيرته وجعل يغني :

إذا قَبَّلَ الانسان ممن يُحِبــــهُ ثنـــاياه لم يأثم وكان له أجرا
فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيلَ يمحو الله عنه بها وزرا

ثم قال لي : ما هذا الذي علقت على سرجك ؟ قلت : شراب اهداه الي بعض اهلي ، فهل لك فيه ؟ قال : وما اكره منه ؟ فاتيت بـــه فوضعته بين يديه . فلما شرب منه نظرت إلى عينيــه كأنهما عينا مهـاة قد اضلت ولداً فاذعرها قانص . فعلم نظري فرفع عقيرته وجعل يغني .

إنَّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَر قتلننـا ثم لم يحيين قتـــلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللب حتى لا حراك به وهُنَّ أضعفُ خلقِ اللهِ إنسانا .

فقلت له : من اين لك هذا الشعر ؟ قال : وقع رجل منـــا باليمامة فانشدنيه .

قال ، ثم قمت لاصلح شيئاً من امر فرسي ، فرجعت وقد حسر العمامة

عن رأسه ، فإذا غلام كأنما وجهـه الشمس حسناً ، فقلت : سبحانك اللهمّ مـا اعظم قدرتك ، واجل صنعك . قال : فكيف ؟ قلت له : ممـا راعني من نورك وبهرني من جمالك . قال : ومـا الذي يروعك من رهن تراب ورزق دواب ثم لا تدري أينْعَمُ بعد ذلك ام لا ؟ قلت : بل يصنع الله بك خيراً ان شاء الله .

ثم اقبل على فرسه ؛ فلما اقبل برقت لي بارقة من الدرع ، فإذا ثدي كأنه حقٌّ ، فقلت : نشدتك الله امرأة ؟ قالت : أي والله امرأة تكره العهر وتحب الغزل . فقلت : وانا والله كذلك . فجلست والله تحدثني ما أفقدُ من أُنسِها شيئاً حتى مالت على الدوحة سكرى ، فاستحسنت ، والله يا ابن ابي ربيعة ، الغدر ، وزين في عيني ، ثم ان الله عصمني . فما لَبثتْ أن انتبهت مرعوبـة ، فلاثت عمامتها برأسها واخذت رمحهـا وجالت في متن فرسها ، فقلت : زوديني منك زاداً . فاعطتني ثوباً من ثيابهـا ، فشممت منه كالروض المطور . ثم اني قلت : اين الموعد ؟ فقالت : إن لي اخوة شوساً واباً غيوراً ؛ والله لأن أسرَّك أحبُّ اليّ من ان أضرك .

قال ، ثم مضت فكان والله آخر العهد بها إلى يومي هذا . فهي التي بلغت بي هذا المبلغ ، واحلتني هذا المحل . قلت له : والله يا ابا المسهر ، والله ما كان يحسن الغدر إلا بك . فإذا به قد اخضلت لحيته بدموعه باكياً . فقلت : والله ما قلت هذا إلا مازحاً . ودخلتني له رقـة . فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد وحملت غلاماً لي على بعير وحملت عليه قبه أدم (١) حمراء كانت لابي ربيعة ، واخذت معي الف دينـار ومطرفاً (٢) ثم خرجنا حتى اتينا كلباً فسألناه عن الشيخ فـإذا هو في

١) الجلد .

٢) رداء من الخز فيه أعلام .

نادي قومه ، فسلمت فقال : وعليك السلام ، من انت ؟ قلت : عمر بن ابي ربيعة المخزومي . قال : المعرف غير المنكر ، فما الذي جاء بك ؟ قلت : خاطباً . قال : انت الكفء الذي لا يرغب عن حسبه ، والرجل الذي لا يُردّ عن حاجته . قالت له : اني لم آتك عن نفسي ، وان كنت موضع الرغبة ، ولكن اتيتكم في ابن اخيكم العذري . وقال : والله انه لكفء الحسب ، غير ان بناتي لا يقعن إلا في هذا الحي من قريش . فعرف الجزع في نفسي وتبين له في وجهي ، وقال : انا اصنع لك شيئاً لا اصنعه لغيرك . قلت : ما هو ؟ قال : اخبرها لانك انت تختار لغيرك . نأومأ اليّ صاحبي ان امره أن يخبرها . فقلت : افعل . ثم مضى الشيخ. وقد اتى وقال لي انها قالت : ان الامر امرك والرأي للقرشي يختار لي ما رأى . فحمدت الله عز وجل وصليت على نبيه ، صلى الله عليه وسلم وقلت : قد زوجت الجارية بجمد بن مهجع ، واصدقتها الف دينار ، وهي هذه ، وجعلت كرامتها الغلام والبعير والقبـة وكسوت الشيخ المطرف فقبله ، وسألته ان يبني بهـا من ليلته ، فاجابني إلى ذلك . وضربت القبـة في وسط الحي واهديت اليه ليلاً . وبت عند الشيخ خير مبيت.

فلما اصبحت غدوت فقمت بباب القبة ، فخرج الي ، فقلت له : كيف كنت بعدي ؟ وكيف هي ؟ فقال : ابدت لي كثيراً ممـا اخفت يوم رأيتها . فقلت : عليك اهلك ، بارك الله لك فيهم . وانطلقت إلى اهلي وانا اقول :

كَفَيْتُ أخي العذريَّ ما قد أصابه ... ومثلي لأثقَـالِ النوائبِ أحمل
أما استحسنت مني المكارم انها ... إذا عرضت إني أقول وأفعل .

★ وحكى المدايني : ان رجـلاً من بني عقيل كان يسمى صخراً ، وكانت له ابنة عم تدعى ليلى ، فكان بينهما حب مبرح ولم يكن احدهما

يصبر عن الآخر ساعة واحدة، وكان لهما مكان يجتمعان فيه للحديث في كل ليلة. ثم ان ابا صخر زوج صخراً لأمرأة من الازد، وصخر لذلك كاره؛ فلما بلغ ايلى الخبر قطعته، فمرض مرضاً شديداً. فكان اهله يقولون سحرته ليلى، لما كانوا يرونه يصنع بنفسه. وكانت ليلى اشد وجداً به وحباً له. فارسلت جاريتها اليه وقالت لها: اذهبي إلى مكاننا وانظري هل تري صخراً، فاذا رأيته فقولي له:

تعساً لمن بغير ذنب يَصْرُمُ   قد كنتَ، يا صخر، زماناً تَزْعُمُ
إنك مشغوف بنا مقيم   حتى بدا منك لنا المجمجم[1]

قال: فأتته الجارية فابلغته قولها، ووجدته كالشن البالي وجداً وحزنا، فقال: قولي لها:

فهمتُ الذي عَيَّرتِ، والله شاهدٌ   لَمَا كان عن رأيي ولا كان عن امري
فإن كنتُ قد سُمِّيتُ صَخراً فإنني   لأضعف عن حمل القليل من الهجر
ولست، وربُّ البيت، أبغي سِواكم
حبيباً ولو عشنا الى ملتقى الحشر.

فقالت له الجارية: يا صخر، ان كنت كارهاً لتزويج ابيك لك فاجعل امر إمرأتك بيدي لتعلم ليلى انك لغيرها قالٍ ولعهدها راعٍ، وانك مكرها. قال: قد فعلت. قالت: فهي طالق منك ثلاثاً. واخبرت ليلى، فاظهرت من ذلك جزعاً وتراجعا إلى ما كانا عليه من

---

١) المجمجم: المخفي.

اللقاء ، والجارية تختلف بينهما . ولم يُظهر صخر طلاق امرأته حتى قال له ابوه : يا صخر ألا تبتني باهلك ؟ قال : وكيف وقد بانت مني في يمين حلفت بها . فاعلم ابوه اهل المرأة فقالت المرأة تهجو ليلى :

ألا بَلِّغا عني عقيلاً رسالةً ، فما لعقيل من حَياءٍ ولا فضل :
نساؤكم شر النساء ، وأنتم كذلك،إن الفرع يجري على الأصل.
أما فيكم حُرٌّ يَغَارُ باختِه ؟ وما خير حر لا يغار على الأهل !

قال ، وهجتها ليلى حتى شاع خبرها ، وسعت الجارية إلى اهل صخر واهل ليلى وما هما عليه ، وانها يخاف عليها من لؤم الفعل . ولم تزل حتى جمعت بينها وتزوجها .

★ وحكى الاصمعي قال : خرج المهدي حاجاً ، حتى اذا كنا ببعض الطريق ، اذا اعرابي يقول : يا امير المؤمنين ، جعلني الله فداك ، انا عاشق . — وكان المهدي يحب ذكر العشاق وحديثهم — موكل به بعض الغلمان . فلما نزل امر باحضاره ، قال : انت المنادي ؟ قال : نعم ، يا امير المؤمنين . قال له : ما اسمك ؟ قال : ابو ميّاس . قال امير المؤمنين : مَن عشيقتك ؟ قال له : ابنة عمي ، وقد ابى علي ابوها ان يزوجنيها . قال : لعله اكثر منك مالا ؟ قال : انا اكثر منه مالا ! قال له : فما قصتك ؟ قال له : ادن رأسك مني . فجعل المهدي يضحك ، واصغى اليه برأسه . قال له : اني هجين . قال له : ليس يضرك ذلك اخو امير المؤمنين واكثر اولاده هجناء ! ثم قال له واين عمك ؟ قال له : على ثلاثة اميال .

قال : فارسل امير المؤمنين في طلبه فجيىء به فقال له : ما لك لا

تزوج ابا مياس ، فاني ارى عليه نعمة ؟ قال : متاع سوء ، وليس مثلي يزوج مثله . قال : فان الذي كرهت ليس مما يعاب به عندنا ، وانا معط صداق ابنتك عشرة آلاف درهم ، ومعوضك مما ذكرت عشرة آلاف درهم ! قال : فذلك لك ! قال فخرج ابو مياس وهو يقول :

واتبعت ظبية بالغلاء وإنما يعطي الغلاء لمثلها أمثالي
وتركت أسواق القباح لأهلها إن القباح وإن رخصن غوالي .

★ قال سعيد الصغير : كان المنتصر بالله [1] في ايام إمارته وجهني الى مصر في بعض امور السلطان ، فاعترضت عند بعض النخاسين جارية تامة المحاسن حاذقة بالغناء . فابى مولاها ان يأخذ مني إلا الف دينار . ولم تكن تحضرني ، ولا وجدت ان اقرضها ، وازعجني الشخوص ، وقد علقها قلبي ، واخذني المقيم المقعد من حبها . فلما قدمت الى المنتصر وعرفته ما بعثني فيه ؟ سألني عن حالي وخبري . فاخبرته بمكان الجارية وكلفي بها ، وقصتي مع مولاها . فاعرض عني وصار ما بي يزداد . ولم املك صبراً . وجعل المنتصر ، كلما دخلت وخرجت من عنده ، يذكرها ويهيج اشواقي اليها ، ويعيرني بقلة الصبر عنها . وكان قد امر ابن الخصيب ان يكتب الى مصر في شراها وحملها اليه من حيث لا اعلم ولا ادري .

فلما سارت اليه ، وعَرَضتْ عليه امرَها ، فغنت وعذرني ، فامر قيمة جواريه فاصلحت من شأنها . فلما ذهب عنها ألم السفر استجلسني يوماً وهو على فراشه . فلما غنى جواريه كانت آخرهن . فلما سمعتها

---

[1]) الخليفة العباسي الحادي عشر مات مسموماً بعد مبايعته بستة أشهر .

عرفتها وكرهت ان اعلمه حتى ظهر علي ما كتمت ، وغلب علي الصبر، فقال لي : ما لك يا سعيد ؟ قلت : خيراً ايها الامير !

قال ، فاقترح عليها صوتاً كنت اعلمته اني سمعته منها فاستحسنه من غنائها ، فغنته ، فقال : هل تعرف هذا الصوت ؟ قلت : إي والله ايها الامير ، فما تكون المعرفة وقد كنت اطمع في صاحبته ! فاما الآن فقد يئست منها وكنت كقاتل نفسه بيده ، وجالب حتفه الى حياته. قال : والله يا سعيد ما اشتريتها إلا لك ، وما يعلم الله اني رأيت لها وجهاً الا الساعة التي ادخلت علي ، وانا تركتها حتى استراحت من تعب السير ، وهي لك .. فأكببت على رجليه ، ودعوت له بما امكنني من الدعاء ؛ وشكره عني من حضر من الجلساء ، وامر بها فحملت الى منزلي . فما احد احظى عندي منها ، ولا لي ولد احب من ولدها .

من احاديث المؤلفين

من احاديث المؤلفين :

★ ما حكاه ابو الحسن المدائني ، قال : كان بمكة سفيه يجمع بين النساء والرجال على اقبح الريب ؛ وكان من قريش ، ولم يذكر اسمه ، قال : فشكا اهل مكة ذلك الى الوالي فنفاه الى عرفات . فأخذ بها منزلاً ، ودخل مكة مستتراً . فلقي حرفاءه من الرجال والنساء فقال لهم : وماذا يمنعكم مني ؟ قالوا له : واين بك وانت بعرفات ! قال لهم : حمار بدرهمين وقد صرتم الى الأمن والنزهة والخلوة واللذة . . قالوا : نشهد بأنك صادق . فكانوا يأتونه ، فكثر ذلك حتى افسد على اهل مكة احداثهم وسفهاءهم ، فعادوا بالشكاية على اميرهم ، فارسل وراءه ، فاتي

به فقـال : اي عدو الله ، طردتك من حرم الله عز وجل فصرت الى المشعر الاعظم تفسد وتجمع بين الخبـائث ! ! فقـال : اصلح الله الامير يكذبون علي ويحسدونني . فقالوا للوالي : بيننا وبينه واحدة تجمع حمير المكارين وترسلها نحو عرفات ، فـان قصدت داره لما اعتادت من السير اليها ، فالقول كما قلنا ، وإلا فالقول كما قال ... فقال الوالي : ان في ذلك دليلاً . وامر بجمير المكارين فجمعت ثم ارسلت فقصدت نحو منزله ، وجاءه بذلك امناؤه . فـامر بتجريده . فلما نظر الى السياط بكى ، فقال له : ما يبكيك يا عدو الله ؟ قال : والله ، اصلح الله الامير ، ما من الضرب جزعت ، ولكن يسخر منا اهل العراق ويقولون إن اهل مكة يجيزون شهادة الحمير . فضحك الوالي وامر بتخليته .

★ قال المدايني : كان مزيد يسبق الحجاج في كل عـام الى الحج ، وكان يأتي إلى المدينة في ثلاثة أيام على راحلتـه . فتأخر مرة عن وقته الذي كان يجيء فيه لعلة أصابته ، وكان لامرأته صديق صوّاف . فلمـا تأخر ظن الصواف أنه قد مات فأقام عندها ولم يبرح ، وجـــاء مزيد فدخل على الوالي فأخبره ودنا إلى منزله . فلما رأى أنه قرب من الباب تطلع من كوة وإذا الصواف مع امرأته في البيت ، فـلم يستفتح ، فمضى إلى المخنثين فدعاهم ، فأتوا معه ، فوقفوا على بابه ، وأمرهم فضربوا طبولهم وزمروا ، فاجتمع الناس من كل ناحيـــة ، فأقبلوا يقولون له : يا أبا اسحق ، أ شيء حدث ؟ فيقول لهم : تزوجت امرأتي . فقـالوا له : ما بك : وما هذه القصة ؟ فلم يخبرهم بشيء . فوقف الصواف خلف الباب وقال : يا أبا اسحاق أدن أكلمك . فدنا منه فقال : إتق الله في الفضيحة ، وأنا أفتدي منك . فقال له : أردد علي مهرها ونفقتي عليها فقد أفسدتها. قال : وكم ذلك ؟ قال : خمسون دينارا . فكتب رقعة إلى غلامـــه في السوق فبعث بها من قبض المال وجاء به . فقال : أي بني تفرقوا . إنما

كنت أمزح . فقنّع رأس الصواف وأنزله ، وقعد مع امرأته وسكت .

★ قال أبو عثمان الجاحظ : كان عندنا بالبصرة مخنث يجمع بين الرجال والنساء في منزله . وكان بعض المهالبة يتعشق غلاماً . فلم يزل المخنث يتلطف له حتى أوقعه . قال : فلقيته من غد ، وقد بلغني الخبر ، فقلت له : كيف كانت وقعة الجعرانة ، فقد بلغني خبرها ؟ قال : لما تدانى الأقوام وقع الالتزام ، ورق الكلام ، والتفّت الساق بالساق ، ولطخ باطنها بالبصاق ، وجعلت الرماح تمور ، وقرع البيض بالذكور ، وشفيت حرارات الصدور ، ومال كل واحد فأصيبت مقاتل كل هجر ، وانعقد الوصل واتصل الحبل . فلو كان أعد هذا الكلام لمسألتي قبل ذلك بدهر كان قد أجاد ومَلُح .

★ وحكى محمد بن سلام ، عن يونس ، قال : حج سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة بألف دينار ، وكان اسمها العالية ، فلما رحل بها قال الحرث بن خالد المخزومي :

ظَعَن الأميرُ بأحسن الخَلْق وغدا بليلٍ مطلعُ الشرق
وبَدَت لنا من تحت ِكلّتها كالشمس أو كغمامة البرق

قال : وبلغ خبرها يزيد بن عبد الملك فقال : لقد هممت أن أحجر على سليمان . فبلغ سليمان ذلك فاتقاه وردها على مولاها ، فاشتراها رجل من أهل مصر من مولاها بأربعة آلاف دينار ورحل بها إلى مصر ، وكانت في نفس سليمان إلى أن ولي الخلافة . فقالت له يوماً سعدى بنت عبد الله بن عمر بن عثمان زوجته : يا أمير المؤمنين ، هل بقي في نفسك شيء تتمناه ؟ قال : نعم ، حبابة . فأرسلت سعدى رجلاً إلى مصر فاشتراها بخمسة آلاف دينار وسار بها إلى سعدى ، فاستأذنت سليمان أن تتنزه في

بستانه بالغوطة ، وأن يزورها إذا استزارته . فأذن لها ، فصيّغت حبابة وهيأتها وأعلمتها بمكانها من قلب سليمان ، وضربت له قبة وشي وفرشتها . ثم أرسلت إلى سليمان تستزيره ، فزارها . وقد أجلست حبابة وراء سرير وقالت له : يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه ؟ قال : نعم ، حبابة . قالت : يا أمير المؤمنين إني قد أخذت لك جارية ذكرت أنها قد أخذت عن حبابة ، فهل لك أن تسمعها ؟ فقال : إن شئت . قالت : غني يا جارية . فغنت سليمان صوتاً كان سليمان قد سمعه منها بالمدينة .

قال ، فلما سمعه قال : حبابة ورب الكعبة . فقالت : هي حبابة ، ولك اشتريتها ، فشأنك بها . فقامت وانصرفت وخلتها ، فكان سليمان لا يزال يشكر سعدى على ذلك .

★ وذكر أبو عبيدة [١] معمر بن المثنى : أن علياً عليه السلام ولى زياداً فارساً حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب بعضهم ببعض حتى غلب عليها ، وما زال يتنقل في كورها حتى أصلح أمر فارس . ثم ولاه على اصطخر [٢] ، وكان معاوية يتهدده ، ثم أخذ بشر بن أرطاة [٣] ابنته وكتب إليه يقسم عليه ليقتلها إن لم يدخل في طاعة معاوية . وتوفي علي عليه السلام ، فكتب معاوية يدعوه إلى طاعته وأن يقره على عمله ويستخلفه إذا كان أبو مريم السلولي شهد عنده أنه جمع بين أبي سفيان وسمية في الجاهلية على الزنا . وكانت سمية من الزانيات بالطائف تؤدي الضريبة إلى الحرث بن كلدة [٤] . وكانت تنزل بموضع ينزل فيه البغايا

---

١) كان شعوبياً ذميم الأخلاق . ولد في البصرة من أصل يهودي . روى الكثير من أخبار العرب ،
٢) مدينة في ايران .
٣) أحد ولاة معاوية .
٤) عاش في الجاهلية ومن أطبائها .

بالطائف . فقال له : كره ترك المشورة من العي . فشاور زياد المغيرة بن شعبة قال : إرم الغرض الأقصى ودع عنك الفضول ، فإن هـذا الأمر لا يمد أحـد إليه يداً إلا الحسن بن علي . وقد بايع لمعـاوية ، فخذ لنفسك ، وانقل أصلك إلى أصله ، وصل حبلك بحبله ، وأعِر الناس منك أذناً صمّاء ، وعيناً عمياء . فقال له زياد : يا ابن شعبة ، لقد قلت قولاً لا يكون غرسه في غير منبته ، لا أصل يغذيه ولا ماء يسقيه . وعزم على ذلك ، وقبل رأي المغيرة ، وقدم على معاوية . فأرسلت إليـه جويرية ، عن أمر معاوية ، فأتاها ودنت له وكشفت شعرها بين يـديه وقالت : أنت أخي ، أخبرني بذلك أبي .

ثم أخرجه معاوية إلى المسجد وجمع الناس ، فقـام أبو مريم السلولي فقال : أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف ، وأنا خمار في الجاهلية ، فقال : ابغني بغياً فأتيته فقلت له : لم أجد إلا سمية جارية الحرث بن كلدة ! فقال : إئتني بها على ذفرها ⁽¹⁾ وقذرها . فقال زياد مهلاً ، إنما بعثت شاهداً ولم تبعث شاتماً . فقال أبو مريم : لو كنتم أبغضتموني كان أحب إلي ، فما شهدت إلا بما عاينت ورأيت ، فوالله لقد أخـذ بكمّ درعها وأغلق الباب عليها ، وقعدت ، فـلم ألبث أن خرج علي يمسح جبينه ، فقلت : مَه يا أبا سفيان ؟ فقال : ما أصبت مثلها يا أبا مريم ، لولا استرخاء من ثديها وذفر مرفقيها . فقال زياد : أيها الناس ، هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ، ولست أدري حتى ذلك من باطله ، ومعاوية والشهود أعلم بما قالوا . فقام يونس بن الثقفي فقال : يا معاوية ، قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالولد للفراش ؛ وشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان . فقال معاوية : والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة يطيب وقوعها ، هل إلا الى الله أقع ، قال : نعم ، فاستغفر الله . فقال ابن مفزع ، ويقال

---

١) نتنها ورائحتها . (ن . ر)

أنها لعبد الرحمن بن أم الحكم ونحلها ابن مفرغ :

ألا أبْلِغْ معاويةَ بن صَخْرٍ مُغَلْغَلَةً على الرَّجُل اليَماني
أتَغْضَبُ أن يُقال: أبوكَ عفٌّ وتَرْضَى أن يُقال: أبوكَ زانِ
فاشهد أنَّ آلكَ من زيادٍ كآل الفيل من وُلْدِ الأتانِ

★ وروى الهيثم بن عدي، أن الحسن بن علي تزوج حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان المنذر بن الزبير يهواها، فبلغ الحسن عنها شيئاً أنكره فطلقها، فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه، وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجته، فرمى إليه المنذر بن الزبير عنها شيئاً فطلقها، وخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه فدس لها امرأة من قريش، فأتتها فتحدثت معها ثم ذكرت لها المنذر، وأعلمتها أنه قد شهر بحبها، فقالت: قد خطبني فآليت أن لا أتزوجه. قالت: ولم ذلك؟ فوالله إنه لفتى قريش وشريفها وابن شريفها. قالت: شهرني وفضحني! قالت لها: والآن ينبغي أن تتزوجيه ليعلم الناس أن كلامه كان باطلاً. فوقع في نفسها كلامها، وجاءت المرأة إلى المنذر فقالت: اخطبها فقد أصلحت لك قلبها. فخطبها فتزوجته، فعلم الناس أنه كان يكذب عليها.

وكان في نفس الحسن منها شيء، وكان إنما طلقها لما أبلغه عنها الزبير. فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق؟ قال: نعم. فعدل الحسن إلى منزل حفصة فدخل عليها، فتحدثا طويلاً، ثم خرج، ثم قال لابن أبي عتيق يوماً آخر: هل لك في العقيق يا ابن أبي عتيق؟ فقال له: ألا تقول هل لك في حفصة فتصير إليها على علم، وأسعى لك منها فيما تحب؟! فقال الحسن: استغفر الله.

★ ويُروى أن عبد الله بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، تزوج عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل فعشقها وأحبها حباً شديداً حتى منعته عن حضور الصلوات في جماعة . فأمره أبو بكر ، رضي الله عنه . بطلاقها ، ففارقها ، فوجد عليها وجداً عظيماً ، فأمره أن يراجعها ، فراجعها وكانت عنده حتى توفي عنها . وكان قد أخذ عليها يميناً أن لا تتزوج بعده ، فجاءها عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فأفتاها أن تنكح ، فقالت : لست أقبل في هذا كلامك وحدك . – لأنه قد بلغها أنه يريد أن يتزوجها – فجاءت بعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فأفتاها بذلك ، فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتزوجته ، فبعث إليها بعشرين ديناراً كفـّرت بها عن يمينها ، ثم توفي عنها فخطبها طلحة ابن عبيد الله ، فلقي الزبير بن العوام هناد بن الأسود ، وكان لهناد امرأة كانت صديقة لعاتكة فقال له الزبير : ما أنا عنك براض حتى تزوجني عاتكة بنت زيد . قال ، فحلف هناد لامرأته إن هي لم تزوج الزبير لعاتكة ليجلدنها مائة جلدة . فانطلقت امرأة هناد لعاتكة ، وكانت عندها حتى آتاها رسول طلحة بن عبيد الله فقالت له : فديتك ومن يردّ طلحة لقدمه وشرفه وسخائه ؟ ولكن ردي رسوله اليوم فإنه سيزيدك ضعفاً ما أراد أن يعطيك . فردته ، فقالت امرأة هناد لهناد : إلقَ طلحة فقل له : أما تستحي أن عاتكة ردتك وحلفت أن لا تتزوجك ؟ ففعل ذلك ، فقال طلحة : لا أتزوجها أبداً . فأمرت الزبير أن يرسل إليها ، فجاءها رسوله وهي عندها فقالت لها امرأة هناد : قد بلغك ما في حق الزبير من الشدّة ؛ أما والله لو تزوجته ثم غلبت عليه ليكونن لك بذلك الشرف في نساء قريش .

ثم لم تزل بها حتى تزوجت الزبير . وسنذكر بقية خبرها بعد هذا إن شاء الله .

★ قال اسحق بن ابراهيم الموصلي : كان ابن زهير المدايني مخنثاً ، وكان يؤلف بين الرجال والنساء ، وكانت له قبة خضراء وكان فتيان قريش يقولون من يدخل قبة ابن زهير لم يصنع في الفتوة شيئاً .

قال : فواعد رجل صديقة له إلى قبة ابن زهير فجاءت بعد العتمة ، وجاء الرجل ، فتعشيا ، فقالت المرأة : أشتهي نبيذاً . فقال صاحبها لابن زهير : اطلب لنا نبيذاً . قال : من أين لنا النبيذ في هذه الساعة ؟! قال : لا بدّ منه . فلما ألح عليه عمد إلى حضض فضربه بماء وصيره في قنينة ثم جاءه به فقال : والله ما وجدنا غير هذا فصب الرجل منه في قدح فذاقه فوجده مراً فكره أن يعيبه فيكرهه إليها فشرب ثم صب فسقاها . فلما صار في بطنه تحركَ . فقال لابن زهير : أين المخرج ، فصعد إلى أن حركها بطنها فصعدت إلى أن تحرك بطنه فصعد ، فلم يزالا كذلك ليلتهما . فقال ابن زهير : امرأته طالق إن كان التقيا إلا على الدرجة حتى أصبحا مما يختلفان ، وجاء الصبح ولم يقضيا حاجة لأنهما يطلبان النبيذ في منزل ابن زهير القواد بعد العتمة .

★ وكان جميل أيضاً لما اشتهر في بثينة توعده أهلها ، فكان يأتيها سراً فجمعوا له جميعاً يرصدونه ، فقالت بثينة : يا جميل ، احذر القوم . فاستخفى وقال في ذلك :

ولو أنّ ألفاً دون بثنة كلّهم ... غيارى وكلٌّ حارِب مُزْمِعٌ قَتْلي ؟
لحاوَلتها ، إما نهاراً مجاهراً ، ... وإما سَرَى ليلٍ وإن قطَّعوا رجلي .

فالتقى جميل وكُثَيّر فشكا كل واحد منهما إلى صاحبه أنه محصور لا يقدر أن يزور . فقال جميل لكثير : أنا رسولك إلى عزّة . قال : فَأْتِهِم فَأَنْشِدْهُم ثلاثَ نوق سود مررن بالقاع ، ثم احفظ ما يُقال.

لك . قال فأتاهم جميل ينشدهم فقالت له جاريتها : لقد رأينا ثلاثاً سوداً مررن ، عهدي بهن تحت الطلحة[1] فانصرف حتى أتى كثير فأخبره . فأقاما ، فلما نَصَفَ الليل أتيا الطلحة فإذا عزة وصاحبة لها . فتحدثا طويلاً ، وجعل كثير يرى عزة تنظر إلى جميل . وكان جميل جميلاً وكان كثير دميماً فغضب كثير وغار ، وقال لجميل : انطلق بنا قبل أن نصبح . فانطلقا : ثم قال كثير لجميل : متى عهدك ببثينة ؟ قال في أول الصيف ، وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم[2] فخرجت معها جارية ترخص[3] ثياباً .

قال ، فخرج كثير حتى أناخ بآل بثينة فقالوا : يا كثير حدثنا كيف قلت لزوج عزة حين أمرها بسبك قال كثير : خرجنا نرمي الجمار فوجدني قد اجتمع الناس بي فطالعني زوجها ، فسمع مني انشاداً ، فقال لعزة : اشتميه . فقالت : ما أراك إلا تريد أن تفضحني ! فألح وحلف عليها ، فقالت مكرهة : المنشد يعِضُ بظر أُمِّه : فقلت :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت .

فقالت بثينة : أحسنت يا كثير . وقلت أبياتاً لعزة أعاتبها فيهن وأنشدتها :

فقلتُ لها يا عزُّ أرسل صاحبي على بُعْد دار والموكلُ مُرْسَلُ
بأن تجعلي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفْعَلُ

---

١) شجر الطلح وهو نوع من شجر العضاه . أو الطلع .
٢) لعله الدام وهو موضع وقد قال جرير : يا حبذا الخرج بين الدام والأدمى .
٣) تليِّن وتُنعِّم .

وآخرُ عهدٍ منك يوم لقيتكم   بأسفل وادي الدوم والثوب يُغْسَلُ.

فقالت بثينة : يا جارية ، أبغنـا حطباً من الدومات لنذبح لكثير غريضاً [1] من البهم : فراح إلى جميل فأخبره .

ثم إن بثينة قالت لبنات خالتهـا ، وكانت اطمأنت إليهن وتطلعهن على حديثها : أخرجن بنا إلى الدومات فإن جميلاً مع كثير ، وقد وعدته. فخرج جميل وكثير حتى أتيا الدومات ، وجاءت بثينة وصواحبها . فما برحن حتى بَرَق الصبح . وكان كثير يقول : ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك المجلس ، ولا فهماً أحسن من فهم أحدهما من صاحبه ، ما أدري أيهما كان أفهم !

★ قال أبو عثمان الجاحظ : إذا ابتلى الرجل بمحبة امرأة لنظرة نظر إليها ، ولمحة منها ، لم يكن يزوّج مثله مثلها وكانت ممتنعة ، فالحيلة في ذلك أن يرسل إليها امرأة قـد كملت فيها سبع خصال منهن : أن تكون كتومة السر ؛ وأن تكون خدّاعة لها معرفة بالمكر ؛ وأن تكون فطنة متيقظـة ؛ وأن تكون ذات حرص ؛ وأن تكون ذات حظ من مال ولا تحتاج إلى الناس ولا ينكر الناس اختلافها ودخولها عليها ، بأن تكون إما بياعـة طيب ، أو قابلة ، أو صانعة لآلة العرائس ، وتقدم إليها أرق وألطف ما تقدر عليه ، ولا تدع شيئاً من الشكوى واللطف، وتخبرهـا أن نفسه في يدها ، وأنها متمثلة بين عينيـــه ، وأنه لا ينسى ذكرها ، وانه يراها في المنـام كل ليلة تضربه وتخاصمه ، انه إن لم ير منها نظرة أو خلوة هلك ، وإنه لم يمنعه من خطبتها إلا خشية الامتناع من أهلها إن كان دونهم في الحسب والجـاه والمال ، وخوف التمنع منها

---

١) اللين الطري اللحم . (ن . ر)

هي أيضاً . فإنها إذا سمعت هـــذا وأمثاله مرة أو مرتين لم تدع أن تمكنه بمال ان قدرت عليه وأذنت له في خطبتها من أوليائها ، فإذا شاوروها في ذلك . رضيت ، وقد تمكن قوله من قلبها ، توصل منها إلى ما أراد بحلال التزويج دون حيلة من حيل الحرام .

★ وقال هارون بن المنذر : رأيت عُطيطا المفتي يضرب جواريه على أنه ليس لهن من يعشقهن . فقلت له : ويحك ، أما تتقي الله ؟ أي ذنب لهن في هـــذا ؟ ما أهون عليك ! قال : إذا أردتُ أن اشتري كسوتهن أين ؟ قلت: تكسوهن لأنك مولاهن ! فقال : وما لهن الزواني ألا تجعلن كسوتهن عليهم ؟! فقلت : إنكن سمعتن مـا قال ؟ قلن : نعم ، والله ، ونجعل له أولاداً ! قال : فتنفس وقال : يقولون ما لا يفعلون !

★ قال الزبير بن بكار : خرج أبو السائد المخزومي وعبد الله بن جندب إلى موضع يتنزهان فيه ، فلقيا ابن المولى الشاعر ، فصاح به ابن جندب. فقال : ما شأنك ؟ وأنشد :

وأبكي فلا ليلى بَكَتْ من صَبَابةٍ   لِمَا بي ولا ليلى لِذِي الوِدِّ تَبْذُل
واخضع للعَتْبَى إذا كنتُ مذنباً   وإني إذ نبتْ كنت الذي أَتَنَصَّل
وقد زعمت أني سلوت وأنني   ثبـاتي عن إتيانهـــا مُتَعَلِّلُ .

قال ابن جندب : من ليلى هذه ؟ امرأته طالق إن لم أفدها . قال : هي والله يا أخي فرسي سميتها ليلى .

★ قال الزبير بن بكار : قال عمر بن ربيعة المخزومي :

أَحنُّ إذا رأيتُ جِمَالَ سُعْدَى   وأبكـي إن سَمِعْتُ لهـا حنينا

وقد أزِفَ المسيرُ فَقُلْ لسعدى فديتُك أخبري ما تأمرينا .

قال ، فسمعه ابن أبي عتيق فخرج حتى أتى الحيان من أرض غطفان، ثم أتى خيمة سعدى ، فاستأذن عليها وأنشدها البيتين ثم قال لها : ما تأمريه به ؟ قالت : آمره بتقوى الله .

★ ابو غسان المهدي قال : مرَّ ابو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، في خلافته بطريق من طرق المدينة ، فإذا جارية تطحن وتنشد :

وعَشِقْتُه من قَبْلِ قطع تمائمي[1] مُتَمايساً مِثْـلَ القضيبِ الناعمِ
وكأنّ نورَ البدرِ سُنَّةُ وجهِـه ينمى ويصعد في ذؤابة هاشم[2]

فدق عليها الباب فخرجت إليه ، فقال : ويلك أحرة أم مملوكة ؟ قالت : مملوكة يا خليفة رسول الله . قال : فمن هو ؟ قال فبكت ثم قالت : يا خليفة رسول الله بحق الغير ألا انصرفت عني ؟! قال : وحقه لا أريم[3] مكاني أو تعلميني !. فقالت :

وأنا التي لَعِبَ الغرامُ بقلبها فَبَكَتْ بحبِّ محمدِ بْنِ القاسمِ ،

قال ، فسار إلى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه : وبعث الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وقال :

---

١) جمع تميمة وهي خرزة أو ما يشبهها كان الاعراب يضعونها على أولادهم وقاية من العين ويريد هنا من قطع تمائمي أي قبل أن يكبر .
٢) من المتقدمين .
٣) اترك .

هؤلاء فِتَنُ الرجال ، فكم مات بهن كريم ، وعَطب عليهن سليم !!.

★ وكان فتى من أهل الكوفة عاشقاً لجارية ، وكان أهلها قد أحسوا به فتوعدوه ورصدوه ، فلم يقدر على الوصول إليها فواعدها في ليلة مظلمة أن تسير إليه . وأتى فتسور عليها حائطاً . فعلم به أهلها فأخذوه وأتوا به خالد بن عبد الله القسري [1] وقالوا له : إنه لصٌ تسوّر علينا من الحائط . فسأله خالد عن ذلك فكره أن يجحد السرقة فيفضح الجارية ، فقال : أ سارق انت ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير . فأمر بقطع يمينه. وكان للجارية ابن عم من أهل الفضل قد اطّلع على بعض شأنه فأخذ رقعة وكتب فيها هذه الأبيات :

أخالدُ قد ، والله ، أُوطئت عشوة[2]
وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقَرَّ بما لم يجن عمداً لأنه
رأى القطع خيراً من فضيحةِ عاشق
ولولا الذي قد خِفْتُ من قَطْع كفه
لألفيتُ في أمرِ الهوى غير ناطق
إذا مدَّت الغايات في السبق للعلى
فأنت ابن عبدِ الله أول سابق

---

١) حاكم العراق سنة ٧٢٤ وقد تقدم الشرح عنه .
٢) أول ربع من الليل أو الظلمة .

ثم حذف الرقعة فوقعت في حجر خالد فقرأهـا ثم أمر بالفتى الى السجن ، وصرف القوم . فلما خلا مجلسه دعـا به فسأله عن قصته فعرّفه ، فبعث الى أبي الجارية فقال : قد عرفت قصة هذا الفتى فما يمنعك من تزويجه ؟ قال : خوفُ العار . قال : لا عار عليك في ذلك ، والعار أن لا تزوجه فتكشف أمره !. فسأله أن يزوجه ففعل ، فدفع إليه عن الفتى خمسة آلاف درهم ، وأمره بتعجيل اهدائها إليه .

★ سأل رجل بعض العلماء عن الواصلة ، فقال : إنك لمنفر . قال ، قالت عائشة ، رضي الله عنها : ليست الواصلة كما تعْنُون ، لأنهم كانوا يقولون : الواصلة هي أن تكون المرأة بغياً في شبيبتها فإذا شابت وصلته بالقيادة . وكانت « كلمة » التي يضرب بها المثل في القيادة صبية في الكتّاب تسرق أقلام الصبيان فلما شبت قادت ، فلما أقعدت اشترت تيساً وكانت تنزيه[1] بين يديها .

★ ذكر المدايني أن بعض عمال البصرة كان لا يزال يأخذ قوادة فيحبسها ، فيأتي من يشفع فيها فيخرجها . فأمر صاحب شرطته وكتب رقعة يقول فيها : فلانة القوادة تجمع بين النساء والرجال ، لا يتكلم فيها إلا زان . فكان إذا كلمه فيها أحد قال : اخرجوا قصتها . حتى إذا قرئت قام الرجل مستحيا .

★ وحكى يقظان بن عبد الأعلى قال : رأيت القين يضرب جاريته سلمى المغنية ويقول : ما جئتيني بهدية ، ما جئتيني بخلعة قط ، هل هو إلا هذا الكرى ؟ فهبك لم تقدري على شيء ، فما تقدرين على ولد ؟. فقالت : هذه المرّة أجيئك بابن . فقال : يا زانية إن لم تصدقي لأضربنك ألف سوط . فرأيتها بعد ذلك ولها ابن متحرك تخدمه . فقلت لها :

---

١) يسفد بين يديها أن تهرق ماءه بين يديها . (ن . ر)

وقد وفيت لمولاك ؟ قالت : نعم ، ولكن ما ناكني رجل حتى جاءني هذا الولد ! فقال مولاها : صدقت ، فهل ينبت الحب إلا أن يزرع ؟ فعجبتُ من كشخنة[1] المولى وطيب نفس الجارية .

— وهذا باب ، أعزك الله ، أكثر من أن يحاط به . ولكني اختصرت لك من مِلَح أحاديثهم ما فيه مستمتع . وستقف في الأُخر التي أفردناها من أخبار القيان على كثير منه . وقد قالت الشعراء في الرسلِ في الجاهلية والاسلام . ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي :

خليليَّ إنّيَ مشتكٍ ما أصابني ... لتستيقنا ما قد لقيت وتعلما ،
أمِنْتُكُما ، إن الأمانةَ من يَخُن ... بها يحتمل يوماً من الله مَأْثَما .
فلا تفشِيا سِرِّي، ولا تخذلا أخاً ... أَبَثَّكُما منه الحديثَ المكتَّما ،
لتتخذا لي ، بارك اللهُ فيكما ، ... إلى أهل ليلى العامرية سُلَّما .
فإن كان ليلاً ، فألوناه هُدِيتُما ، ... وإن خفتما أن تُعرفا فتلثما ،
وقولا :خرجنا تاجرين فأبطأت ... ركابٌ تركناها بشد قُيَّما .
فان انتما أطمأننتما وأمِنْتُما ... وأَخْلَيْتُما ما شئتما فتكلَّما ،
وقولا لها : ما تأمرين بصاحب ... لنا قد تركت القلب منه متيما ؟
أبيني لنا إنا رَحلْنا مَطِيَّنَا ... إليك ، وما نرجوك إلا تَوَهُّما.
ألا هل صدا ، أمِّ الوليد مُكَلِّمٌ
صداي ، إذا ما كنت رمساً وأعظما

[1]) الدياثة وهي أن تؤتى امرأة الرجل وهو يعلم فلا يغار . (ن . ر)

وقال المأمون لرسول بعث به :

بعثتُك مُرتاداً ، ففزتَ بنظرةٍ وأغفلتني ، حتى أسأتُ بك الظنّا ،
وناجيتَ من أهدى وكنتَ مقرباً. فيا ليت شعري ، عن دنوّك ما أغنى؟
وردّدت طرفاً في محاسن وجهها ، ومتعت باستمتاع نغمتِها الأُذنا .
أرى أثراً منها بعينيك لم يكن ، لقد سرقتْ عيناكَ من وجهها حُسْنا.
فيا ليتني كنت الرسولَ فأشتفي ، وكنتُ الذي يعصي وكنتُ الذي ادنى.

وقال أبو الطيب المتنبي في مثل ذلك :

ما لنا كلنا جوى ، يا رسول ، انا أهوى ، وقلبك المتبول[1]
كلما عاد من بعثتُ إليها ، غار مني ، وخان فيما يقول .
أفسدَت بيننا الامانات عيناها وخانت قلوبهن العقولُ
وإذا خامر الهوى قلبَ حبٍّ فعليه لكل قلب دليل .

وقال بعض المحدثين :

يا سوء مُنْقَلَبِ الرسول مخبراً بخلاف ظَنّي
انى أُعيذك أن تكون شغلتني وشُغِلْتَ عني

وأنشد لأبي نواس :

١) المتبول : السقيم أو المتيَّم .

يا مَن أتى مِن دون حاجته بباً ، واحراس به وُكِلوا :
شمّر ثيابك ، قد شُغلتَ بما لو عَمَّ خلقَ الله لاشتغلوا ،
وانظر رسولاً ذا ملاطفـةٍ لولا مرارة غَمّـه عَسَلُ
يَمّن عليه غبـاوةٌ ، وتَرَى أفعـاله كالنـار تشتعلُ
لا يحفلون به اذا خرجوا الابتـذالَ ولا اذا دخلوا

وأنشد احمد بن عيسى الأهوازي في قوّادة :

تَكادُ لو لم تكن أنسيَّةً تجري من الانسان مجرى الدَّمِ
لا يَعْصِمُ المِقْدارَ من كيدها محلُّه في الموضع الأعْظَمِ[1]

وأنشد لآخر أيضاً :

اذا أردت أن تُناجيَ غادهْ من الغواني صعبةَ المنقـادهْ
فادسس لهـا عجيزاً قوَّادة أدَبَّ في الظلمـاء من جَرادة
قد انحَنَت من شدَّة العِبَـادَة تلوح في جبينهـا السجـادة
كالحسن البصري ، أو قتـادة في يدهـا سُبْحَتُها الصيَّـادَة
قد أحكَمَت من شدَّةِ المرادة قـد ألفتْ غرائبَ القِيـادة
فإنهـا تَدْخُـلُ ، كالمرتادة ، بذكر كلِّ غـافل مَعَـادة

---

١) المقدار من الرجال : ذو القوة والقدرة .

وتَصِفُ الشقاءَ والسَّعادة   حتى إذا نُصِبَتْ لها الوسادة
ولاحظتْ غُفْلَة وقَّادة   ثم خَلَت بالغادةِ المُرادة
تروضها باللُّجُمِ المُقَادَة   حتى ترى طاعتَها سعادة

وقال احمد بن أبي طاهر[1] :

فأرسلتُها أمْضَى من السيف مَقْدَماً   وأسرعَ من سيلٍ بليلٍ إذا احتفلْ[2]
تدبُّ دبيب النمْل في كل مَفْصل   لطافتُها في الرأي والقول والحِيَلْ .
يَذِلُّ لها الصعبُ الجموحُ قيادَه   وتهدي الى طُرق الضلال فلا تَضلْ
يرى الفَطِنُ الداهي عليها عبادة   إذا ما رآها وهي أخْتلُ مَن ختل[3]
يؤلف بين الأُسْد والشاء لطفها   ويستنزلُ العَصْماءَ من شَعَفِ القِلَل[4]
ولو أنها شاءت ، بأهون سعيها ،   لألَّفتِ الذئبَ الازل مع الحمَل[5]
ولو جَبَلٌ رامت إزالةَ ركنهِ   برُقْيَتِهَا يوماً لزلَّ بها الجَبَل
يغرُّ العيونَ زهدُها وخشوعها   وتسبيحُها عند الشروق وفي الأَصل
تُسهِّل ما قد كان وعراً طريقه   وتفتح ما قد كان غِلْقاً وما قَفَل .

---

١) لعله ابو الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور أديب مؤرخ ايراني الأصل ولد في بغداد وتوفي فيها (٨١٩ – ٨٩٣) .
٢) احتفل : جاء بملء جانبي الوادي .
٣) ختل : خدع .
٤) شَعَف : لجمع شَعَفَه وهي رأس الجبل . القِلل : أعلى الجبل .
٥) الازل ، الخفيف الوركين الضعيفها .

وأنشد لابن بشير :

وزولةُ في الذي رامت يتاح لهـا ... من التَّجارب أسبابُ المقـــادير
لا تحزر الخود منها أن تدبّ لهـا ... مشيَّد محكم البنيـان والسور
كأن في قلب من يصغي لمنطقهـا ... من حَرٍّ ما نَعَتت لسب الزنابير[1]
أخفى من الروح في تأليف مَعْصِيةٍ ... إذا تأملت من لطف وتقـــدير
قد ناطَتِ الدهرَ مصباحاً بمعصمها ... تُشيمُها بذوات البر والخـــير
خَلَت بواضحةِ الخدين مخطفـةٍ ... كغصن بان رشيق القـــد ممطور
باتت تعلِّمها في طول ليلتهـــا ... تقاربَ الخطو في مَيل وباطـــير
رفقاً ، وتقليب عين عند كل فتىً ... يرنو بمقلتهـــا أنفـاس مبهور
ما زلت أسألها حظاً وترفع لي ... في السوم ، حتى أجابت بعد تعسير
لبذل أصغَر ،دهراً كنت أدْخُره، ... أزهو برؤيتـــه زهو المياسير .

وأنشد لاسحاق بن خلف البصري :

لو أن رُقْيَتَهـا في صخرةٍ نَطَقتْ ... أو اذن خرساء أضحت غيرَ خرساء
اخفى من الروح إذ دبّت لحاجتها ... ولو تشاء مشت رفقاً على الماء .

وأنشد الحمّار :

---

١) لسب : لدغ . الزنابير : واحدها زنبور وهو ذباب أليم اللسع .
٢) المياسير . جمع موسر وهو الغني ذو الثراء . (ن . ر)

ظَلَمَ الناسَ ، حسبنا ، ورموه بالكبائر
ما لَهُ عيبٌ سوى ، اصلاحِه بينَ العشائرْ

وأنشد لعبد بن وهب :

قالوا ابن عثمة قواد . فقلت لهم : كذبتم ، ما أبو حفص بقوّادِ
لكنه رجلٌ يُخْلِيكَ منزلَه بالدرهمين وما يَبْقَى من الزّادِ

وأنشد ابن الاعرابي :

هل من رسول لطيفِ الى غزال عنيف
له سريرةُ ذئبٍ وسَمْتِ قِسٍّ عفيف
تَكَامَلَ الظرفُ فيه ففاق كلَّ ظريف

ومن ملح ما قيل في هذا المعنى قول ابن الدمينة [1] :

خليليَّ سِيرا مسعدين فَسَلِّما على حاضرِ الماءِ الذي تَرِدان
ومُرًّا فقولا : نحن نطلبُ حاجةً. ومرًّا فقولا : نحن منصرفان

١) عبد الله بن الدمينة شاعر من بني عامر بن تيم الله فاذا كان هو المذكور بالطبري والذي ذكره صاحب الأغاني فيكون حاكم مكة على أيام الرشيد . له شعر عذب مستطاب غُني به . (ن . ر)

(باب خَلْق النساء)

إذا كانت المرأة ضخمة في تعمّد وعلى اعتدال فهي : رمجلة . فاذا زاد ضخمها ولم تُقبح فهي : مَسبحلة . فاذا كانت طويلة قيل : جارية سبطة وعيطبول . فاذا كانت بها مسحة من جمال فهي : جميلة ووضيئة . فاذا أشبه بعضها في الحسن بعضاً فهي : حَسّانة . فاذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي : غانية . فاذا كانت لا تبالي أن تلبس ثوباً حسناً ولا قلادة فاخرة فهي : معطال . فاذا كان حسنها ثابتاً كأنها وسمت به فهي وسيمة . فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي : قسيمة .

وقالوا :

وقال الصباحةُ في الوجه الوضاءة في البشرة . الجمال في الأنف . الحلاوة في العينين . الملاحة في الفم . الظرف في اللسان . الرشاقة في القدّ . اللباقة في الشمائل . كال الحسن في الشعر .

والمرأة الرعبوبة : البيضاء . الزهراء : التي يضرب بياضها إلى صفرة كلون القمر والبدر . والهجان : الحسنة البياض .

والمرأة طفلة ما دامت صغيرة ؛ ثم وليدة إذا تحركت ؛ ثم كاعب إذا كعب ثديها ؛ ثم ناهد إذا زاد ؛ ثم مِعصر إذا ادركت ؛ ثم خود إذا توسطت الشباب .

والزجاء : الدقيقة الحاجبين المتدتها حتى كأنها خطا بقلم . والبلج : ان يكون بينها فرجة ، وهو يستحب ، ويكره القرن وهو اتصالها. والدعج : أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقـلة . والبرج : وشدة سوادها وشدة بياضها . والنجل : سعتها . الكحل : سواد جفونها من غير كحل . الجور : اتساع سوادها .

الشنبُ : رقة الاسنان واستواؤها وحسنها . الرتل : حسن تنضيدها واتساقها . التفليج : تفرج ما بينها . الشتت : تفرقها في غـير تباعد في استواء وحسن يقال منه ، ثغرشتيت . الأشر : تحديد في أطراف الثنايا يدل على الحداثة . الظـَّلم : الماء الذي يجري على الأسنان من البريق . الجيد : طول العنق . التلعُ : إشرافها .

وإذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي : خُود . فـاذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى فهي : بهكنة . فاذا كانت دقيقة المحـاسن فهي : مملودة . فاذا كانت حسنة القد ، لينة العصب : فهي : خرعبة . وإذا كانت لم يركب بعض لحمها بعضا فهي : مبتلة . فاذا كانت لطيفة البطن فهي خمصانة . فإذا كانت لطيفة الكشحين فهي : هضيم . فإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي : ممشوقة . فاذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي : عطبول . فاذا كانت عظيمة العجيزة فهي : رداح . فاذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهي خدلجة . فاذا كانت سمينة ترتج من سمنها فهي مرمادة . فاذا كانت ترعد من الرطوبة والغضاضة فهي برهرهة : فاذا كانت كأن الماء يجري في وجهها فهي : رقراقة . فـاذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي : بضة . فاذا عرفت في وجهها نضرة النعيم فهي : نظرة . فاذا كان فيها فتور عند القيام لسمنهـا فهي : أناة ووهنانة . فاذا كانت طيبة الريح فهي بهنانة . فاذا كانت عظيمة الخلق مع جمال فهي عرهرة . فاذا كانت ناعمة جميلة فهي : عبقرة . فإذا كانت مثنية للين وتعمُّد فهي : غيداء وغاده . فإذا كانت طيبة الفم فهي : رشوف .

فاذا كانت طيبة ريح اليد فهي : أنوف . فاذا كانت طيبة الخلوة فهي : رصوف . فاذا كانت لعوباً ضحوكاً . فهي : شموع . فاذا كانت تامة الشعر فهي : فَرعاء . فاذا لم يكن لمرفقيها حجم من سمنها فهي : دَرماء . فاذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها فهي : لفّاء .

فإذا كانت حييّة فهي : خَفِرَة وخرّيدة . فإذا كانت منخفضة الصوت فهي : رَخِيمة . فاذا كانت محبة زوجها متحببة اليه فهي : عَروب . فاذا كانت نفوراً من الريبة فهي : نَوَار . فاذا كانت تجتنب الاقذار فهي : قذُور . فاذا كانت عفيفة فهي : حِصان . واذا كانت عاملة الكفين فهي صَنَاع .

فاذا كانت كثيرة الوُلْد فهي : بَنُون . فاذا كانت قليلة الولادة فهي : نَزُور . فاذا كانت تلد الذكور فهي : مِذْكار . فاذا كانت تلد الاناث فهي : مِئْناث . فاذا كانت تلد مرة ذكراً ومرة أنثى فهي : مَهَاب . فاذا كانت لا يعيش لها ولد فهي : مِقلات . فاذا كانت تلد النجباء فهي : مِنْجاب . فاذا كانت تلد الحُمَقاء فهي : مُحْمِقَة .

فاذا كانت يغشى عليها عند الجماع فهي : رَبُوخ [1] . والممكورة : المطوية [2] الخلق . واللّدنَة : الليّنَة الناعمة . والمُقصدَة : [3] التي لا يراها احد إلا اعجبته . والخبرنجة : الجارية الحسنة الخَلق في استواء . والمُسبَطِرّة : الجسيمة . والعَجزَاء : العظيمة العجيزة . والرُّعبُوبة : الرطبة . والرَّجرَاجَة : الدقيقة الجلد . والرتكة : الكثيرة اللحم ؛ والطفلة الناعمة . والرُّود : المتثنية اللينة . والأملُود : الناعمة ؛ ومثلها الخرع – مأخوذ من نبت الخروع وهو نبت لين – والبارقة : البيضاء

١) في الأصل ربوح وهو غلط .
٢) في الأصل المطوية وهو غلط .
٣) او المُقَصَّدَة ؛ وفي الأصل المقصد وهو غلط . (ن . ر)

الثغر . والدهثمة : السهلة . والعاتق : التي لم تتزوج . والبَلهاء : الكريمة ، والمفضَّلة عن السُّره الغرِّيرة [١] . والعَيطمُوس : الفَطِنـــة الحسناء . والسهلبة [٢] : الخفيفة اللحم ، والجدولة المشوقة . والسُّرعُوفَة : الناعمة الطويلة . والفيصاء والعفَّاء : الطويلة العنق . والتهنانة ايضاً : الضحاكة المتهللة . والغَيلَمُ : الحسناء . والخليقُ : الحسنة الخلُق ؛ وقال الفرّاء [٣] هي احسن الناس حيث نظر ناظر ، اي هي احسن الناس وجهاً . وقال ابو عمرو [٤] : ويقال للمرأة اذا كانت حسناء : كأنها فرس شرهــاء — والشرهــاء : الحديدة النفس — وامرأة حسنة المعارف — ومعارفهـا : وجهها — والمتحرية : الحسنة المشية في خيلاء . والشموس : التي لا تطمع الرجل في نفسها ، وهي الذّعُور . وامرأة ظمياء : اذا كانت سمراء ، وشفـــة ظمياء كذلك . ويقال انها لحسنة العَطل اي الجسم . ويقال عَبِقةٌ [٥] اي التي يشاكلها كل الناس .

ونذكر اختلافات الناس في الثدي والعجز والجدولة من النساء والضخمة الطويلة ، والغضيضة . واختلاف شهواتهم في الممسوحة والمفلكة والكاعب والناهد والمنكسرة . ومن استحسن الثدي الضخم الذي يملأ الكفين ، ومن ذم ذلك .

وممن وصف الشحم عبد بني الحسحاس حيث يقول :

تُوَسِّدُني كفاً وترفعُ مِعْصَماً علَيّ وتحنو رجلها من ورائيـــا

---

١) في الأصل العزيزة وهو غلط .
٢) هكذا في الأصل وأظنها السلهبة .
٣) يحيى الفراء الديلمي لغوي كوفي تلميذ الكسائي ومؤدب ابني المأمون .
٤) ابو عمر زبّان أحد واضعي فقه اللغة علم الخليل وسيبويه وأخذ عنه الاصمعي .
٥) في الأصل عبقه وهو غلط (ن . ر)

أميلُ بها مَيْل النزيف ، وأتّقي   بها القطر ، والشقّان من عن شماليا

فسحيم لم يتخذها هدفاً تستر عنه الريح والقطر إلا وهي في غاية الضخم .

★ وقال ابو عبيدة : دخل مالك الاشتر على علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، في صبحة بنائه على نسائه فقال : كيف وجد امير المؤمنين أهله ! قال كالخير من امرأة ، لولا انها خنَّاء [١] قبَّـــاء [٢] قال : وهل يريد الرجال من النساء إلا ذلك يا امير المؤمنين ؟ قال : كلا ، حتى تدفىء الضجيع ، وتروي الرضيع .

وهذا يـــدل على العُجب بالضخم والشحم . واكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الامر يقدّمون المجدولة ، فهي تكون في منزلة بين السمينة والممشوقة مع جودة القدّ وحسن الخرط [٣] . ولا بد ان تكون كاسية العظام . وانما يريدون بقولهم مجدولة جُدولةَ العصب وقلة الاسترخاء ، وان تكون سليمة من الزوائد والفضول ، لذلك قالوا خمصانة وسيفانة ، وكأنها جَدل عنان وغصن بان وقضيب خيزران .

والتثني في مشية المرأة احسن ما فيها . ولا يمكن ذلك الضخمـــة والسمينة . ووصفوا المجدولة فقالوا : اعلاها قضيب ، واسفلها كثيب .

وقال بعض الاعراب :

لها قسمة من خوط بانٍ ومن نقىً   ومن رشأ الغزلان جيد ومَذْرَف [٤]

---

١) الغَنَّاء .
٢) الضامرة الخميصة البطن أو من لحقت خاصرتاها بحالبها .
٣) الدّق .
٤) الخرط : الغصن الناعم . المذرف : يعني به العين .

يكاد كليل الطرف يَكلَمُ خدَّهـا   إذا ما بدت من خدرها حين تطرف[1]

وقال آخر :

ومجدولةٍ جدلَ العنانِ إذا مَشَت   تَنُوءُ بِخَصْرِيها ثِقَـالُ الروادف

وقال آخر :

ومجدولةٌ ، أما مجال وشاحهـا   فغض ، وأما ردفهـا فكثيب ؛
لها القمر الساري نصيبٌ، وإنها   لَتَطْلَعُ أحيـاناً له فيغيب .

وقال ابو نواس ، وقد احسن ما شـاء :

أَحلَلْتُ من قلبي هواكِ محـلَّةً   ما حَلَّها المشروب والمأكولُ .
بكمالِ صورتك التي في مثلها   يتحيَّرُ التشبيهُ والتمثيل .
فوق القصيرة، والطويلةُ فوقها،   دُونَ السمين، ودُونها المهزول.

وأما قول الأعشى[2] حيث يقول :

غَرَّاء فَرْعَاء مصقولٌ عوارضُها   تمشي الهُوَيْنا كما يمشي الوحي الوجلُ[3]

---

١) كَلِه يكله الشيء : حرسه وحفظه . (ن . ر)
٢) ميمون بن قيس لقب بصناجة العرب ومدح الأمراء والملوك . من أشهر الشعراء في الجاهلية .
٣) غرّاء : بيضاء . فرعاء ، كثيرة الشعر . الوحى : المشي السريع .

كأنَّ مِشْيَتَها من بيتِ جارتِها مرَّ السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ[1]

فقد وصفها كما ترى بالضخم ، ولكنه يذكر أفراطاً .

وقال الاحوص[2] :

من المُدْمجَاتِ اللحمِ جَدْلاً كأنها عنانٌ ضاع انعمت أن تُجَوَّدا

★ قال أبو عثمان الجاحظ : كان أبو معمر بن هلال يقول : عذرت الرجلَ الطويل الأير حتى يتمناها ضخمة . ولكن ما عذر الصغير الأير في ذلك ؟

وفي اختلافهم في الثدي

أنشد للمرار بن سعد :

صلبةُ الخَدّ طويلٌ جيدُها سَجْمَةُ الثدي ولَمّا ينكسر[3]

وقال النابغة[4] في النهود :

---

١) الريث : البطء .

٢) علي الأنصاري ولد في المدينة وتوفي في دمشق . شاعر حجازي شبب في النساء الشريفات فنفي وسجن .

٣) سجمة الثدي : درورة الثدي ، كناية عن أنها مرضع .

٤) النابغة الذبياني من فحول شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات كان من حكام سوق عكاظ .

يَحْطَطْنَ بالعيدان في كل مقعدٍ وَيَخْبَأْنَ رمان الثَّدِيِّ النواهد

وأنشد لمسلم بن الوليد[1] :

فأقسمتُ أنْسَى الداعياتِ إلى الصِّبَى وقد فَجَأَتْهـــا العينُ والشرُّ واقع
فغطَّت بأيديها ثمارَ صدورهـــا كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع[2]

★ وذم اعرابي امرأة فقال : والله ما بطنها بوالد ، ولا شعرها بوارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا فوهها ببارد .

★ وكتب الحجاج بن يوسف الى الحكم بن أيوب قال : اخطب على عبد الملك امرأة جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفـة في قومها ، ذليلة في نفسها ،، أَمَةً لبعلهـا .. فكتب إليه : أصبتها ، وهي خولة بنت مسمع ، لولا عِظَم ثدييها ! فكتب إليـه الحجاج : لا يحسن بدنُ المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفي الضجيـع ، وتروي الرضيـع .

★ وقال آخر يذم عِظَم الثدي :

لعمري لَبِيضٌ يَحْتَلِلْنَ بقفزةٍ لَطائِفُ ثديِ الصدرِ غِيْدُ السوالفِ
أحبُّ إلينا من ضخامٍ بطونُها لآباطهـا تحت الثُدِيِّ تعـــاطف

وقال آخر في الممسوحة التي لم يبد بصدرها شيء :

---

١) ربما كان مسلم بن الوليـد الأنصاري الملقب بصريـع الغواني من شعراء العصر العباسي الأول .

٢) الجوامع : جمع جامعة وهي الغل أو القيد ؛ وهي ما يطلق عليه اليوم كلبجة .

وعُلِّقتُ ليلى وهي بِكْرٌ خَرِيدَةٌ ولم يَبْدُ للأتر ب من ثديها حجم
صَغِيرَيْن نرْعى ٱلْبَهْمَ، يا ليت انني إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البَهْمُ

وقال نصيب :

ولولا أن يُقال : صَبَا نصيبٌ. لقلت : بنفسيَ النُّشْوُ الصغارُ ،[1]
بنفسي كلُّ مهضومٍ حشاهـــا إذا ظلمت فليس لها انتصار .
إذا مـــا الزُّلُّ ضاعفن الحشايا كفاها أن يُلاث بها الإزار[2]

وقال ذو الرمّة[3]:

بعيدات مهوى كلِّ قرط عقدنه لطاف الحشا تحت الثُّدِيّ الفوالك[4]

وذكر آخر ابتداء النهود فقال :

نَظَرْتُ إليها نظرةً وهي عَاتِقٌ على حين شبَّت واستبان نهودها[5]

وليس في الحيوان شيء واسع الصدر غير الانسان . ولا في جميع

---

١) النشو : الذين كبروا وشبوا ولم يتكاملوا .
٢) الزُّل : جمع ازل وزلاّء ، وهي الخفيفة الوركين . لاث : لفّ .
٣) لقب غيلان بن عقبـــة ، شاعر بدوي عاصر جرير والفرزدق ؛ اغرم بحب سَمَيَّة والخرقاء .
٤) فلك ثدي الجارية : استدار .
٥) العاتق : الجارية الشابة أول ما أدركت أو البكر التي لم تتزوج (ن . ر)

الحيوان انثى في صدرها ثدي إلا المرأة والفيلة ، وكذلك الرجل. والعرب تمدح الرجال والنساء بطول الأعناق. قال الشاعر :

ومن كلِّ شيءٍ قد قَضَيْتُ لُبَانَتي سوى ضخم أعجازٍ ثِقَال الرَّوادفِ
وهَصْرِيَ أعناقاً تلين وتنثني كما كان خَيطان الأراك الصعائف

★ وقيل لابراهيم بن النظام[1] : أي مقادير الثدي أحْمَدُ ؟ قال : وجدت الناس يختلفون في الشهوات ، وسمعت الله تبارك وتعالى حين وصف حور العين جعلهن كواعب أترابا ، ولم يقل فوالك ولا نواهد. وقالت العرب : يسار الكواعب. ولم تقل يسار النواهد ولا يسار الفوالك.

ولم أرَهم يختلفون في مدح عظم الركب كما اختلفوا في مقادير الندي في طول الأعناق. يقول الشمردل[2].

ويُشْبِهُون ملوكاً في مهابتهم وطول أنْصِبةِ الأعناقِ والأُمَمِ[3]

وقال آخر :

طوال أنْصِبَةِ الأعناقِ لم يجدوا ريح الاماء إذا راحت بأذْفارِ.

وهو حَسَنٌ ما لم يطل جداً ، فإذا أفوط كان عيباً. كما عيب بذلك واصل بن عطاء رئيس المعتزلة فسمي عنق نعامة ، وعيب بذلك جعفر

---

١) ابراهيم بن سيار بن هاني النظام من المعتزلة له مكانة خطيرة في تاريخ الفكر الاسلامي لأنه بدأ النضال ضد المذاهب الفلسفية المانية واليونانية.
٢) من شعراء العصر الاموي له رثاء اخوته الثلاثة الذين قتلوا في الحروب.
٣) الأمم : جمع الأمّة وهي القامة.

ابن يحيى البرمكي ، وكذلك قال فيه الحسن بن هانىء :

ذاكَ الوزيرُ الذي طالت عِلاوتُه   كأنَّه ناخرٌ في السيفِ بالطُّول[1]

وقد زعموا أنه أول من اتخذ هذه الأطواق العراض ، فاستحسنها الناس بعده ، فاتخذوها .

وفي صفة الأعكان يقول يزيد بن معاوية :

لها عُكَنٌ بيضٌ كأنَّ غضونها   إذا شفّ عنها السابري فداح[2]

وقال أبو الطيب المتنبي :

يضمها المسك ضم المستهام بها   حتى يصير على الأعكان أعكانا

وقال آخر :

غراء واضحة أقراب خرعبة   طوعَ العناق فلا بِكْرٌ ولا نَصَفُ

وقال النابغة الذبياني :

والبطن ذو عَكْنٍ لطيفٍ طيُّه ،   والنحر ينفجـــه بِثَدْيٍ مُعَقَّدِ[3]

---

١) العِلاوة : أعلى الرأس او العنق .

٢) السابري : درع دقيقة النسج محكمة . فداح : مثقلة .

٣) نفجه : رفعه وعظّمه . (ن . ر)

محطوطةَ المتنين غـــيرَ مفاضة ريَّا الروادف بضـــة المتجرِّدِ
وإذا لمست، لمست أَجْثَمَ جاثماً متحـــيزاً بمكانه ملءَ اليـــد
وإذا نَزَعْتَ، نَزَعْتَ عن مستحصف
نَزْعَ الحزوَّر بالرشـــاء المخضد[1]

وأنشد لأعرابي آخر:

لما رأت أن الرحيل قد حانْ قامت تَهادى في رقيق الكتان
بواضح الوجه قليل الخيلان وعُكَن مثل متون الغزلان

وقال الفرزدق:

إذا بَطَحَتْ فوق الأثافي رَفَعتَها بثديين في صدر عريض وكعثب

فزعم أنها إذا بَطحت على وجههـــا لم تمس الأرض بشيء من سائر جسدها إلا نهود ثدييها وعظم رَكبهـــا فصارت لبدنها كأثافي القِدر.

وقال عبد بني الحسحاس:

من كل بيضاء لها كعثب مثل سنام البكرة المائل[2]

وحلَف ابن مطيع الليثي الشاعر أن جاريته خردانة كانت تستلقي على ظهرها فتشخص كتفاها ومنكباها حتى لقد كان يتدحرج الرمان

١) المستحصف: المحكم المفتول. الحَزَوَّر: الغلام إذا اشتد وقوي.
٢) الكَعْثَبُ: الرَّكَب الضخم الناتىء. البَكْرة: الفتية من النوق.

والاترج من تحت خصريها .

قالوا : كانت الزباء بنت عبد الله تصب جرّة المـاء على رأسها فلا يصيب فخذيها للبد عجيزتها .

وقال الشاعر :

نَفْج الجفينةِ لا تَرى لِكُعُوبها حجماً وليس لِسَاقها ظُنْبُوبُ[1]
عَظُمَت روادفُها وسَهَّلَ وجهُها والوالدان نَجِيبَـــةٌ ونَجِيبُ

ومن مليح ما قيل في هذا ، قول الاعرابي :

أبتِ الروادف والثُّدِيُّ لقمصها مَسَّ البطون وإن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العِشيِّ تناوحت نبهن حاســدة وهِجْنَ غَيُورا

والعرب تمدح الملوك بسعة العيون كما يصفون ذلك النساء ويستحسنونه

قال ذو الرمة :

ومختلق للملك أبيضَ قد غَمَز أشمَّ أَلَجّ العَيْنِ كالقمرِ البدر[2]

لما أُنشد بشار بن برد قولُ الشاعر :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة اذا لمسوهـــا بالأكف تلين

---

١) ظنبوب : حرف عظم الساق من قُدُم .
٢) ألجُّ العينِ : شديد سوادها (ن . ر)

ضحك بشار من قوله « عصا خيزرانة » وقال : لو زعم انها عصارند او عصا َندّ لهجّنها وكان ذلك خطأ بعد ان جعلها عصاً . فهلاّ قال كما قلت :

إذا قامت لسبحتها تثنت كأن عظامها من خيزران

وكانت ميمونة عند هشام بن عبد الملك ، خلف عليها بعد العزيز قال . لو أن رجلاً ابتلع ميمونة ما اعترض في حلقه منها شيء للينها.

وقال بشار .

إذا مشت نحو بيت جارتها خلت من الرمل خلفها حقف
يرتجُّ من مرطها مؤزّرها وفوقه غُصْن بَانةٍ قَصِف .

وقد قيل في الضخمة .

قليلة لحم الناظرين يزينها شباب ومخفوض من العيش بارد
أرادت لتنتاش الرواق فلم تقم إليه ولكن طأطأته الولائد .

وقال آخر ايضاً .

ضوء برق بدا لعينيك أم شبَّت بذي الأثل من سلاَفة نارُ
أوْقدتها بالمِسك والعنبر اللدن فتاة يضيق عنها الإزارُ

وانشد ايضاً .

وتبدي على المتن من شعرها عناقيدكرم تدلين سودا
ويجري السواك على بارد لذيذ من الدر يبدي نضيدا
وما زانها العقدُ لكنّها تزين بالنحر منها العقودا
كشمس الضحى بين أترابها موافين يوماً ليشهدن عيدا
فكم من قتيل بتلك العيون وكم من قتيل تولّى عميدا
فإن يكُ عني قسا قلبُها فلم يجعل الله قلبي حديدا
أُعيذُكِ بالله أن تُشمِتي بنا واشياً أو تطيعي حسودا

وقال جران العود ، وقد تزوج فلقي منها برحاً ، وكانت حسنة الشعر فقال:

ألا لا يغرنّ امرؤ نوفليّة على الرأس منها أو ترائب وُضّحُ (١)
ولا فاحم يشفي الدهان كأنه أساود يزهاها بعينيك أفطح

وانشد لآخر .

لا تنْهِ قلبكَ أن يتوق إلى الحِما إن القلوبَ إلى سعادَ تتوقُ
فَرْعاء تَسْحَبُ من قيامٍ شعرَها وتغيب فيه وهو جَثْل مُورِق (٢)
فكأنه ليلٌ عليها مُغْدِفٌ وكأنها فيه نهارٌ مُشرِق (٣)

١) النوفلية : شيء من صوف تختمر عليه نساء العرب .
٢) الجثل : المنفوش .
٣) أغدف : أرخى سدوله .

وانشد لآخر .

مَقْدُورَةٌ ما أنْ لهـــا مِثْلُ لي عندهـــا العبرات والخبـل
فلشعرهـــا من شعرهـا زجل ولعينهـــا من عينهـــا كحل
إن شئت قلت، إذا هي انصرفت، بـين الروادف والحَشا نَصْــلُ

وانشد لآخر وذكر طول العنق .

وأعجبني فيها غَدَاة لَقِيتُها تَبلبلُ أردافٍ لها ومَحَاجِرُ
وجيدٍ كاملود الرخامى رعاية بمنهـــلّه صبت عليه الغدائر

وقـد وصفوا الأفواه والريق والشفاه

★ قال بعضهم .

ومُقَبَّل عذبِ المذاق كأنه بَرَدٌ تحدَّر من غَمـام ماطر
هنَّ الدواء لدائنا ، وشفاؤنا من كل داء باطن أو ظاهر .

وقال ذو الرمّة .

لمياء في شفتيها حوةٌ لعس وفي اللثاة وفي أنيابها شَنَبٌ[1]

---

١) في الأصل شينب وهو غلط ؛ ومعنى الشَّنَب : ا وقـة وعذوبة في الفم أو في الأسنان أو البياض والبريق .

والعرب يزعمون ان اطيب الافواه افواه الظباء ؛ كما أن ابعارها اطيب رائحة من سائر الاباعر . ويزعمون ان ليس في السباع اطيب افواهاً من الكلاب ، وفي الناس اطيب افواهاً من الزنج . ويزعمون ان علة ذلك كثرة الريق ، لأن علة الخلوف [1] ، جفوف الريق ، والبخر [2] يحدثه الكبر وقد اعترى اشرافاً من الناس .

قال : سارر ابو الأسود الدؤلي عبيد الله بن زياد ، فلما ادنى فاه من انف عبيد الله خمر انفه عبيد الله فجذب ابو الأسود يده فنحاها ، وقال . انك والله لن تسود حتى تصير لسرار الشيخ البخر. فعجب الناس من جلده ومراسه . والافواه الموصوفة بالنتن افواه الأسود وأفواه الصقور .

والشعوبية وغيرهم ينهون عن السواك . وقالوا : إنما يعتري الخلوف من يستاك ، والمره [3] من يكتحل والشعث [4] من يدّهن . وزعموا السواك يقلل الأسنان ويأكل ما عليها من اللحم ، أعني اللثة ، ويذهب العمور [5] التي بينها ويرخيها .

وقال حسين بن مطير .

بمرتجّة الأرداف هِيفٌ خُصُورُها عِذَابٌ ثناياها عِجَافٌ قيودها

يريد انها صلاب عجاف غير وارمة ولا مسترخية والسواك يوهنها ويزيلها عن اماكنها .

---

١) الخلوف : تغير رائحة الفم وطعمه .
٢) البَخَر : نتن رائحة الفم .
٣) المَرَه : ابيضاض حماليق العين من ترك الكحل او هو ابيضاض تكرهه عين الناظر .
٤) الشعث : تلبد الشعر واغبراره .
٥) جمع عَمْر وهو اللحم ما بين الأسنان .

وزعموا ان السواك يجلب مـــاء الوجه فيغني على الأيام نضرة اللون وحمرة الوجنات ، كما يصنع طول رضاع الطفل في لبة [١] المرأة وفي لون وجههـــا فاذا تحلب الماء المستكن في الغلاصم[٢] والأفواه اعقب ذلك في الافواه جفوفاً ، فاذا جفت لعدم الريق ادرتها خلوفاً . فقال من ردّ على هؤلاء : قد علمنا ان من أعظم الأمم التي عليها مدار الأمور في العقل والعلم والرضا قد اجتمعوا على السواك والخضاب فلو كان السواك يورث البخر لم تكن هـــاتان الأمتان مع ما فيهما من بعد الغور وشدّة الغزل بالنساء والتقـــرب الى قلوبهن والاستهتار بهن ليجهل هذا القدر من العيب الفاحش . فمن أحب أن يعرف إفراط العـــرب في الغزل والصبابة بالنساء فليقرأ اشعـــارهم وأحاديثهم الاسلامية ، وليقرأ كتب الهند في البـــاه[٣]. ولو تتبعت اشعارهم في استعمال النساء للسواك لطال به الكتاب .

★ وعن عمر بن دينـــار ، قال : سمعت الحسن بن عـــلي ، عليهما السلام يقول لذريح بـــن سنة : حَل لك ان فرقت بين قيس ولبنى ! اما اني سمعت عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يقول : مـــا أبالي مشيت الى الرجل بالسيف او فرقت بينه وبين امرأته !

★ قال الزبير بن بكار : دخلت عزة على ام البنين بنت عبد العزيز فقالت : اقسمت عليك بأي شيء وعدت كثيراً حيث يقول :

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفّى غريمَـــهُ   وعَزَّةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمُهـــا

قـــالت لها : وعدته فمطلته سنة ، فلما ألح في التقـــاضي هجرته ، فضمني واياه طريق بعد حين فاستحييت منه فقلت : حياك الله يا جمل ، ولم أحيه ، فقال :

---

١) لَبّة : موضع القلادة من الصدر .
٢) جمع غَلْصَمَة وهي اللحم بين الرأس والعنق .
٣) الباه : النكاح . (ن . ر)

حَيَّتْكَ عزَّةَ بعد الهجر وانصرفت فَحَيِّ وَيْحَكَ من حَيَّاك يا جَمَلُ
لیت التحية كانت لي فأجعلها مكان : ياجملٌ ، حيَّاك يا رَجُلُ

وهو على تقاضيه الى اليوم . قالت . اقسمت عليك ، ألا قضيته اياه واثمه في عنقي ؟.

★ ابو عبيدة قال : كان بارض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهويها ابن عم لها فبذل لها أربعة آلاف درهم ، فابى ابوها ان يزوجها منه ، واجدبت البادية ، فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم فشكا اليه ما يلقى . فقال له . قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف درهم ، فاعطنا اياها ، فانت احب الينا لقرابتك . قال له : اجلني شهراً . فأجله ، ولم يكن مع الفتى إلا ناقة ، فركبها ومضى الى عبد الملك بن مروان فطلب الاذن فلم يؤذن له . فقال : اني رسول فلان عامل امير المؤمنين على الحجاز . فادخل عليه من ساعته . قال : معك كتاب من فلان ؟ قال : لا ، قال: فرسالة ؟ فانشأ يقول :

ماذا يقولُ أميرُ المؤمنينَ لِمَنْ أدْلَى إليك بلا قُرْبَى ولا سَبَبِ
مُدَلَّهٌ ، عقلُه من حُبِّ جاريةٍ موصوفةٍ بكمال الحُسْنِ والأدبِ
خَطَبْتُها إذ رأيتُ الناس قد لَهَجُوا
بذكرها ، والهوى يدعو إلى العَطَبِ
فقلت ، لي حَسَبٌ زاكٍ ، ولي شرفٌ
قالوا : الدراهم خيرٌ من ذوي الحَسَبِ،

إنا نريد ألوفاً منك أربعــــة ولستُ أمْلُك غيرَ الحِسّ والقَتَب .
فامْنُنْ عليّ ، أميرَ المؤمنين ، بها ، واجمع بها شَمْلَ هذا البائسِ العرب
فما وراءك ، بعد الله ، مُطَّلَبٌ ، أنت الرجـاء وأقصى غـاية الطلب

فضحك عبد الملك وامر له باربعة الاف درهم ، وقـال هذا صداق اهلك ، وزاده اربعة أخرى وقال له أولِم بهذه ، وانفق عليها منها . فقبضها ومضى ، فتزوج بالجارية .

★ وكان اسحاق بن سليمان بن علي شاباً ظريفاً ، محبـاً للشعر . فخرج ذات يوم ، وابوه يلي البصرة ، لأبي جعفر المنصور ، متنزها الى ناحية البادية . فلقي إعرابياً فصيحاً إلا أنه شاحب اللون ، مصفراً ، ظاهر النحول فاستنشده ، فمضى عنه ، فقال له: ما بالك ، فو الله ، انك لفصيح ! قال له اما ترى الجبلين ؟ قال : قلت: بلى . قال : في طلابها ما شغلني عن انشادك . قلت : وما ذاك ؟ قال : ابنة عم لي قد تيمتني ، واذهلت عقلي ، وتالله أنه يأتي علـي لا ادري أفي السماء أنا ام في الأرض . قال : قلت وما يمنعك منه ؟ قـــال : قِلُّ ذات يدي .! قلت : وكم مهرُها ؟ قال : خمسون ناقة . قال : قلت : فيزوجونك إذا دفعتها ؟ قال : نعم . فقلت له أنشدلي مما قلت فيها ! فأنشدني :

سعى العلمُ الفردُ الذي في ظلاله غَزَالَان مكحولان يرتعيان
أرَعْتُهما صيداً فلم استطعهـــما وخَبْلاً ففـــاتاني وقد خَبَلاني .

قال ، فقلت له : يا اعرابي ، لقـد قتلتني بقتلك ، فنفيت من العباس

إن لم أقم بأمرك . فرجع إلى البصرة فأخذ جماعة من أهله وما احتاج إليه ، وحمل معه الاعرابي ، وسار إلى الجارية فخطبها إلى الفتى ، فزوجه ، وساق إليه خمسين ناقة وأقام عندهم ثلاثة أيام نَحَر فيها ثلاثين جزوراً ، ووهب للاعرابي وللجارية مثل ذلك ، وانصرف إلى البصرة .

★ قال نفطويه [1] : لما فرغ المهدي [2] من بناء قصره ركب للنظر اليه ، فدخله فجأة وأخرج من هناك من الناس ، فبقي رجلان خفيان عن ابصار الأعوان ، فرأى المهدي احدهما وهو دهش مما يفعل فقال له : ممن أنت ؟ قال : أنا أنا قال : ويلك : لا أدري ! قال : لك حاجة ؟ قال : لا . قال أخرجوه أخرج الله نفسه فدفع في قفاه، فلما أخرج قال لبعض الغلمان : اتبعه من حيث لا يعلم حتى يصل الى منزله ، فاسأله عن صنعته فاني اخاله حائكاً . فخرج الغلام يقفوه ثم اتى الآخر فاستنطقه فاجابه بقلب جريء ، ولسان طلق ، قال له : من انت ؟ قال : رجل من ابناء رجال دعوتك . قال : فما جاء بك الى ههنا ؟ قال : جئت لانظر الى هذا البناء الحسن ، وأتمتع بالنظر اليه ، وأكثر الدعاء لامير المؤمنين بطول البقاء ودوام العز ، وهلاك الاعداء . قال : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، خطبت ابنة عمي فردني وقال : لا مال لك . واني لها عاشق ، وبها وامق ، قال : قد امرت لك بخمسين الف درهم قال : جعلني الله فداك ، يا امير المؤمنين ، قد وصلت فاجزلت الصلة ، ومننت فاعظمت المنة . فجعل الله باقي عمرك اكثر من ماضيه ، وآخر ايامك خيراً من اولها ، وأمتعك بما به انعم عليك ، وأمتع بك رعيتك . فامر ان تعجل صلته ووجه بغلام آخر

---

١) ابراهيم نفطويه احد ائمة اللغة في النحو والأدب . ولد في واسط وسكن بغداد .

٢) ابن المنصور العباسي وثالث خلفائهم . احسن تدبير المملكة وخطب وده ملوك الصين والتيبت والهند . وعلى ايامه ظهرت الدعوة لبني امية في الأندلس . (ن . ر)

معه قال : سل عن مهنته فاني اخاله كاتباً : فرجع الرسولان جميعاً فقال الرسول الاول : وجدت الرجل حائكاً ، ولم يرجع اليه قلبه ، ولا ثاب الى نفسه . وقال الآخر : وجدت الرجل كاتباً . فقال المهدي انا إبن المنصور [١] لا يخفى عني مخاطبة الكاتب والحائك .

★ قال أحمد بن ابي خثيمة : اخبرتني مولاة ، كانت لآل جعفر ابن ابي جعفر المنصور ، قالت : علق عيسى بن جعفر جارية لام ولده فمنعته اياها غيرة عليه ، وتبعتها نفسه ، فدست جارية لعيسى يقال لها برير الى مولاتها في ان تبيعها منها ، وارغبتها ، فباعتها منها ، فأخذتها برير فصنعتها وكانت لبرير من عيسى ليلة فوجه اليها بخلعة وبقدح غالية [٢] تضمخ به شعرها . فلما كانت ليلتها ألبست الجارية الخلعة وضمخت رأسها ووجهت بها اليه ، فلما رآها سألها عن حالها فاخبرته بالخبر ، وانها آثرت هوى نفسه على هوى نفسها . فسر بذلك ودعا ببرير فاعتقها وتزوج بها ومهرها ضياعاً بالكوفة لها قدر . فقالت برير: ان من شكر الله على ما وهب لي من رأي امير المؤمنين ان اجعل ما اعطاني من هذه الضياع قربة الله عز وجل ، تجري للامير ولي اجرها . فأوقفها على اهل بيت من الانصار منهم ابن معاذ [٣] فلم يزل ذلك يجري عليهم .

★ قال ابراهيم بن المهدي[٤] : حججت مع الرشيد ، فلما كنا بالمدينة خرجت الى العقيق اسير على دابتي وليس معي غلام ، فوقفت على بئر عروة وعليها جارية سوداء وفي يدها دلو تملأ قربة لها ، فقلت :

---

١) الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور . على ايامه استقل عبد الرحمن الداخل بالخلافة في الأندلس . وثار عليه العلويون فقتل زعيمهم ابراهيم . وهو الذي امر بتأسيس عاصمة بغداد وجعلها عاصمة الملك .

٢) طيب معروف وهو اخلاط من مسك وعنبر وبان تغلى على النار (ن . ر)

٣) معاذ بن جبل صحابي انصاري وفقيه . حارب في اجنادين واليرموك .

٤) اخو هارون الرشيد وكان من المغنين والضاربين ، حسن المنادمة .

يا هـذه اسقني . فنظرت الي وقالت : انا مشغولة عنـك . فقرعت قربوسي [١] بقرعتي مُوَقـّعاً بها على القربوس ، وغنيت . فلمـا سمعت ذلك مني ملأت دلوها وبادرت به الي وقالت : اشرب يا عمّ فشربت ، فقالت : بالله ياعم اين اهلك احمل اليهم هذه القربة ؟ فقلت : بيـن يدي . فمضت معي حتى اتت المضرب فلما رأت الولدان والخدم ذعرت، فقلت : لها لا بأس عليك . واخذت الماء وامرت من وصله ، فقال لي الغلمان : قد جاء رسول امير المؤمنين مراراً فمضيت اليه ، فقال لي : اين كنت ؟ فاخبرته بخبر الجارية ، فامر بطلبها ، فأتي بهـا ، فامر بابتياعها من مولاها ، وأعتقها ، وقـال لها : هل من تودينـه يودك وتحبينـه يحبك ؟ قالت : نعم عبد لآل فلان . فامر بابتياعه واعتقه ثم زوجها اياه ، وأمر لهما بمال .

★ حج الرشيد سنة احدى عشرة من خلافته ، فلما نزل بالكوفة ، بعد قفوله من الحج ، دعا اسماعيل بن صبيح فقال : اني اردت الليلة ان اطوف في محال الكوفة وقبائلها فتأهب لذلك ، قلت : نعم . فلما مضى ثلث الليل قام وقمت معه ، وركب حمـاراً وركبت انا آخر ، ومعي خادم ومعه خادم من خاصة خدمه . فلم نزل نطوف المحـال والقبائل حتى انتهينا الى النخع [٢] فسمعنا كلامـاً . فقال الرشيد لاحد الخادمين : أدن من الباب وتعرف مـا هذا الكلام ؟ فتطلع من موضع في الباب فرأى نسوة يغزلن حول مصباح وجارية منهن تنشد شعراً وتردد ابياته وتتبع كل بيت برنـة وأنة ، وتبدي زفرة : وتفيض عبرة ، والنسوان اللواتي معها يبكين لبكائها فحفظ الخادم من شعرها هذه الابيات :

---

١) حنو السرج في مقدمه ومؤخره اي قسمه المقوس .
٢) اسم موضع .

هل أرى وجه حبيب شفني ، بعد فقدانيه ، افراط الجزع ؛
قد برى شوقي إليه أعظمي ، وبلى قلبي هـــواه وفزع .
ليت دهراً مر ، والقلب بـــه جذل ، والعيش حلو قد رجع ؛
وعفت آثاره منـه فيـــا ، ليت شعري ، ما به الدهر صنع ؟
قد تمسكت على وجدي به بجميل الصبر ، لو كان نفع .

فقال للخادمين : اعرفا الموضع الى غد . ورجعنا الى البصرة ، فلما طلع الفجر وفرغ من صلاته وتسبيحه ، قال للخادمين : امضيا الى الدار فان كان فيها رجل من وجوه الحي فجيئا بـه حتى اسأله عما اريده . فسار الخادمان الى الدار فلم يجدا فيها رجلاً ، فدخلا الى مسجد الحي فقالا لاهله : امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : احببت ان يجيئني منكم اربعة اسألهم عن امر . قالوا : سمعاً وطاعة . وقاموا معهما فدخلوا على الرشيد ، فقربهم وأدناهم ، وقال لهم : طفت البارحـــة في بلدكم تفقـــداً لاحوالكم ، فسمعت في دار من دياركم امرأة تنشد شعراً وتبكي . وقد خفت ان تكون مغيبة ، وان نزاع النفس اهون من نزاع الشوق ، وقطع الاوصال اهون من قطع الوصال ، وقد احببت ان اعرف خبرها منكم . قالوا : يا امير المؤمنين ، هذه البارعة بنت عوف بن سهم كان ابوها زوّجها ابن عم لها يقال له سليمان بن همام على عشرة آلاف درهم ، فهلك ابواهما من قبل ان يجتمعا ، فاكتتب زوجها مع عـاملك الى اليمن لقلة ذات يده ، وخرج منـــذ خمس سنين ، فحزنت عليه ، وطال شوقها اليه ، فهي تنشد الاشعار فيه وتستريح الى ذكره . فامر الرشيد من ساعته ان يكتب الى عامله باليمن في حمل سليمان بن همام على البريد الى حضرته الى بغداد . فما مضت ايام بعد وصول الرشيد

حتى دخل عليه اسماعيل بن صبيح ، فقال : يا امير المؤمنين قد وصل النخعي الذي امرت بحمله اليك . فامر بادخاله عليه ، فنظر الى رجل معتدل القامة ، ظاهر الوسامة ، ذرب اللسان ، حسن البيـــان ، فقال : انت سليمان بن همام ? قال : نعم ، يا امير المؤمنين . قـال له : اقصص علي خبرك ! فقص عليه الخبر فوجده مطابقاً لما خبره به الاربعه النفر ، فامر له بعشرين الف درهم ، فاخـذ ذلك من يومـه ورحل الى الكوفة فدخل باهله وكان الرشيد يتعاهده ببره .

— « تم الكتاب بعون الله وتوفيقه » —

فهرست الكتاب

طُبعَ هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت - شارع سوريا
تليفون ٢٣١٩٣٠ - ص.ب ١٣٩٠